عناية الأستاذ هاني حنين - مقالة 1

المسيح المخلِّص

«وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لوقا 2: 11)

جاء السيد المسيح إلى عالم كان ظامئاً إلى مخلِّص ينقذه من الفساد والمشاكل، فقال سنيكا (رجل الدولة الروماني والفيلسوف الذي عاش من سنة 54ق م إلى سنة 39م): «العالم يتطلع إلى خلاص قادم». فقد كانت الحالة السياسية والاقتصادية والأخلاقية في الإمبراطورية الرومانية تسوء، فأخذ كثيرون من البشر يتطلعون إلى الإنقاذ والخلاص، وأطلقوا على كثيرين من حكامهم لقب «المخلّص»أملاً في الإ نقاذ. فكان هذا لقب كل حاكم من البطالمة في مصر، كما أطلق الإثينويون على يوليوس قيصر أنه المخلّص . بل إنهم أطلقوا لقب «مخلّص» على أوثانهم، ومنها الإله سكلابيوس إله الشفاء فكانوا يتجمعون في هيكله، يصرفون الليل كله آملين أن يأتيهم في ظلمة الليل، ليلمس أجسادهم ويشفيهم، وسمّوه «مخلّص العالم».

فما هو معنى الخلاص الذي جاءنا المسيح به؟

1- الخلاص هو السلام والنجاح

يشعر الإنسان بأنه منفصلٌ عن الله لأن الخطية تقيم سداً بينه وبين ربّه . كان جدُّنا الأول آدم سعيداً في الجنة يلتقي بالله ويخاطبهلكن ما أن أخطأ حتى خاف وابـ تعد، فجاءه الله يناديه : «أَيْنَ أَنْتَ؟» (تكوين 3: 9) ليصالحه معه، وليعيد الأُنس الذي ضيَّعه آدم بعصيانه ويقول أيوب إمام الصابرين : «لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى كِلَيْنَا!» (أيوب 9: 33) لأنه شعر أن الله صار له عدواً يعاقبه، وهو يطلب شخصاً يصنع السلام بينه وبين الله.

والمسيح هو صانع السلام. لنستمع إلى ما يقوله الإنجيل المقدس عنه: «وَلَكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا . نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ : تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ. لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (2كورنثوس 5: 18-21). ويقول رسول المسيحية بولس عن المسيح: «الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا. فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللهِ».. ثم يقول: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ،وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ،وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ .. هَكَذَا بِبِرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً.. حَتَّى كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْمَوْتِ هَكَذَا تَمْلِكُ النِّعْمَةُ بِالْبِرِّ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا.. لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية 4: 25، 5: 1، 12، 18، 19، 21، 6: 23).

هل تحس أنك مغتربٌ عن الله بعيد عنه؟ هل تحس أن خطيتك تفصل بينك وبينه، وأن صلاتك مرفوضة؟ المسيح هو المخلّص الذي إذا فتحت له قلبك تنعم بسلام حقيقي مع الله.

2- الخلاص هو الإنقاذ من اليأس

جاء المسيح إلى عالمنا ليخلصنا من يأسنا . بدأ خدمته في الناصرة بأن قرأ نبوة جاءت عنه في كتابات إشـــعياء النبي في التوراة، قبل ميلاده بسبعمئة سنة، تقول : «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ، ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ» (لوقا 4: 18).

جاءنا المسيح ليخلصنا من كل موقف بائس . عندما رأى الجياع قدم لهم مائدة، من خمس خبـــزات وســـمكتين وبارك وأعطى تلاميذه ليوزعوا، فأكل الجميع وشبعوا وفضل عنهم (يوحنا 6: 1-15). فإذا نحن قصدنا المسيح وسلمناه زمام حياتنا وجدناه يعتني بنا. إن توجيهاته لنا تضمن سعادتنا، وتنجينا من كل موقف قاس.

كانت هناك سيدة مصابة بنزيف دم، أنفقت كل ما عندها على الأطباء فلم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ . جاءت إلى المسيح وهي تقول في نفسها إنها لو لمست هُدب ثوبه ستنال الشفاء . وتم لها ما طلبت (مـــرقس 5: 25-34).

واليوم عندما نجيء في مرضنا وتعبنا إليه يلمسنا لمسة حب تجعلنا قادرين أن نواجه المواقف القاســـية بنعمـــة وشجاعة. وهذا ما فعله مع رسول المسيحية بولس عندما طلب الشفاء من مرض كان يقاسي منه، فلم يقدم لـــه الشفاء بل قال له : «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (2كورنثوس 12: 9). فهو قـــد يـــشفينا مـــن مرضنا، أو قد يمنحنا النعمة التي تجعلنا نتعايش مع المرض بسلام نستمده من عنده هو . ولكنه سيخلّصنا مـــن اليأس على كل حال.

افتح قلبك للسيد المسيح، المخلص القادر أن يريحك من كل ما يتعبك فقد قال : «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيـــعَ الْمُتْعَبِـــينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (متى 11: 28).

3- الخلاص هو غفران الخطية

الخطية حملٌ قاس وسيدٌ مستبد والذي يفعل الخطية هو عبد للخطية . عندما تكون مستعبداً لعادة شريرة تحـــسُّ بإذلالها، تعلم أنك محتاجٌ لهذا المخلص الذي يقطع رُبُط النير من على كتفيك، ويطلقـــك حـــراً، ويقـــول لـــك : «تَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً » (يوحنا 8: 32، 36). أعـــرف كثيرين تغيَّرت حياتهم تماماً وانتصروا على خطاياهم، لأن السيد المسيح وهبهم النعمة والقوة التي جعلتهم يغلبون الخطية. أدعوك أن تتعرف على المسيح لتجد نصرتك الكاملة.

4- الخلاص هو الإنقاذ من الدينونة النهائية

أجرة الخطية هي موت . هناك موتٌ أخلاقي عندما ينفصل الإنسان عن الله، وهناك موتٌ جسدي عندما تفـــارق أرواحنا أجسادنا، وهناك موتٌ أبدي عندما يُلقَى الشرير في جهنم . والمسيح ينقذ من يقبلونه فادياً ومخلِّصاً مـــن الدينونة الأخيرة، فنقول: «إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رومية 8: 1).

لقد جاء المسيح مخلصاً ينقذنا من قيود الخطية والشر، وليضمن لنا حياة أبدية ولا عجب فقد قال : «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّـــةُ» (يوحنـــا 3: 16). فالحياة الأبدية لك إن فتحت قلبك للمسيح المخلّص ليغيرك ويعطيك حياة جديدة وقلباً جديداً.

عناية الأستاذ هاني حنين - مقالة 2

المسيح الطبيب

«لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى» (متى 9: 12)

تذمر رجال الدين اليهود على المسيح، وتعجبوا من أنه يأكل مع الخطاة، وانتقدوه على ذلك، فقال لهم: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى.. لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ».

لقد جاء المسيح من أجل الخطاة، فهو الطبيب الروحاني الذي جاء ليشفي المتسلط عليهم إبليس. وهو الطبيب الوحيد الذي يقدر أن يشفي من مرض الخطية، لأنه وحده الذي يملك العلاج «وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أعمال 4: 12).

في العهد القديم انتظر الناس الطبيب الذي يشفيهم، فقال النبي إشعياء عن خطية الشعب القاتلة بدون طب ولا علاج: «مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ، وَأَحْبَاطٌ، وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ» (1: 6). وتساءل النبي إرميا: «أَلَيْسَ بَلَسَانٌ فِي جِلْعَادَ، أَمْ لَيْسَ هُنَاكَ طَبِيبٌ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تُعْصَبْ بِنْتُ شَعْبِي؟» (إرميا 8: 22).

وأخيراً جاء الطبيب الذي انتظروه.. الطبيب الذي شفى، والذي يشفي.

1- الطبيب البشري يعجز أحياناً

يعجز الأطباء أحياناً عن العلاج كما فشلوا مع نازفة الدم التي أنفقت كل معيشتها على الأطباء، ولكنها صارت إلى حال أردأ (مرقس 5: 26). وكان اليهود يقولون في أمثالهم: «أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ» (لوقا 4: 23). ولم يكن الأطباء اليهود متقدمين في مهنة الطب، لأنهم كانوا يؤمنون أن المرض عقاب إلهي على الخطية، فإذا عاون الطبيب المريض لتخفيف آلامه أو لشفائه يكون قد تدخل في معاملة الله مع المريض، وتقول التوراة إن الملك آسا أنه أخطأ لأنه عندما اشتد عليه المرض لم يطلب الرب بل طلب الأطباء فمات (2أخبار 16: 12). ولم يكن أطباء اليهود متقدمين في الجراحة، لأن لمس جثة الميت كان ينجس اليهودي، إذ يقول الناموس: «مَنْ مَسَّ مَيْتاً مَيْتَةَ إِنْسَانٍ مَا يَكُونُ نَجِساً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتاً مَيْتَةَ إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ، فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ» (العدد 19: 11، 13). ولما كان التقدم في الجراحة يعتمد على التشريح، كان أطباء اليهود متأخرين في هذا الفن.

2- المسيح الطبيب يشخِّص المرض

قال أحد الحكماء: يرى المحامي الناس في أردأ حالاتهم، عندما يذهبون إليه بمشاكلهم.. ويرى القسيس الناس في أحسن حالاتهم، عندما يقابلهم في بيت العبادة. لكن الطبيب يرى الناس كما هم في حالتهم الحقيقية».

ولا يرى الطبيب في المريض الذي أمامه غنياً أو فقيراً، لكنه يرى إنساناً محتاجاً للعلاج.

هكذا يرانا المسيح الطبيب خطاة محتاجين إلى التوبة والغفران. «لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ، وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجاً أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ» (يوحنا 2: 24، 25).

3- المسيح الطبيب يريد أن يساعد

قد نرى نحن المجروح ونحزن عليه، ولكننا لا نقدر أن نساعده. أما المسيح الطبيب فيريد ويقدر أن يساعد.

روى المسيح مثَل السامري الصالح، فقال إن اللصوص جرحوا يهودياً مسافراً وتركوه في حال الموت، فمرَّ به كاهن يهودي وجاز مقابله بدون أن يساعده، ورآه لاوي ولم يساعده. أما السامري الصالح الغريب عنه في الجنسية والعقيدة فقدَّم كل مساعدة ممكنة، ولم يتركه حتى اطمأن عليه (لوقا 10: 30-35).

والرب يسوع المسيح هو الطبيب الذي لا يمكن أن يترك المريض المحتاج للمساعدة بدون أن يساعده. إنه لا ينظر إلى المريض في «قرف» واحتقار، لكنه ينظر إليه في عطف وحنان، ويعمل على شفائه.

ومَن غير يسوع المسيح يشفي، ويخفف الألم، ويريح القلوب؟!

4- المسيح الطبيب الذي ضحى بنفسه

يعرف الطبيب الحالة، ويشخص المرض، ويجاهد أن يساعد، ولو كلفته هذه المساعدة حياته. وفي الأوبئة يذهب الأطباء إلى مكان الوباء، ويضحون بصحتهم وراحتهم في سبيل المرضى ليساعدوهم. وقد سمعنا عن أطباء ماتوا وهم يعالجون أحد المرضى بمرض خطير مُعدٍ.

قال المسيح: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ.. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ» (يوحنا 10: 11، 15). وقيل عنه: «أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ، مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ» (فيلبي 2: 7-9).

وما أعظم التضحية!!

5- المسيح الطبيب الذي يشفي مرض الجسد

يشفي المسيح من المرض الصعب الذي هو مرض الخطية، ويعالج بنجاح مرض البُعد عن الله..

على أنه يشفينا من مرض الجسد أيضاً. فعندما كان على الأرض كان «يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. فَذَاعَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ، فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ» (متى 4: 23، 24). وعندما أرسل تلاميذه ليكرزوا للناس أوصاهم قائلاً: «اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصاً. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ» (متى 10: 8).

وهو اليوم يشفي كل من يدعوه، وهناك الوعد الصادق: «أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ» (خروج 15: 26). وكلمة شفى في اللغة العبرانية هي كلمة «رتفا» وتعني حرفياً ما يقوم به الرفا الذي يخيط نسيج الثوب معاً ليصلحه بعد تمزيقه.

وليس شفاء المسيح وضع قطعة من ثوب جديد على جزء ممزق في ثوب عتيق، فإن هذا هو الترقيع، لكن يسوع يجمع أجزاء الجسد معاً حتى تؤدي وظيفتها كما كانت.. إنه يعيد الجسد المريض إلى ما كان عليه، هذا ما فعله مع صاحب اليد اليابسة، إذ رجعت اليد المريضة صحيحة كالأخرى (مرقس 3: 5).

في المسيح لك ما تحتاج إليه من شفاء روحي، ولك أن تطلب شفاء جسدك أيضاً.

الأستاذ هاني حنين - مقالة 3

المسيح خبز الحياة

«أنا هو خبز الحياة» (يوحنا 6: 35، 48)

أعلن المسيح حقائق روحية عميقة برهنها بمعجزات ملموسة تؤكد وتشرح معنى الحقيقة الروحية. وكان أحياناً يُجري معجزة، يعلن بعدها المعنى الروحي لِما فعل. وفي إنجيل يوحنا أصحاح 6 نقرأ عن معجزة إطعام خمسة آلاف بخمس خبزات وسمكتين، ثم أعلن بعدها عن نفسه أنه «خبز الحياة». أعلن حبه واهتمامه بأجساد الناس، ثم أعلن حبه واهتمامه بخلاص أرواح الناس. وهو يريد أن يبارك جسدك وقلبك.

والخبز جزء أساسي في طعام أهل الشرق الأوسط، فهُم لا يقدرون أن يأكلوا طعامهم بدون الخبز.. ويقول الوحي: «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ» (تثنية 8: 5).. ومع أن معنى الآية أن الخبز وحده لا يكفي، إلا أن معناها أيضاً أن الخبز شيء أساسي لحياة الإنسان.

وقد قال المسيح عن نفسه إنه «خبز الحياة» مرتين في أصحاح واحد، بعد أن أطعم خمسة آلاف نفس بخمس خبزات وسمكتين في البرية، وفاضت اثنتا عشرة قفة. وفرح الشعب بالطعام، وأسرعوا يبحثون عن المسيح ولما لم يجدوه عبروا البحر وجاءوا إلى حيث كان، وسألوه: «يَا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرْتَ هُنَا؟». فأجابهم: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ، بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يوحنا 6: 25-27).

1- المسيح يضمن حاجات الجسد

يجري كثيرون وراء المسيح طلباً للنفع المادي والخبز الجسدي، مع أنهم يجب أن يطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، فيزيدهم من كل نِعمه (متى 6: 33). ومع أننا يجب أن نطلب طعام الروح أولاً، إلا أن الله يعطينا كل شيء بغنى للتمتع. إنه يعطينا غذاء القلب وغذاء الجسد، وقد علمنا أن نطلب في الصلاة الربانية قائلين: «خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ» (متى 6: 11). وأوصانا: «لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟ وَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا» (متى 6: 25-29).

2- المسيح هو الخبز الذي نزل من السماء

عندما كان بنو إسرائيل في التيه في صحراء سيناء أطعمهم الله «المن» مدة أربعين سنة. فقالوا إن المن خبز من السماء (نحميا 9: 15) وإنه طعام الملائكة (مزمور 78: 25). وكان المن في نظرهم يرتبط بمعجزة سماوية، لا يستطيعون أن يدركوا عمقها. وكانوا يعتقدون أن المسيا الآتي سيطعم شعبه من المن السماوي. وكانوا يقولون إنه ما دام موسى المنقذ الأول أعطاهم المن، فإن المنقذ الأخير الذي هو المسيح سيعطيهم أيضاً المن.

وكان اليهود يضعون في تابوت العهد: لوحي الوصايا العشر، وعصا هارون التي أفرخت، وقسط المن (عبرانيين 9: 3، 4). وكانوا يقولون إن النبي إرميا وقت خراب هيكل سليمان أخذ قسط المن وأخفاه. وحين يجيء المسيا المخلّص، يُحضر القسط الذي أخفاه إرميا، ويطعم المؤمنين من المنّ.

وأعلن المسيح أنه المنُّ النازل من السماء، والخبز الذي من السماء، فهو الله الذي ظهر في الجسد (1تيموثاوس 3: 16)، وهو مشتهى كل الأمم الذي انتظرته الأجيال (حجي 2: 7). قال عنه يوحنا المعمدان: «اَلَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. اَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ» (يوحنا 3: 31).

هو الذي جاء من عند الله ومعه ما يشبع القلب.

3- المسيح هو الخبز الذي يعطي الحياة

«أنا هو خبز الحياة» معناها «أنا هو الخبز الذي يعطي الحياة».

لأَنَّ «خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ. لأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يوحنا 6: 33، 40).

وقال المسيح: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا. هَذَا هُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ. أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ» (يوحنا 6: 47-51).

في أثناء الحرب العالمية الثانية طلبت محطة الإذاعة البريطانية من فيلسوف مسيحي أن يلقي بعض المحاضرات الدينية في الإذاعة. وألقى الفيلسوف كلايف لويس عدة محاضرات عظيمة، قال في واحدة منها إن الله خلق الإنسان ليحيا به وحده، فلا يمكنه أن يحيا بدون الله. وضرب مثلاً قال فيه إن السيارة التي صممها المهندس لتسير بالسولار الرخيص الثمن لا يمكن أن تسير بوقود غيره. فإذا وضعت في خزانها ماءً، وهو أرخص شيء، لا تسير.. وإذا وضعت في خزانها عطراً غالي الثمن، لا يمكن أن تسير. إنها لا يمكن أن تسير إلا بالسولار، لأن المهندس الذي صممها يريد لها ذلك.

ثم قال الأستاذ لويس إن الله خلقنا لنحيا به ونتحرك ونوجد (أعمال 17: 28). فإذا حاولنا أن نحيا بدونه، نصرف كل وقتنا لجمع المال، أو في محاولة الحصول على السلطة والعظمة، أو في الجري وراء الشهرة، أو في الحصول على العالم كله، وننسى الله.. نكتشف أن كل هذه الأشياء لا تجعلنا نتحرك. والسبب بسيط: إن الله خلقنا لكي نحيا به وحده، ويجب أن نعطيه المكان الأول في قلوبنا.

الغذاء الوحيد الذي يعطيك الحياة ويشبع قلبك هو المسيح وحده. قد تجري وراء غيره فلا تجد غير التعب، ولا تحصد إلا الجوع والعوز. ولكنه هو الذي يشبع قلبك ويملأ حياتك بالاكتفاء والراحة والسعادة. «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ».

عنده الحل لكل مشكلة من مشاكلك. إنه يفتح بابه لك، ويدعوك بترحيب. مائدته مستعدة لاستقبالك، كأنه لا يوجد أحد في العالم إلا أنت. ولا يستطيع أحد أن يأكل الخبز بدل شخص آخر! فتناول المسيح نفسه لأنه قال: «مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ.. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يوحنا 6: 54، 56).

المسيح نور العالم

«أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يوحنا 8: 12)

قال المسيح: أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ .مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَيَمْشي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ ». قال هذا بعد أن قال للمرأة التي أُمسكت وهي تزني: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟». فأجابت: «لاَ أَحَدَ يَا سَيِّدُ». فقال لها: «ولاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً» (يوحنا 8: 10، 11).

وبعد أن قال «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» فتح عيني المولود أعمى (يوحنا 9).

قال الحكيم: «اَلنُّورُ حُلْوٌ، وَخَيْرٌ لِلْعَيْنَيْنِ أَنْ تَنْظُرَا الشَّمْسَ» (جامعة 11: 7). ومنذ القديم فكر الناس في أن الله نور، حتى عبدوا الشمس لأنها مصدر النور ولكن المرنم قال عن النور الحقيقي : «اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي » (مزمور 27: 1)وتنبأ ملاخي النبي بمجيء المسيح نور العالم فقال : «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا» (ملاخي 4: 2). وقال المسيح: «أَنَا يَسُوعُ.. أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ» (رؤيا 22: 16). وعندما وُلد تحققت نبوة النبي إشعياء بعد 700سنة من إعلانها : «اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (إشعياء 9: 2).

1- المسيح هو النور الذي يكشف

الذي يسير في الظلام لا يرى عيوب الطريق، ولا عيوب وجهه ولا عيوب ثيابه. لهذا يحب كثيرون الظلمة. وقال المسيح: «إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللَّهِ مَعْمُولَةٌ» (يوحنا 3: 19-21). في الظلام يقتل الناس ويسرقون، ولكن النور يخجلهم فلا يخطئون. ولا يستطيع أحد أن يكشف نفسه وعيوبها إلا في نور المسيح.

في نور المسيح شعر بطرس بخطيته، فصرخ: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ» (لوقا 5: 8). وفي نور المسيح يمكن أن ترى عيوبك، وتعرف نفسك، فتسرع بالتوبة.

2- المسيح هو النور الذي يحيي

قال الإنجيل عن المسيح: «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ» (يوحنا 1: 4، 5). نور الشمس ينمي النبات، وبدون النور لا تزهر الورود ولا ينمو الشجر. ونور الشمس يحفظ الصحة، فالذي يعيش تحت الأرض يتلف صحته.. والحكومات تحاول أن تهدم البيوت الضيقة القديمة وتبنى بدلها بيوتاً جديدة يدخلها النور. والمسيح يعطي الحياة والنمو والصلاح، كما قال الرسول يعقوب: «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يعقوب 1: 17).

3- المسيح هو النور الذي يرشد

قاد الله بني إسرائيل في صحراء سيناء بعمود من النور ليلاً يسير أمامهم. وكانوا يسيرون عندما يسير ويقفون عندما يتوقف (خروج 13: 21). والمسيح نورنا ودليلنا ومرشدنا! الذي يتبعه لا يمشي في الظلمة ولا يعثر.

وكما يضيء الفنار للسفن حتى لا تصطدم بصخور الشاطئ، هكذا من يمشي في نور المسيح لا يصطدم بصخور الحياة القاسية، ولكنه يصل إلى شاطئ الأمان في سلام.

قال المسيح: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ لاَ يَعْثُرُ لأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هَذَا الْعَالَمِ» (يوحنا 11: 9).

4- المسيح هو النور الذي أنار الحياة والخلود

قال الرسول بولس إن المسيح «أَبْطَلَ الْمَوْتَ، وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ» (2تيموثاوس 1: 10). وقد أنار المسيح العالم بتعاليمه، فما أروع ما قال عن حياة المحبة للآخرين، والغفران للمسيئين: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (متى 5: 43، 44). يا لنور هذا التعليم المدهش، الذي لو طبقناه على حياتنا لتغيَّر عالمنا تماماً، ولما عُدنا نسمع بالحروب والمخاصمات! لقد أنار المسيح عالمنا بتعليمه العامر بالحب.

وأنار المسيح عالمنا بمثال حياته، فقد طبَّق ما علَّم به «تَارِكاً لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُواتِهِ» (1بطرس 2: 21). لم تكن هناك شريعة كلف بها سامعيه لم يطبقها هو على نفسه أولاً، في كل مجالات الحياة. لم يستثنِ المسيح نفسه من أي تكليف علَّم به بحُجة أنه قائد أو معلم أو منشئ عبادة جديدة. لقد كان المسيح تجسيداً حياً لكل ما علَّم به وكل ما قاله، فواجه أعداءه الذين طالما انتقدوه قائلاً: «مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟» (يوحنا 8: 46) فلم يستطع واحد أن يجاوب عليه.

على أن أجمل شيء هو أن المسيح ينير حياتنا بأن يسكن قلوبنا فنتمكن من تطبيق ما علَّمنا إياه. والذي يقرأ تعاليم المسيح يُصاب بحالة من اليأس الشديد، لأنه يجد نفسه عاجزاً تماماً عن أن يقوم بها. وهذا هو العجز المبارك، لأنه يُلجئنا إلى المسيح المخلّص لنطلب منه أن يسكن القلب ليمكننا من أن نطيعه.

لا يمكن أن تكتب شعراً كشعر شوقي أمير الشعراء إلا إذا كان روح شوقي فيك. ولكن شوقي مات، أما المسيح فهو الحي الذي قام من بين الأموات، وهو يقوم لك: إني أسكن قلبك وأغيِّر حياتك وأحلُّ فيك، لتستطيع أن تعمل الأعمال التي أعملها أنا. عندها نستطيع أن نطبق تعليمه، ونسير في أثر خطواته.

وأنار المسيح لنا الخلود بواسطة الإنجيل، الخبر المفرح، الذي هو مجيء المسيح إلى عالمنا. لقد سار المسيح الطريق أمامنا، فجاز في وادي ظل الموت، وقام من بين الأموات بعد أن هزم الموت، وهو يقول لك: «لقد سلكت الطريق أمامك، فالطريق مضيء». كأن شخصاً عبر نهراً وأضاء سراجاً في الجانب الآخر، فأصبح البحر المظلم مضيئاً، لأن الذي عبر أنار الطريق كله، وهو يمسك بأيدينا لنعبر سائرين وراءه. لقد مات من أجلنا ورُفع على الصليب ودُفن في القبر، ولكنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات. وعندما ذهبت اثنتان من تلاميذه لتقوما بواجبهما نحو الجسد الميت وجدتا القبر فارغاً، وسمعتا ملاكاً يقول: «لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ» (متى 28: 6).

ونختم حديثنا هذا بالقول إن «النُّورُ مَعَكُمْ زَمَاناً قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلا يُدْرِكَكُمُ الظّلاَمُ» (يوحنا 12: 35).

المسيح الكلمة

«في البدء كان الكلمة» (يوحنا 1: 1)

الإنجيل هو الخبر المفرح أن السيد المسيح جاء إلى العالم، وهو إنجيل واحد، لكن الذين رووه أربعة هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وقد روى متى الإنجيل مبتدئاً بأن يسوع هو من نسل إبراهيم وداود، وتتبَّع سلسلة النسب إلى يوسف بن يعقوب، ونسب المسيح إلى إبراهيم لأنه كتب الخبر المفرح لليهود، ليبرهن لهم أن يسوع هذا هو المخلّص الذي تنبأ أنبياء التوراة بمجيئه. وروى مرقس الإنجيل للرومان فبدأ بخدمة يسوع، ليوضح لهم أنه صاحب السلطان والمخلّص الذي ينتظره العالم. وروى لوقا الإنجيل لصديقه ثاوفيلس بادئاً بأن يسوع هو من نسل آدم، فهو مخلص الجنس البشري كله، ورجع بتسلسل المسيح إلى العذراء مريم، وقال إن يوسف هو ابن هالي والد مريم. أما الإنجيل كما رواه القديس يوحنا فيبدأ بأن المسيح هو الأزلي، الذي من البدء «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ (كان ولم يزل)، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ (كان عند الله ولم يزل)، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ (كان الله ولا يزال)».

المسيح كلمة الله، وهذا لا يعني أن المسيح هو الكلمة التي نطق الله بها بفم أنبيائه، ولكنه هو ذات الله المتكلم. لقد كلم الله البشر في زمن التوراة بالأنبياء، لكنه كلمنا في الأيام الأخيرة في المسيح. فمن سمع المسيح فقد سمع الله بالذات، ومن رأى المسيح فقد رأى الله نفسه (عبرانيين 1: 1 ويوحنا 14: 9).

1- المسيح هو الكلمة الأزلي

تنبأ النبي ميخا في التوراة عن مكان ميلاد المسيح قبل حدوثه بسبعمئة سنة، وقال إنه سيولد في بيت لحم «وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (ميخا 5: 2) وهذا يعني أنه الله. فالله هو الأزلي. «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ». والقول إن المسيح كلمة الله مخلوق وليس أزلياً يعرضنا لخطأ كبير، وهو أن الله قبل الخلق كان بغير كلمة وبغير روح، وهذا ما لا يتصوره أحد، وما لا يقول به أحد. المسيح كلمة الله إذاً أزلي. «الْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ» (يوحنا 1: 1). المسيح إذاً موجود من قبل الخليقة. موجود من قبل ولادته من مريم العذراء. مولود ولكن غير مخلوق، ولا بداية له. هو واجب الوجود، الأزلي.

2- الكلمة شخص

في البدء كان الكلمة «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ». وليس المقصود بالكلمة صفة، ولا هو الوحي الإلهي، لأن الإنجيل يقول: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنا 1: 14). فالكلمة شخص، يتحدث عنه بصيغة المذكر.

وتلقيب المسيح بالكلمة ينفي عنه أية نسبة جسدية للآب السماوي، فليس هناك توالد بشري. الكلمة ابنة العقل، وهي في العقل. تصدر منه لتتجسَّد حروفاً مكتوبة، أو صوتاً مُذاعاً.. لكن الكلمة تبقى في العقل ولا تنفصل عنه. وفي هذا يقول المسيح: «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يوحنا 3: 13). فالمسيح في الأرض والسماء بوقت واحد، لأن الكلمة في عقل صاحبها، وإن تجسدت حروفاً.

3- الكلمة يعلن الله

ويحق للمسيح أن يُلقَّب بالكلمة، لأن الله كلَّمنا به، وأعلن لنا فيه أفكاره ومشيئته، كما أن كلمة الإنسان تعلن أفكاره ورغباته. وقد أعلن لنا المسيح بتعليمه وحياته وأعماله من هو الله، حتى أنه قال: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا 14: 9). ويقول لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين (1: 1-3 ترجمة كتاب الحياة) : «الله في الأزمنة الماضية كلم آباءنا بواسطة الأنبياء، الذين نقلوا إعلانات جزئية بطرق عديدة ومتنوعة. أما الآن في هذا الزمن الأخير فقد كلَّمنا بالابن، الذي جعله وارثاً لكل شيء، وبه قد خلق الكون كله. إنه التعبير المتألق عن مجد الله، والصورة المطابقة لجوهر الله. بكلمة قدرته يحفظ كل ما في الكون».

استمدَّ الأنبياء سلطانهم من قولهم: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ» (خروج 8: 1). أما المسيح كلمة الله فكان يقول: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ» وسجلها الوحي عنه 83 مرة. كان يتكلم بسلطان نفسه. وواضح أننا نعرف شخصية الإنسان حين نسمعه يتكلم، فتعلن كلمته جنسيته وثقافته واهتماماته ومدى سلطانه. والمسيح كلمة الله أعلن صفات الله وشخصيته. «اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا 1: 18).

4- المسيح يحمل سلطان الله

تحمل الكلمة كل سلطان المتكلم، فهي ليست صوت صارخ في البرية أو في العالم. لكن الكلمة إرادة عمل، تنقذ وتُجري مشيئة المتكلم، كما يقول المرنم: «يُرْسِلُ كَلِمَتَهُ فِي الأَرْضِ. سَرِيعاً جِدّاً يُجْرِي قَوْلَهُ» (مزمور 147: 15). «وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ. فَكَانَ نُورٌ» (تكوين 1: 3). ويقول المرنم" «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا.. لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ.. أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ، وَنَجَّاهُمْ مِنْ تَهْلُكَاتِهِمْ» (مزمور 33: 6، 9 و107: 20). حقاً «لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ» (1كورنثوس 8: 6).

قال الفيلسوف اليوناني "هيراقليتس" في القرن السادس قبل الميلاد عن التغيير الذي يجري باستمرار في العالم: «لا يمكن أن تعبر نفس النهر مرتين، لأن ماءه الجاري يتغير». لكنه لاحظ أن قوانين الطبيعة ثابتة. وسأل نفسه: من الذي يحفظ نظام الكون الثابت وسط هذا التغيير؟ وكان جوابه: إنه الكلمة!

5- المسيح الكلمة الذي تجسَّد

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ» (يوحنا 1: 1، 14). الكلمة صار جسداً، ولم يكن كذلك من قبل، لكنه أخذ جسداً كأجسادنا ليعلن لنا الله بوضوح كامل. كان المسيح في العالم بالروح خالقاً وحياة ونوراً، وهو يفعل في قلوب الناس وضمائرهم. ولكنه في ملء الزمان أخذ طريقاً جديداً لإعلان الله، بأن أضاف الطبيعة البشرية إلى طبيعته الإلهية، وذلك في سر التجسد الذي يقول فيه الإنجيل: «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (1تيموثاوس 3: 16). والقول: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً» لا يعني التحول، فهو ليس مثل قولنا: «صار الطفل رجلاً» أي أنه لم يعُد بعد طفلاً، لكنها تفيد «الاتخاذ» أي أن الكلمة أخذ جسداً وصار إنساناً، دون أن يتغير في لاهوته. فلاهوت المسيح ملازم لإنسانيته من غير انفصال ولا امتزاج. فالتجسد حقيقة تاريخية.

قال الملاك ليوسف خطيب العذراء مريم: «لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ، لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.. وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا)» (متى 1: 20-23).

المسيح الراعي الصالح

«أنا هو الراعي الصالح» (يوحنا 10: 11)

يصف العهد القديم الله بأنه الراعي، فيقول المرنم: «اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ» (مزمور 23: 1). وهو واضح أيضاً من القول: «اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ. هُوَ صَنَعَنَا، وَلَهُ نَحْنُ، شَعْبُهُ وَغَنَمُ مَرْعَاهُ» (مزمور 100: 3). وقدم النبي إشعياء صورة جميلة للرب الذي يرعى شعبه فقال: «كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ، وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ» (إشعياء 40: 11). وقال النبي حزقيال: «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا.. أَرْعَاهَا فِي مَرْعًى جَيِّدٍ.. أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ» (حزقيال 34: 11-16).

وقد تحدث المسيح عن نفسه باعتباره الراعي الصالح الذي يفتش عن الضال، فقال: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ. مَاذَا تَظُنُّونَ؟ إِنْ كَانَ لإِنْسَانٍ مِئَةُ خَرُوفٍ وَضَلَّ وَاحِدٌ، مِنْهَا أَفَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟ وَإِن اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ. هكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةً أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ» (متى 18: 11-14). وقد تحرك قلبه بالحب على الشعب «وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا مُنْزَعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا» (متى 9: 36). وقال لتلاميذه: «لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ» (لوقا 12: 32).

وما أجمل وأقوى قول المسيح: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ.. وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ. وَلِي خِرَافٌ أُخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (يوحنا 10: 11-16).

وقد رأت الكنيسة الأولى أن يسوع هو راعيها الصالح، فقال الرسول بطرس: «لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَخِرَافٍ ضَالَّةٍ، لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا» (1بطرس 2: 25)، ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن المسيح «رَاعِي الْخِرَافِ الْعَظِيمِ» (عب 13: 20).

1- المسيح الراعي الصالح يعرف الخراف

عندما نقرأ أقوال المسيح عن نفسه في يوحنا 10 نراه الراعي الصالح الذي يعرف خرافه معرفة قوية، وأنه يعطي كلاً منها اسماً. والخراف تعرف راعيها، وتميِّز صوته، وحين يناديها تتبعه، ولكنها لا تتبع الغرباء، لأنها لا تعرف صوتهم.

كان الراعي في فلسطين يعرف خرافه معرفة خاصة، لأن النعجة تبقى معه تسع سنوات أحياناً، يطعمها ويرعاها ويحميها، ويأخذ لبنها وصوفها.. وكانت الأسماء التي يعطيها للخراف تظهر صفاتها وطبعها. ومعرفة المسيح بنا معرفة قوية، فهو يعرف ظروفنا وأحوالنا وضعفاتنا وكل ما فينا، وهو يعرف ويقدر.

2- المسيح الراعي الصالح يحمي الخراف

كان الراعي يسير أمام الخراف، والخراف تتبعه.. وهذا معناه أن الراعي قائد الخراف، وهي رعيته وغنم مرعاه. وهو يسير أمامها ليحميها، فعندما يقود قطيعه في وادٍ مظلم بين الجبال، ويقابل وحشاً أو لصاً يواجهه أولاً، ويحاربه، وينقذ الخراف منه. وقد اختبر نبي الله داود هذه الحقيقة فقال: «إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لاَ أَخَافُ شَرّاً، لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي» (مزمور 23: 4).

كان الراعي يحمل عصا طولها نحو متر ورأسها من الخشب الغليظ، ليستعملها في ضرب الحيوانات المفترسة واللصوص، حماية لقطيعه منها، وكانت فلسطين وقتها مكاناً للحيوانات المفترسة من الأسد والدب والذئب. وبقيت الأسود في فلسطين حتى عهد الصليبيين.. والراعي الصالح يحمي خرافه من الوحوش.

وكان اللصوص، وما زالوا، يسرقون. والراعي الصالح يحمي خرافه منهم حتى أنه يبذل نفسه دفاعاً عنها. كان يسير أمام الخراف، يحمل الصغار من الحملان في حضنه حتى يحميها. فكن مطمئناً إن كنت من قطيع الراعي الصالح لأنه معك يحميك، وقُل مؤمناً: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ» (2تيموثاوس 1: 12). «وَالْقَادِرُ أَنْ يَحْفَظَكُمْ غَيْرَ عَاثِرِينَ، وَيُوقِفَكُمْ أَمَامَ مَجْدِهِ بِلاَ عَيْبٍ فِي الابْتِهَاجِ، اَلإِلَهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعَظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ» (رسالة يهوذا 24، 25).

3- المسيح الراعي الصالح يبحث عن الضال

حدثنا المسيح عن الراعي الصالح الذي يفتش عن الخروف الضال حتى يجده! وقال عن نفسه إنه ابن الإنسان الذي جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك.

كان الراعي في فلسطين يعرف الأثر. فإذا ضل منه خروف تبع أثره حتى يجده! والمسيح يعرف طبيعتنا، ويعرف نواحي الضعف فينا، فيفتش علينا حتى يجدنا. وكل راعٍ يحصي خرافه، فإذا نقص واحدٌ منها يذهب يفتش عليه إلى أن يجده! وكان يستعمل طريقتين لإرجاع الخروف الذي يبتعد عن القطيع: كان يستعمل العكاز، وهو عصا طويلة طولها طول الراعي نفسه، وطرفها أعوج (تشبه حرف ل) يسحب به الخروف الذي يسقط بين الأحجار والأشواك.. ثم كان يستعمل المقلاع، فإذا ابتعد الخروف جداً يرمي حجراً من المقلاع ليسقط أمام أنف الخروف، فيخاف ويرجع.

«كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إشعياء 53: 6).

فلنحتمِ بالراعي الصالح الذي «يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ» (مزمور 23: 3).

4- المسيح الراعي الصالح يعتني بالخراف

كل راعٍ صالح يتعب من أجل الخراف. وقد قال يعقوب: «كُنْتُ فِي النَّهَارِ يَأْكُلُنِي الْحَرُّ وَفِي اللَّيْلِ الْجَلِيدُ، وَطَارَ نَوْمِي مِنْ عَيْنَيَّ» (تكوين 31: 40).

وقال النبي داود: «اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي.. تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاهَ مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رَيَّا» (مزمور 23: 1-5). لهذا صلى المرنم آساف قائلاً: «يَا رَاعِيَ إِسْرَائِيلَ اصْغَ، يَا قَائِدَ يُوسُفَ كَالضَّأْنِ، يَا جَالِساً عَلَى الْكَرُوبِيمِ أَشْرِقْ. قُدَّامَ أَفْرَايِمَ وَبِنْيَامِينَ وَمَنَسَّى أَيْقِظْ جَبَرُوتَكَ، وَهَلُمَّ لِخَلاَصِنَا. يَا اللهُ أَرْجِعْنَا، وَأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصَ» (مزمور 80: 1-3).

«أَمَّا نَحْنُ شَعْبُكَ وَغَنَمُ رِعَايَتِكَ نَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ. إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ نُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِكَ» (مزمور 79: 13).

Titles 1-10

ألقاب المسيح

بقلم

الدكتور القس منيس عبد النور

هذا الكتاب

المسيحية هي المسيح. والمسيح حي في كل من يؤمن به ويقبله ويعترف به مخلِّصاً وفادياً، وشعاره: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ".

وفي تعرُّفنا على المسيح ندرس حياته، وندرس ألقابه. وفي هذا الكتاب يقدم المؤلف دراسة لأربعين لقباً للمسيح، بعضها أطلقها المسيح على نفسه، وبعضها أطلقها آخرون عليه . وقد حاول المؤلف أن يشرح كل لقب منها، مع تطبيق المعاني على حياتنا اليومية.

وهناك ألقاب أخرى كثيرة للمسيح لم يتطرق إليها المؤلف، منها "صاحب السلطان في السماء وعلـــى الأرض " و"المصلوب" و"المُقام"، ومنها الألقاب التي أطلقها عليه النبي إشعياء : "ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام" (إشعياء 6:9). وغير ذلك من الألقاب.

ونرجو للقارئ كل بركة في حياته وهو يتعرَّف على المسيح المخلِّص الحي.

1- يسوع

«فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه
يخلِّص شعبه من خطاياهم» (متى 1: 21)

اتَّخذ المسيحيون الأوَّلون رسم السمكة شعاراً لهم، وكانوا يستخدمونه ليتعارفوا بعضهم على بعض. فإذا التقى مسيحيٌ بشخص آخر، وأراد أن يعرف إن كان هذا الآخر مسيحياً، كان يرسم سمكة على الأرض. فإذا عرفها الشخص الآخر، أدرك كلاهما أنهما مسيحيان. أما إذا لم يعرفها فهذا يعني أن الآخر غير مسيحي. وقد اختار المسيحيون الأوَّلون السمكة شعاراً لهم لأن كلمة سمكة في اللغة اليونانية هي «إخثوس» وتتكوَّن من خمسة حروف، اتفقوا على أن كل حرف منها هو أول حرف في كلمة، وتكوِّن الكلمات الخمس جملة هي: «يسوع المسيح ابن الله مخلِّص».

وفي هذه الجملة نجد أربعة ألقاب للسيد المسيح.

يسوع المخلِّص:

لما حبلت العذراء مريم من الروح القدس وهي مخطوبة ليوسف النجار، فكر يوسف في ما يجب أن يفعله، حتى ظهر له ملاك الرب (ولعله جبرائيل) في حلم وقال له: «يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً، وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم» (متى 1: 20، 21) ومعنى كلمة «يسوع» الله يخلِّص. وقد ورد ستمائة مرة في الإنجيل المقدس. وكان اسماً مشهوراً بين اليهود، أطلقوه على أولادهم أملاً في أن يكون أحدهم هو المخلِّص الذي ينقذهم. لكن بعد أن اتخذ السيد المسيح هذا الاسم، توقف اليهود عن استعماله، لأنه اسم عدوهم. أما المسيحيون فقد توقفوا عن استعماله لأنه صار عندهم مقدساً. حتى أن هناك شخصاً كان يُسمَّى يسوع، أطلق عليه المسيحيون الأولون لقب «يسطس» (كولوسي 4: 11) حتى لا يطلقوا اسم مخلصهم العظيم على أي إنسان.

وكان الناس قديماً يطلقون على بعضهم ألقاباً ذات معانٍ، وكان اللقب يحمل صفة الشخص. فقد لُقب يوحنا بالمعمدان لأنه كان يعمد، وكان لقب سمعان تلميذ المسيح «سمعان الغيور» لأنه من حزب الغيورين السياسي، أما سمعان الآخر فلقد أطلق عليه السيد المسيح اسم «بطرس» بمعنى «صخرة» لأن الكنيسة ستُبنى على الإعلان الذي يعلنه، وعلى الإنجيل الذي سيعمل على نشره. واسم يسوع معناه «الله يخلِّص». وقال أحد المؤمنين: «اسم يسوع أحبُّ اسمٍ لقلبي، لأنه عزاء للخاطئ الذي يدعوه، فيقدم له الغفران. وهو اسم فوق كل اسمٍ لأنه من البدء، وقد أُعطي للبشر مخلصاً. اشتهاه وانتظره آباء الإيمان، وتنبأ عنه أنبياء التوراة، وأعلنه الله لنا في عهد النعمة. ونشره الرسل القديسون في الأرض، وشهد له الشهداء حتى دفعوا حياتهم ثمناً لإيمانهم، وفرح به المؤمنون في العالم كله».

ابن الله المخلِّص المنتظر:

قال الملاك للعذراء وهو يبشرها بميلاد المسيح: «ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية» (لوقا 1: 31-33). فهو الذي سيخلص الشعب من العبودية والذل، ويعيد لهم الحرية والخلاص.

****

والاسم يسوع هو نفسه اسم يشوع وهوشع في اللغة العبرانية، وله نفس المعنى. فيشوع (تلميذ موسى) أكمل عمل موسى. موسى أنقذ شعبه من المذلة، ويشوع أدخل شعبه إلى الراحة. وهو ما حدث روحياً، فقد أُعطيت الشريعة

لموسى، وهي تشبه مسطرة القياس، إذا وقف إنسان أمامها تُظهِر أنه ناقص وأعوج! وجاءنا المسيح بالنعمة التي تُدخلنا أرض الراحة، لأنها تؤكد للخاطئ الأعوج الناقص أن الله سيُعيد تقويمه ويصلح من أمره بأن يعيد خلقه.

وهذا ما يفعله المسيح معنا، فإنه إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً (2كورنثوس 5: 17). ويسوع المسيح هو الطريق والحق والحياة، الذي يُدخل كل مؤمن بخلاصه إلى الراحة والمجد بعد أن يخلصه من خطاياه.

****

وقد عرف تلاميذ المسيح أن يسوع هو المخلِّص المنتظَر، فقد وجد تلميذ المسيح فيلبس صديقه نثنائيل فقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة». فسأله نثنائيل متعجباً: أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟» فأجاب فيلبس: «تعال وانظر». فسارا معاً إلى حيث كان يسوع. ورأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال عنه: هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» فقال له نثنائيل: «من أين تعرفني؟» قال له المسيح: قبل أن دعاك فيلبس، وأنت تحت التينة، رأيتك». فقال نثنائيل: «يا معلم، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» (يوحنا 1: 43-49).. وفي إعلان نثنائيل أوضح إيمانه بأن السيد المسيح ابن الله، وهو المخلص الذي طالما انتظروه ليخلصهم من خطاياهم.

وقُرب نهاية خدمة المسيح على الأرض سأل تلاميذه عن من يقول الناس إنه هو، فأجابوه بإجابات مختلفة، ثم وجَّه السؤال إليهم، فقال له بطرس: أنت هو المسيح ابن الله الحي» (متى 16 :16). بمعنى أنك أنت المخلص الذي طالما انتظرناه، وها قد جئت إلينا لتخلصنا. ابن الله بمعنى المخلص المنتظر.

هذا هو اللقب العزيز على قلب المسيحيين جميعاً، أن المسيح ابن الله، الابن الوحيد الذي كل من يراه يرى الآب. وهو المخلص المنتظر، وهو صاحب السلطان. ندعوك أن تفتح قلبك له وتؤمن به.

المخلِّص من الخطية:

تدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم» فإن الخطية حملٌ ثقيل يكسر الظهر، وهي أسرٌ وذلٌ واستعباد. وقد جاء المسيح ليخلصنا منها فهو الذي قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى 11: 28). وقال: «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يوحنا 8: 36).

وجاء المسيح ليخلِّصنا من أجرة الخطية التي هي موت. فإنه «بإنسانٍ واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رومية 5: 12). وجاء المسيح لينقذنا من الموت، حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة في البر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا. لقد فصلتنا الخطية عن الله وأبعدتنا عنه، كما يقول نبي التوراة إشعياء: «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع» (إشعياء 59: 2) ويخاطب النبي إشعياء الله فيقول: «ليس من يدعو باسمك أو ينتبه ليتمسَّك بك، لأنك حجبت وجهك عنا، وأذَّبتنا بسبب آثامنا» (64: 7). وجاء يسوع مخلصاً ليُرجع العلاقة بيننا وبين الله، لأنه جاء ليطلب ويخلص ما قد هلك (لو 19: 10). وبعد أن يخلصنا نقدر أن نقول مع رسول المسيحية بولس: «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رومية 5: 1).

كيف حالك مع الله؟ هل أنت في خصام معه؟ هل أنت عبدٌ للخطية؟ جاء المسيح من السماء ليخلصك، وهذا معنى اسم يسوع المخلص. وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص (أعمال 4: 12).

ابدأ الآن بداية جديدة مع الله، افتح قلبك له واطلب خلاص المسيح، والله يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (1تيموثاوس 2: 4). اطلب خلاص المسيح الآن، ومن يُقبل إليه لا يخرجه خارجاً (يوحنا 6: 37).

2- المسيح

«أنت هو المسيح» (متى 16: 6)

معنى لقب «المسيح» أنه الممسوح من الله بقوة الروح القدس ليقدِّم الخلاص للبشر، وهو ترجمة كلمة عبرية تعني المسيا، أي المخلص المنتظر. وعندما سأل المسيح تلاميذه: «من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟» أجابوه: قومٌ يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرون يقولون إنك إيليا، وآخرون يقولون إنك إرميا أو واحدٌ من الأنبياء ». فعاد المسيح يسألهم : «وأنتم من تقولون إني أنا؟ » فأجابه سمعان بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي». فقال له المسيح: «طوبى لك يا سمعان بن يو نا. إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات» (متى 16: 13-17).

كان اليهود يقسمون الزمان إلى قسمين: «العالم الحاضر» وهو زمان الشر والفساد الذي يسود فيه سلطان إبليس، وكانوا يقولون إن إصلاحه مستحيل . و«العالم الآتي» وهو زمان الخير والبركة الذي يسود فيه سلطان الله على العالم. وكانوا يعتقدون أن نهاية العالم الحاضر الشرير وبداية العالم الآتي المبارك ستحدث عندما يجيء المسيا المخلص المنتظر إلى أرضنا . كانوا يؤمنون أن إصلاح العالم لا يمكن بدون مجيء المسيح، لأن مجيء المسيح سيغيِّر العالم.وكانوا ينتظرون إيليا قبل مجيء المسيح ليجهِّز الطريق له، تحقيقاً لنبوة النبي ملاخي التي جاءت في التوراة والتي يقول فيها: «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب . فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم » (ملاخي 4: 5، 6). فيجيء إيليا ليحل بعض المشاكل، مثل عصيان الأبناء على آبائهم. وبعد ذلك يأتي المسيح إلى عالم أفضل مستعد لقبوله.

ولما مضى زمان طويل دون أن يأتي المسيح بدأ اليهود يقولون : «لو أن اليهود جميعاً حفظوا الناموس كله مدة يوم واحد يجيء المسيح » ثم قالوا: «لو أن اليهود كلهم حفظوا يومي سبت متتاليين بدون خطية لجاء المسيح ». من هذا نرى أن اليهود كانوا يهتمون بحفظ الناموس، لكنهم كانوا يرون عجزهم عن حفظه . كانوا ينتظرونه محرراً سياسياً لبلادهم، وملكاً أرضياً يملك على مملكة أرضية لخير الأجساد . وجاء المسيح ملكاً روحياً يملك على القلوب. وجاء يوحنا المعمدان وجهز الطر يق أمام مجيئه . كان اليهود ينتظرون عودة إيليا، حسب تفسيرهم الحرفي لنبوة ملاخي، ولم يصدقوا أن يوحنا المعمدان هو إيليا المنتظر . لكن يوحنا جاء بروح إيليا، يعظ كما كان إيليا يعظ، ويأكل ويحيا كما كان إيليا يأكل ويحيا . ولذلك قال السيد المسيح عن يوحنا السيد المسيح ملكاً روحياً يملك على القلوب، ولم يصدق كثيرون من سامعيه أن هذا النجار الفقير الذي جاء من ناصرة الجليل يمكن أن يكون نبياً أو يمكن أن يكون مخلصاً.

المسيح النبي والكاهن والملك:

المسيح هو المدهون بدهنة المسحة التي تخصصه لخدمة ممتازة . وكانوا في التوراة يمسحون النبي والكاهن والملك. فيكون أن المسيح الممسوح بدهنة المسحة هو النبي والكاهن والملك، فقد ظهر هذا المعنى في الهدية التي قدمها المجوس للسيد المسيح، عندما قدموا له ذهباً ولباناً ومراً . إذاً تعالوا نرى هذه الخدمات الثلاث التي يؤديها المسيح لنا.

المسيح هو النبي الذي يعلن لنا رسالة الله وصوته لقد قال النبي إشعياء إن المسيح الآتي يقول : «روح السيد الرب عليَّ، لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب، لأعزّي كل النائحين » (إشعياء 61: 1). ووقف السيد المسيح في مجمع الناصرة ، ودفع إليه سفر النبي إشعياء فقرأ «روح السيد الرب عليّ، لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي منكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة ». ثم

قال لسامعيه: «اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم » (لوقا 4: 16-21). وتعجبوا جميعاً من كلمات النعمة الخارجة من فمه. فقد كان يتكلم كمن له سلطان وليس كالكتبة.

جاء المسيح نبياً ليعلن للشعب رسالة الله، الله لم يره أحدٌ قط، ولكن المسيح هو الذي خبر . وهو قد قال: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يوحنا 14: 9). هو الكلمة.

والمسيح ممسوح بمسحة الدهن المقدسة بمعنى أنه كاهن . لقد طلب الله من موسى في التوراة أن يأخذ دهنة المسحة ويسكب على رأس هارون وأولاده، فيكون لهم الكهنوت . وكان الكاهن يصلي عن الشعب ويقدم عنهم الذبائح. والمسيح كاهننا العظيم الذي عن طريقه نتقرب إلى الله . هو الذي قدم نفسه ذبيحة لله عن الشعب، وبه نتقرب إلى الله، وهو الذي يشفع فينا . لذلك يقول رسول المسيحية بولس : «يوجد إلهٌ واحد ووسيطٌ واحدٌ بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (1تيموثاوس 2: 5).

والمسيح ملك. قال عنه إشعياء بروح النبوة «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته» (إشعياء 9: 6، 7). وعند يقول بروح النبوة : «تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌ لمجد الله الآب» (فيلبي 2: 10، 11).

هذا هو المسيح النبي الذي أعلن لنا من هو الله، لأنه كلمة الله، والكاهن الذي يقربنا إلى الله، يصلي لأجلنا ويشفع فينا. وهو الملك الذي يستحق وحده أن يملك على قلوبنا. فهل أعطيته سلطاناً وملكاً على حياتك؟

هل بواسطته وجدت طريقك إلى الله، وهل تصالحت مع الله عن طريق المسيح الذي قدم نفسه ذبيحة كفارية عنك؟

3- ابن الله

«أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله» (أعمال 8: 37)

عندما يفكر المسيحيون في السيد المسيح، فإن أول لقب ببالهم أنه ابن الله. أنه ابن مريم. من أبوه؟ لقد ولد من الروح القدس، لذلك نقول أنه ابن الله. ولقد ورد هذا اللقب أربعاً وأربعين مرة في العهد الجديد، ورد على فم الآب السماوي، فقال: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مرقس 1: 11). وكرر الآب السماوي مرة أخرى هذا اللقب على جبل التجلي عندما نزل موسى وإيليا من السماء يتكلمان مع المسيح، وجاء صوتٌ من السماء يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا» (متى 17: 5). ويقول البشير متى إن مجيء السيد المسيح إلى مصر حقق نبوة نبي التوراة هوشع تقول: «من مصر دعوت ابني» (متى 2: 15).

ولقد ورد هذا اللقب الحبيب على فم الملاك الذي بشر العذراء القديسة مريم بذلك الميلاد المعجزي العجيب. فعندما أعلن لها الملاك جبرائيل أنها ستلد المسيح، قالت: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» أجابها الملاك: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله» (لوقا 1: 35).

وورد لقب المسيح ابن الله على فم تلاميذ المسيح المقرَّبين. فقد قال يوحنا المعمدان: «أنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (يوحنا 1: 34). ومرة كان تلاميذ المسيح في سفينة معذَّبين من الأمواج، وكانت الريح معاكسة لهم، فجاءهم المسيح ماشياً على ماء البحيرة، فظنوه خيالاً، لكنه شجعهم قائلاً: «أنا هو. لا تخافوا». فقال له بطرس: «إن كنت هو المسيح، فمرني أن آتي إليك ماشياً على الماء». فدعاه المسيح أن يسير على الماء، ففعل. وعندها دخل المسيح وتلميذه بطرس إلى السفينة. سكنت الريح، فتقدم التلاميذ الذين في القارب وسجدوا للمسيح قائلين: «بالحقيقة أنت ابن الله» (متى 14: 33).

وعندما ذهب السيد المسيح إلى بيت مرثا ومريم بعد أن مات أخوهما لعازر، قالت له مرثا: «أنا قد آمنت أنك أن المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (يوحنا 11: 27). ويفتح البشير مرقس إنجيله بقوله: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (مرقس 1:1). ونقرأ عن شاول الطرسوسي الذي تغيَّرت حياته، وصار فيما بعد الرسول بولس، أنه أخذ «يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله» (أعمال 9: 20). ويحدثنا الإنجيل المقدس أن وزير مالية الحبشة كان يتعبَّد في أورشليم، وأخذ نسخة من نبوة النبي إشعياء، جعل يقرأ فيها وهو في عربته في طريق عودته، عندما رافقه واحدٌ من رسل المسيح واسمه فيلبس، وسأله عما يقرأه، وشرح له تلك النبوات التي جاءت في التوراة وتحققت في المسيح المخلص. وآمن الخصيُّ الحبشيُّ بالمسيح وقال: «أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله» (أعمال 8: 37).

ما المقصود بلقب ابن الله؟

تعودنا أن نسمع اللقب «المسيح ابن مريم» فمن يكون أبوه، إلا الله الذي سبَّب الحبل به من العذراء القديسة مريم؟ نقول "ابن مريم" فنعطي انتماءه لأمه. ولكي ينتمي إلى أب نقول «ابن الله».

ثم إننا نعني أنه مثل الله. الذي رآه فقد رأى الله (يوحنا 14: 9). لقد قال المسيح إن الذين يصلّون لأجل الذين يسيئون إليهم هم أبناء الآب السماوي، لأنهم يتصرفون مثله، فهو يشرق شمسه على الأشرار والصالحين (متى 5: 44، 45). والمسيح هو صورة الله غير المنظور وفيه سُرَّ أن يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (كولوسي 1: 15، 19، 2: 9).

هل قال المسيح عن نفسه إنه ابن الله؟

نعم، لقد قالها أكثر من مرة . نقرأ في الأصحاح التاسع من بشارة يوحنا أن المسيح التقى برجل أعمى منذ ولادته، وطلب منه أن يذهب إلى بركة سلوام ليغسل عينيه ويرجع بصيراً وبعد أن رجع التقى بالمسيح فسأله :
«أتؤمن بابن الله؟ فقال الأعمى بعد أن انفتحت عيناه :ومن هو يا سيد لأؤمن به؟ » أجابه المسيح: «قد رأيته، والذي يتكلم معك هو هو». فقال الرجل: «أؤمن يا سيد» وسجد له (يوحنا 9: 35-37).

ومرة تناول اليهود حجارة ليرجموا بها المسيح، فقال لهم: «أريتكم أعمالاً صالحة كثيرة من عند أبي، فبسبب أي عمل منها ترجمونني؟ » أجابوه: «لا نرجمك بسبب عمل صالح، بل بسبب تجديفك، لأنك تجعل نفسك الله وأنت إنسان».فقال لهم يسوع : «أليس مكتوباً في شريعتكم أنا قلت إنكم آلهة؟ فإذا كانت الشريعة تدعو أولئك الذين نزلت إليهم كلمة الله آلهة ، والكتاب لا يمكن أن يُنقض، فهل تقولون لمن قدسه الآب وبعثه إلى العالم : أنت تجدف، لأني قلت أنا ابن الله؟» (يوحنا 10: 31-36 من ترجمة كتاب الحياة).

كان المسيح يشعر دوماً أنه ابن الله عندما كان في الثانية عشرة من عمره يزور هيكل أورشليم، وجاءت مريم ويوسف يفتشان عليه، قال لهما: "ينبغي أن أكون فيما لأبي" (لوقا 49:2).

وفي بستان جثسيماني وهو يصلي، قبل إلقاء القبض عليه للصليب، سمعناه يقول للآب : "يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس" (لوقا 39:22-44). ووقت محاكمته أمام رئيس الكهنة سألوه: "أفأنت ابن الله؟" فقال لهم: أنتم تقولون إني أنا هو " فصرخوا: "ما حاجتنا بعد إلى شهادة؟ لأننا نحن سمعنا من فمه" (لوقا 70:22) وعلى الصليب ختم حياته على أرضنا بقوله: "يا أبتاه، في يديك استودع روحي" (لوقا 46:23).

المؤمنون أبناء الله:

يتحدث الكتاب المقدس عن أن المؤمنين هم أيضاً أبناء الله.

المؤمنون يخاطبون الله على أنه الآب السماوي ويدعونه بدالة البنين قائلين : "يا أبا الآب " (غلاطية 6:4).. كما أن المسيح خاطب الآب السماوي بدالة الابن قائلاً: "يا أبا الآب" (مرقس 36:14).

لكن الفرق الكبير بين المؤمنين كأبناء لله، وبين المسيح كابن لله، هو أن بنوة المؤمنين مكتسبة، أنعم الله بها عليهم أما بنوَّة المسيح فهي أزلية أصيلة .. بنوة المسيح أصيلة أصيلة، من قبل كل الدهور، ولكن بنوية المؤمنين تأتيهم عن طريق اتحادهم بالمسيح وثبوتهم فيه .ولنسمع بولس الرسول يقول :إذْ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته" (أفسس 5:1 و6).

ومن ألطاف الله وإنعاماته علينا أنه تنازل وقبل أن يجعلنا أبناءً له، بعد أن كنا عبيداً للخطية، وأعداءً له، ومطرودين من بيته وفردوسه، فيقول إنجيل يوحنا كلّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله . أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله " (يوحنا 12:1 و13).

ويقول الرسول يوحنا: "إن علمتم أنه بار هو، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه. انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله" (1يوحنا 29:2 و1:3).

ويقول الرسول بولس عن المؤمنين إنهم أولاد الله الذين ينقادون بروح الله (رومية 14:8).

ما هو الفرق إذاً بين المسيح ابن الله، وبين المؤمنين أولاد الله؟

الفرق الأول أن المسيح ابن الله من الأصل بالطبيعة منذ الأزل.

أما المؤمن فهو ابن بالتبني، إذ رضى الله في رحمته أن يجعله ابناً له!

والمسيح هو الابن الوحيد .. الذي وحده يقدر أن يقول: "أنا والآب واحد" (يوحنا 30:10) وهو وحده الذي يقدر أن يقول: "الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا 9:14).

أما المؤمن فهو يرى الله في المسيح. "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر" (يوحنا 18:1).

الابن صاحب السلطان:

قال المسيح: "كل شيء قد دُفع إليّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلا الآب. ولا أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (متى 27:11) وقال: "كل ما للآب هو لي" (يوحنا 15:16).

له سلطان على كل شيء. وهو الذي يدين: "ولأن الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يوحنا 22:5). وكل من له ابن الله يتمتع بحمايته وخلاصه.

الابن يقود للآب:

قال المسيح: "الآب يعرفني وأنا أعرف الآب" (يوحنا 15:10) وعلى هذا فإنه "ليس أحد يأتي إلا الآب إلا بي" (يوحنا 38:8).

وهو وحده الذي يقودنا إلى الآب، لأنه وحده يعرف الآب. "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يوحنا 36:3).

الابن يطيع الآب:

والمسيح ابن الله يطيع الآب السماوي.

إنه يقول: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله" (يوحنا 34:4).

ويقول: "لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً" (يوحنا 19:5 و30).

ويقول: "لأني قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا 38:6).

وفي هذا نرى تواضع المسيح، الذي أخلى نفسه، وأخذ صورة عبد، وصار في شبه الناس. كما إننا نرى كماله وعدم خطيته في طاعته الكاملة للآب.

أنه الكامل..

وهو الذي تنازل!

4- مخلِّص

«ولد لكم اليوم في مدينة داود
مخلص هو المسيح الرب» (لوقا 1:2)

كان المسيحيون الأوّلون يستعملون السمكة رمزاً لهم يتعارفون عن طريقها عندما يرسمونها، لأن كلمة السمكة في اللغة اليونانية كانت تتكون من خمسة حروف كل حرف منها أول كلمة تصنع عبارة تقول: "يسوع المسيح ابن الله مخلص".

نتأمل اللقب المحبب إلى قلب كل مؤمن بالمسيح، لقب "المخلص" لأنه مخلصنا. لقد جاء السيد المسيح إلى عالم كان ظامئاً إلى مخلص، فقد قال سنيكا: "العالم يتطلع إلى خلاص قادم". وسنيكا هو رجل الدولة الروماني والفيلسوف الذي عاش من سنة 54 قبل الميلاد إلى سنة 39 بعد الميلاد. فقد كانت الحالة السياسية والاقتصادية والأخلاقية في الإمبراطورية الرومانية تسوء قبل الميلاد بقرنين، وجعل كثيرون من البشر يتطلعون إلى الإنقاذ والخلاص، حتى أطلقوا على كثيرين من حكامهم لقب المخلص. كان هذا لقب كل حاكم من البطالمة في مصر. كما قال الإثينويون عن يوليوس قيصر إنه المخلص. وأطلق الناس لقب "مخلص" على أوثانهم، ومنهم الإله سكلابيوس إله الشفاء فكان الناس يتجمعون في هيكله، يصرفون الليل كله آملين أن ذلك الإله، في ظلمة الليل، يلمس أجساده ليشفيهم وسموه مخلص العالم.

معنى الخلاص:

وأود أن أضع أمامك المعاني التالية لكلمة الخلاص:

1- **المعنى الأول للخلاص هو السلام والنجاح:**

يشعر الإنسان بأنه منفصلٌ عن الله، لأن الخطية فصلت بينه وبين الرب. لقد كان جدُّنا الأول آدم سعيداً في الجنة يلتقي بالله ويخاطبه، لكن ما أن أخطأ حتى خاف وابتعد، فجاءه الله يدعوه باسمه آدم، أين أنت؟ "ليصنع معه صلحاً. ويقول أيوب إمام الصابرين: "ليس بيننا مصالحٌ ضع يده على كلينا" (أيوب 33:9) لأنه شعر أن الله صار له عدواً يعاقبه، وهو يطلب شخصاً يصنع السلام بينه وبين الله. والمسيح هو صانع السلام. لنستمع إلى ما يقوله الإنجيل المقدس عنه: "الكل من الله الذي صالحنا لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: "تصالحوا مع الله. لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برَّ الله فيه" (2كو 18:5-20) ويتحدث رسول المسيحية بولس قائلاً عن المسيح: "الذي أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا. فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون. ونفتخر على رجاء مجد الله". ثم يقول: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحدٍ دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع، وصار الحكم إلى جميع الناس للدينونة. هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة، حتى كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح. لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية 25:4 و 1:5 و1 و12 و18 و23:6).

هل تحس أنك مغتربٌ عن الله بعيد عنه؟ هل تحس أن خطيتك تفصل بينك وبينه، حتى أنك لا تلقى استجابة لصلاتك عندما تدعوه؟ أؤكد لك أن السيد المسيح هو المخلص الذي إذا فتحت له قلبك سوف تنعم بسلام حقيقي مع الله.

2- **لقب المخلص يعني الإنقاذ من كل حالة يائسة:**

لقد جاء المسيح إلى عالمنا ليخلصنا فعلاً. تعال نتأمل ما فعله مع البشر المتعبين. لقد بدأ خدمته في الناصرة بأن قرأ نبوءات عنه في كتابات إشعياء نبي التوراة، يقول فيها: "روح الرب علي لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب. لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لوقا 4:18 و19).

جاءنا المسيح ليخلصنا من كل موقف بائس. عندما رأى الجياع قدم لهم مائدة، إذ أخذ الخبزات الخمس والسمكتين وبارك وأعطى تلاميذه ليوزعوا، فأكل الجميع وشبعوا وفضل عنهم (يوحنا 6:1-15). فإذا نحن قصدنا المسيح وسلمناه زمام حياتنا وجدنا أنه يعتني بنا إن توجيهاته لنا تضمن سعادتنا، وعندما نسلمه قيادة حياتنا نضمن أننا ننجو من كل موقف قاس. لعلك تتذكر تلك السيدة التي كانت مصابة بنزيف دم، وأنفقت كل ما عندها على الأطباء فلم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ. إلى أن لمست هُدب ثوب المسيح فنالت الشفاء (مرقس 5:25-34). نحن اليوم عندما نجيء في مرضنا وتعبنا يلمسنا لمسة حب تجعلنا قادرين أن نواجه المواقف القاسية بنعمة وشجاعة، لأنه يحقق لنا ما قاله رسول المسيحية بولس عندما صلى أن يشفيه الله من مرض، فلم يقدم له الشفاء بل قال له: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل" (2كو 12:9). نعم قد يشفينا من مرضنا، أو قد يمنحنا النعمة التي تجعلنا نعيش مع المرض بسلام نستمده من عنده هو.

فافتح قلبك للسيد المسيح، المخلص القادر أن يريحك من كل ما يتعبك فهو الذي قال: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (متى 11:28).

3- **المعنى الثالث للخلاص هو غفران الخطية:**

فإن الخطية حملٌ قاس وسيدٌ مستبد من يفعل الخطية هو عبد للخطية. عندما تكون مستعبداً لعادة شريرة تحسُّ بإذلالها، ترى أنك محتاجٌ لهذا المخلص الذي يقطع رُبُط النير من على كتفيك، ويطلقك حراً، ويقول لك: وتعرفون الحق والحق يحرركم إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يوحنا 8:32 و36). أعرف كثيرين تغيَّرت حياتهم تماماً وانتصروا على خطاياهم، لأن السيد المسيح وهبهم النعمة والقوة التي جعلتهم يغلبون الخطية. أدعوك أن تتعرف على المسيح لتجد نصرتك الكاملة.

4- **المعنى الأخير الذي أقدمه عن معنى المخلص أنه الإنقاذ من الدينونة النهائية:**

أجرة الخطية هي موت. هناك موتٌ أخلاقي عندما ينفصل الإنسان عن الله، وهناك موتٌ جسي عندما تفارق أرواحنا أجسادنا، وهناك موتٌ أبدي عندما يلقى الشرير في بحيرة النار والكبريت. والمسيح ينقذنا من الدينونة الأخيرة (رومية 8:1).

عزيزي القارئ، لقد ظهر مخلصنا المسيح في الأزمنة الأخيرة لينقذنا من قيود الخطية والشر، وليضمن لنا حياة أبدية. ولا عجب أن قال المسيح: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3:16). فالحياة الأبدية لك ان فتح قلبك للمسيح المخلص ليغيرك وليعطيك حياة جديدة وقلباً جديداً.

5-الله

«ويدعى اسمه.. إلهاً قديراً» (إشعياء 6:9)

قال توما للمسيح، وهو يسجد له : "ربي وإلهي" فقبل منه المسيح هذا السجود . وقال رسول المسيحية بولس عنه : "عظيم هو سرُّ التقوى : الله ظهر في الجسد " (1تيمو 16:3) كما قال أيضاً "فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت، جسدياً " (كولوسى 2: 9). وفى موقف مقارنة بين السيد المسيح والملائكة، يتساءل الإنجيل المقدس : "فلأي واحد من الملائكة قال الله مرة "أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك " أو قال "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" . وعندما يعيد الله ابنه البكر إلى العالم يقول : ولتسجد له ملائكة الله جميعاً. أما عن الملائكة فيقول : جعل ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار، لكنه يخاطب الابن قائلاً : عرشك يا الله ثابت إلى أبد الآبدين، وصولجان حكمك عادل ومستقيم. إنك أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك ملكاً ، إذ صب عليك زيت البهجة أكثر من رفقائك. كما يخاطب الابن أيضاً بقوله : أنت يا رب وضعت أساس الأرض في البداية، والسماوات هي صنع يديك، هي تفنى وأنت تبقى ، فسوف تبلى كلها كما تبلى الثياب ، فتطويها كالرداء ثم تبدلها. ولكنك أنت الدائم الباقي، وعمرك لن ينقضي". ثم يستمر الإنجيل المقدس في التساؤل: "فهل قال الله مرة لأي واحد من الملائكة ما قاله للابن: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك؟ فليست الملائكة إلا أرواحاً خادمة ترسل لمساعدة الذين سيرثون الخلاص" (عبرانيين 5:1 –14).

وعندما نفكر في لاهوت المسيح، نقف في خشوع لأننا نتأمل غير المحدود الذي تواضع وأخذ جسماً بشرياً، "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس، وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي 6:2-8).

ويقول لنا الإنجيل المقدس إنه لا يستطيع أحد أن يقول إن يسوع المسيح رب إلا بالروح القدس (1كو 3:12) فغن لاهوت المسيح سر، وعظيم هو سر التقوى : الله ظهر في الجسد . ومعنى كلمة سر في الكتاب المقدس أنه الشيء الغامض الذي يكشفه الله للإنسان، لأن الإنسان لا يقدر أن يكتشفه لنفسه بدون إعلان إلهي.

فافتح قلبك لعمل الروح القدس، وبعد أن يقتنع قلبك ستجد أن عقلك قد اقتنع، كما يقول الفيلسوف باسكال : إن للقلب براهينه كما للعقل أيضاً براهينه، ولاهوت المسيح شيء تلمسه بقلبك قبل أن تلمسه بفكرك.

الوحدانية المركَّبة:

سُئل السيد المسيح مرة: "ما هي أعظم وصية؟" فأجاب: "أول كل الوصايا هي: الرب إلهنا هو رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الأولى، والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك " (متى 34:22-40). رب إلهنا رب واحد، هكذا قال السيد المسيح . والكلمة المترجمة "واحد" تدل على وحدانية مركبة لا وحدانية بسيطة. فمثلاً جسد الإنسان واحد، لكنه من وحدة مركبة، لأنه مكون من أعضاء كثيرة. نحن نؤمن برب واحد فيه ثلاث أقانيم : الأقنوم الأول: الله الآب. والأقنوم الثاني: الابن، المسيح، الكلمة. والأقنوم الثالث: الروح القدس. ونحن نرى هذه الأقانيم الثلاثة، ومع ذلك نرى أن الله واحد، ولذلك نحن نؤمن أن الله واحد وحدة مركبة وليست وحدة بسيطة . لكن كيف للعقل البشري المحدود أن يدرك الله غير المحدود؟ هل نقدر أن نضع مياه البحر في نقرة نحفرها علي الشاطئ ؟ حتى لو استطعنا ذلك فإننا لن نستطيع ان ندرك أسرار الله الخالق بعقولنا التي خلقها هو . فالله بلا كيف .

نحن نري الأقانيم الثلاثة معاً وقت معمودية السيد المسيح , فلقد كان الابن يتعمد في الماء, والروح القدس نازلاً في هيئة جسميه كحمامة و آتياً عليه, وصوت الآب من السماء يقول : "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متي 16:3 و 17)، أقنوم من الثلاثة يتكلم مع الأقنوم الآخر، فالآب يتكلم مع الابن . إذ نقرأ في المزمور المائة والعاشر: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئاً لقدميك ". والابن تكلم مع الآب قائلاً: "أيها الآب مجد اسمك" فجاء صوت من السماء: "مجدت وأمجد أيضاً" (يوحنا 28:12).

وفي نبوة إشعياء الأصحاح الثامن والأربعين نقرأ قول المسيا الآتي مخلصاً للعالم : منذ وجوده أنا هناك . والآن السيد الرب أرسلني، وروحه" فالمسيح موجود منذ وجود الآب، يقول: "اليد الرب أرسلني الآن، في ملء الزمان. أرسل الله الابن إلى العالم ويقول :الآن السيد الرب أرسلني، وروحه ". وفي الأصحاح الحادي والستين في نبوة إشعياء يقول المسيا الآتي روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني " فالابن يقول "مسحني". الرب مسحه، وروح السيد الرب عليه.

ما أعظم هذا الفكر، أن الله مشغول بخلاص البشر، يريد سعادتهم. الآب والابن والروح القدس معاً، يعملون على إنقاذ الإنسان من خطئه ومن شره . إن الله مشغول بخلاص الإنسان بالرغم من فساد الإنسان، فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟.

الله واحد مما في هذا شك، لكن وحدانيته مركبة. نقرأ قول السيد المسيح في أمرنا بالمعمودية: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " (متى 19:28). لا يقول عمدوهم بأسماء بل عمدوهم باسم .فهناك إله واحد :الآب والابن والروح ا لقدس. والسيد المسيح هو الأقنوم الثاني، الله الابن الأزلي، الذي جاء أرضنا ليخلصنا يتساءلون: "من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه".

ثم واجه المسيح مجنوناً كان يقطع الطريق على المارة، فأمر المسيح الشياطين أن تخرج منه، فخرجت الشياطين وشفي الرجل.

والتقى المسيح بامرأة مريضة بنزف الدم منذ اثنتي عشرة سنة، وقد أنفقت كل مالها على العلاج دون أن تستفيد شيئاً، بل صارت إلى حال أردأ. ولما لمست هدب ثوب المسيح نالت الشفاء التام.

ثم دخل المسيح بيت رئيس لمجمع اليهود، اسمه يايرس، كانت ابنته قد ماتت، فأمسك المسيح بيدها وقال لها: "يا صبية لك أقول قومي" وللوقت قامت الصبية ومشت.

من هو هذا الذي يملك السلطان على الطبيعة وعلى الأبالسة وعلى المرض وعلى الموت إلا الله؟ لذلك نقول إن المسيح هو الله.

4- وهو العالم بكل شيء، فقد قال له تلاميذه بعد أن عرفوه جيداً: "الآن نعلم أنك عالم بكل شيء، ولست تحتاج أن يسألك أحد، لهذا نؤمن أنك من الله خرجت " (يوحنا 30:16). ويشهد الرسول عنه أنه "المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم" (كولوسي 3:2).

5- وهو القادر على كل شيء، عنه يقول سفر الرؤيا إنه القادر على كل شيء " (8:1)ويقول في العبرانيين : "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (3:1). وليس هذا غريباً، فإنه بحسب عمل استطاعته يخضع لنفسه كل شيء" (فيلبي 21:3). بل نحن نستطيع كل شيء (في 13:4) كم نصر ضعيفاً، وأنقذ أسيراً.

6- وقد أقام الأنبياء بعض الموتى بعد أن طلبوا ذلك من الله في الصلاة، لكن المسيح صاحب السلطان على الحياة لأنه الخالق. ولذلك أمر الميت أن يقوم فقام.. وقد قال شاعر عربي:

كان رجال الله تحيي ميتاً بصلاتها ودعائها المتقدم

وتراه يحيي الميتين بأمره هذا الإله، ومن تنكر يندم!

أعمال المسيح هي أعمال الله:

والمسيح يعمل الأعمال التي لا يعملها إلا الله، وهي الخلق والخلاص والإقامة من الأموات والدينونة..

1- المسيح الخالق: كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان " (يوحنا 3:1). "كان في العالم وكوّن العالم به" (يوحنا 10:1) – "فيه خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض" (كولوسي 16:1).

2- المسيح يقيم من الأموات: كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء" (يوحنا 21:5) "فقد ابطل الموت وأنار الحياة والخلود" (2تيمو 20:1) وقد قال: " أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا" (يوحنا 25:11) "وهذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا 39:6).

3- والمسيح يدين في اليوم الأخير – فيتساءل بولس ويجيب: مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح " (رومية 34:8) فالآب" لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن " (يوحنا 2222:5) وهو "المعيَّن من الله ديَّاناً للأحياء والأموات" (أعمال 42:10).

ما قاله المسيح:

هذا هو المسيح، الله ظهر في الجسد، الذي يقول عن نفسه:

"أنا والآب واحد" (يوحنا 30:10)

"الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا 8:14)

حتى شيوخ اليهود انتقدوا عليه أنه " قال إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله" (يوحنا 18:5).

قال كليف س لويس، الذي كان أستاذاً بجامعة كامبريدج "إني هنا أحاول أن أمنع من يُجرِّب أن يقول القول الفارغ: إني أقبل المسيح كمعلم أخلاقي عظيم، ولكني لا أقبل دعواه بأنه الله، فهذا ما لا يجب أن يقوله عاقل! فإن ما قاله المسيح عن نفسه لا يجعل منه معلماً أخلاقياً عظيماً، لكنه إما أن يكون مجنوناً، أو شيطاناً. فهو إما مجنون، أو هو الشيطان نفسه. وقد ترفضه وتحكم عليه بالجنون، أو تبصق عليه وتقتله كشيطان، أو تجثو عند قدميه وتدعوه رباً وإلهاً. ولكن لنترك جانباً اللغو الفارغ بأنه معلم عظيم، فلم يترك لنا الفرصة لنقول مثل هذا الكلام، ولم يرد لنا أن نقوله!".

إن كلام المسيح جزء من ذات نفسه، وليس نطق نبي يعلن كلام سواه. فلو أننا فصلنا بين يسوع وأقواله، لا تعود لها قوتها. ويقول المؤرخ العظيم كنث لاتوريت أستاذ التاريخ المسيحي في جامعة بيل: "ليست تعاليم المسيح هي التي تعطيه الأهمية الكبيرة، مع أنها كافية لأن تفعل ذلك، ولكن العظمة في الشخص الذي قال ما قاله! ولا يمكن أن تفصل بين المعلم وتعاليمه. إن القارئ المفكر للأناجيل يرى أن المسيح وتعاليمه غير منفصلين، فإن تعليمه عن ملكوت الله وعن السلوك البشري وعن الله تعاليم هامة، ولكنها لا تنفصل أبداً عن شخصه".

إنه الله! رأينا أنه يعمل عمل الله. إنه الخالق الذي خلقك، يأخذ التراب بيده وينفخ فيه فتسري فيه الحياة. مَن يكون الذي يخلق من الطين حياة إلا الله؟ هذا الذي يحيي العظام وهي رميم. هذا الذي يخرج الموتى من قبورهم. هذا الذي قال فيه الشاعر

المقبلون إلى المسيح ليخلُصُوا ترك المسيح لأجلهم عرش السما

6- الإنسان

«الإنسان يسوع المسيح» (1تيموثاوس 5 :32)

هناك حقيقة ينبغي أن ننتبه إليها دائماً ونحن نتأمل في ألقاب السيد المسيح وفي شخصه، هي أن المسيح جمع طبيعتين: الطبيعة الإنسانية الكاملة والطبيعة الإلهية الكاملة. فهو إنسان مثلنا جميعاً: أكل وشرب وتعب ونام وتألم وصُلب ودُفن، غير أنه قام من بين الأموات . ثم إن المسيح يمتلك طبيعة إلهية كاملة فهو الذي عرف الغيب، وأدرك ما يدور في صدور سامعيه، وهو الذي خلق للأعمى عينين. بل عن الإنجيل المقدس يقول: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يوحنا 3:1). اتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية فيه دون أن تختلط أو تمتزج، لذلك يقول رسول المسيحية بولس عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد " نعم المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد (1تيمو 16:3)

"يوجد إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح" (1تيمو 5:2).

عندما التقى السيد المسيح بالمرأة السامرية التي كانت شريرة خاطئة غير حياتها، وعندما تغيرت رجعت إلى أهل بلدها تقول لهم انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت " (يوحنا 29:4). وحدث أن السيد المسيح شفى رجلاً مولوداً أعمى، فمضى الرجل يقول: "إنسانٌ يقال له يسوع صنع طيناً وطلى عيني" (يوحنا 11:9) وأعلن بيلاطس لشيوخ اليهود ولجمهور الشعب عن المسيح : "هوذا إنسان" وإن كنا نظن أن المرأة السامرية أو المولود أعمى و بيلاطس لم يكونوا يعرفون المسيح معرفة كافية، فقالوا عنه إنه إنسان، فماذا نقول في الذين يرفونه . قال عنه يوحنا المعمدان هذا "هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجلٌ صار قدامي لأنه كان قبلي " (يوحنا 30:1). وقال عنه تلميذه بطرس في موعظته المشهورة يوم الخمسين : "يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم" (أعمال 22:2) وقال عنه رسول المسيحية بولس لتلميذه تيموثاوس: يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس :الإنسان يسوع المسيح ". من هنا نرى أنه لم يكن نصف إنسان ونصف أله، ولكنه كان إنساناً كاملاً حقاً.

حوادث حياته:

من حوادث حياة المسيح نلمس أنه كان إنساناً كاملاً. لقد جاء أرضنا مولوداً من امرأة. صحيح أنه بلا أب بشري، فقد ولد من الروح القدس، لكنه أيضاً ولد من مريم العذراء في مذود بسيط، وكان ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه وكان يعيش مع مريم أمه ومع يوسف في الناصرة، وكان خاضعاً لهما . واشتغل بالنجارة. وكان كما يقول الإنجيل عنه: "يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لوقا 51:2) وجاء الشيطان يجرب المسيح كما يجرب أي واحد من البشر، وواجه المسيح الشيطان كما يواجهه سائر البشر وانتصر عليه.لكن الشيطان لم يترك المسيح، إذ يقول الإنجيل إن الشيطان المهزوم فارق المسيح إلى حين. فقد عاد إليه يجربه عدة مرات بعد ذلك (لوقا 13:4).

ويقول الإنجيل المقدس عن السيد المسيح إنه مجرب في كل شيء مثلنا (عبرانيين 15:4). لقد جاع المسيح وعطش، وتعب ونام، واحتاج وحزن ومات مصلوباً ودفن ويكفي أن نصفه بالقول : "الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (لوقا 2:4 ويوحنا 6:4 و7 ولوقا 23:8 و58:9 ومرقس 5:3 ومتى 38:26).

الله يكلمنا فيه:

لماذا جاءنا المسيح إنساناً؟ عندما أراد الله أن يعلن نفسه للبشر أرسل ابنه إنساناً مثلهم. ويقول البشير يوحنا: "الله لم يره أحدٌ قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر " (يوحنا 18:1). من هذا نرى أن الله كان يكلمنا في المسيح كما يقول الإنجيل المقدس : "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه " (عبرانيين 1:1 و2)فالمسيح هو الإعلان الأعظم عن الله، الذي قال : "الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا 9:14).

مرة كان واعظ مشهور يتنزه في الغابة القريبة من بيته، ويصحب معه ابنه الصغير . وداس الواعظ الكبير على عش للنمل دون أن يقصد، فقتل عدداً كبيراً من النمل وحزن الولد الصغير وهو يرى النمل يموت تحت حذاء أبيه، فقال: "بابا، يجب أن تعتذر للنمل". فقال الآب: لا أقدر أن أعتذر للنمل، لأنني لا أتكلم لغتهم وهم لا يفهمون كلامي"فقال الولد لأبيه : "ولماذا لا تتعلم لغة النمل؟" قال الآب: "لأنني يجب أ أصير نملة حتى أقدر أن أكلم لنمل، ولا يخاف النمل مني، وأنا لاقدأر أن أصير نملة، لأن الله وحده هو الذي يقدر أن يخلق . ووحده الذي يقدر أن يغير خليقته وّهنا مضى الواعظ الشهير يقول : "إن الله أراد أن يشرح محبته للناس، ولم يقدر الناس أن يفهموا هذه المحبة، ولذلك صار الله إنساناً مثل الناس حتى يقدر الناس أن يفهموا محبته ويدرك وا عظمة هذه المحبة.كان المسيح هو الله فقد استطاع أن يصير إنساناً، وكلمنا الله في المسيح وأعلن لنا ذاته فيه . لا يستطيع أحد أن يرى الله، لكننا نرى الله في المسيح ولا يستطيع أحدٌ أن يدرك الله، لكننا ندرك الله في المسيح .

ولقد قال أحد الحكماء: "الله بلا كيف، لكن مفتاحه في المسيح".

يعطف علينا:

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين : "لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرب في كل شيء مثلنا، بلا خطية" (15:4).

ومن هذا نرى أن المسيح صار أخاً لنا، قادراً أن يرثي لضعفاتنا ويعزينا، ويعطف علينا، لأنه قد اختبر أحزاننا.

إنه نسل المرأة.. لأنه مولود من امرأة بدون رجل..

وهو نسل إبراهيم، لأنه يفدي المؤمنين الذين هم أبناء إبراهيم.

ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيضاً : "ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب، لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (17:2 و18).

وأنت وأنا نقدر أن نأتي إلى المسيح بدون خوف، لأنه مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية "فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمة عوناً في حينه" (عبرانيين 16:4).

الإنسان الكامل:

المسيح إنسان مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية. وقد سأل هو مرة أعداءه: "من منكم يبكتني على خطية؟" ولم يستطع أحدٌ أن يجاوب عليه (يوحنا 46:8).

يقول عنه الرسول بطرس، الذي عرفه معرفة قريبة أكثر من ثلاث سنوات : "الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش" (1بطرس 22:2) نعم، كان يجب أن يكون المسيح بدون خطية لأن طبيعته البشرية متحدة في أقنوم واحد مع طبيعته الإلهية الطاهرة، وقد قال هو: "أنا والآب واحد" (يوحنا 30:10)والمسيح بدون خطية حتى يكون ذبيحة الفداء المقبولة أمام الله، كما يقول الإنجيل المقدس : "كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات " (عبرانيين 26:7). وفي كمال المسيح يمكننا أن نجد فداءنا وخلاصنا.

المسيح إنسان كامل –هذا صحيح تماماًالذي يقول إن المسيح إنسان ويسكت، يكون قد أعلن نصف الحقيقة . فالمسيح إله وإنسان معاً. فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً. هو الله الذي ظهر في الجسد.

أدعوك لأن تعرف المسيح، المعرفة الكاملة، كما أعلنه لنا الإنجيل المقدس . أدعوك لأن تفتح له قلبك لتجد بالإيمان به مغفرة خطاياك والحياة الأبدية.

7- ابن الإنسان

«ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلص
ما قد هلك» (لوقا 10:19)

كان المسيح يحب أن يلقب نفسه "ابن الإنسان" وقد استعمله دائماً عن نفسه أكثر من 30 مرة في إنجيل متى و15 مرة ي إنجيل مرقس و25 في إنجيل لوقا وحوالي 12 مرة في إنجيل يوحنا.

وكان هذا اللقب على فم المسيح نفسه دوماً، ما عدا أربع مرات في العهد الجديد، مرة حين سأله الواقفون حوله عن معنى اللقب (يوحنا 34:12) وفي مرة أخرى حين قاله استفانوس وهو يستشهد (أعمال 56:7) وفي مرتين في سفر الرؤيا (رؤيا 13:1 و14:14).

أما في العهد القديم فقد جاء في المزامير وحزقيال ودانيال..

والآن ما هو قصد المسيح من هذا اللقب الذي كان يحبه واستعمله كثيراً وما هو المعنى الموجود فيه؟

ابن الإنسان ممثل البشر:

ما أجمل تواضع المسيح وهو يحسب نفسه واحداً من البشر، بعد أن أخلى نفسه من مجده وصار مثل و احد من الناس، ما عدا الخطية!

لم يقل المسيح عن نفسه إنه ابن النجار، أو ابن اليهود .. لكنه كان يحب أن يلقب نفسه بلقب ابن الإنسان، لأنـــه أراد أن يحسب نفسه من البشر كلهم.

أنه للجميع. كل واحد له فيه نصيب.. وفي كل أمة له شعب..

في نظره ليس أبيض ولا أسود، ولا غني ولا فقير، ولا متعلم وجاهل، ولا عربي وأعجمي، ولا شرقي وغربي، لأنه للجميع، وعنده مكان لكل واحد.

يرسمه الفنان الإفريقي مثل الإفريقيين، ويرسمه الصيني مثل الصينيين، ويرسمه الأوربي مثل الأوربيين .. وكل هذه الرسوم صواب لأن المسيح فعلاً وحقاً ابن الإنسان ممثل الجميع، ومخلص الجميع، وصديق الجميع.

اسمعه وهو يقول: "للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأســه" (متـــى 20:7).

وهو يتحدث مع تلاميذه عن عظمة التواضع، فيقول لهم: "من أراد أن يصير فيكم عظيماً، يكون لكم خادماً. ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً . لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم، وليبذل نفسه فديـــة عن كثيرين" (مرقس 43:10-45).

ولا شك أن المسيح كان يعرف قول المرنم "فمَن هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده" (مزمور 4:8) التي تقدمها رسالة العبرانيين:"ما هو الإنسان حتى تذكره، أو ابن الإنسان حتى تفتقده" (عبرانيين 6:2). وقد لقب المسيح نفسه بهذا اللقب ليكون ممثلاً للبشر ونائباً عنهم، صائراً في شبه الناس.

ومن هذه التسمية الجميلة التي كان المسيح يحبها، نرى أن المسيح يحبنا حتى رضى أن يصير إنـــساناً مثلنـــا، ويسمي نفسه "ابن الإنسان" بمعنى أنه واحد من البشر.

إليه نأتي بدون خوف...

وعنده نطرح مشاكلنا بدون تردد..

إنه حسب نفسه ممثلاً ونائباً عن البشر..

هو شفيعنا!

ابن الإنسان مرتبط بكل البشر:

المسيح مرتبط بالبشرية كلها. ابن الإنسان، ابن آدم، ابن البشر جميعاً، الذي جاء من أجل الجميع. لقد رآه البعض نبيَّ أمته وحدها، واقتبسوا لذلك شاهدين: الشاهد الأول عندما أرسل تلاميذه ليكرزوا وقال لهم: "إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" (متى 5:10 و6) فقال قائل "إن المسيح جاء لأمته وحدها،وليس للبشرية كلها. لكن الذي يقول هذا لا يدرك أن قول المسيح: اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" كان أمراً لتلاميذه بمناسبة إرساليتهم الأولى التي أرسل فيها المسيح تلاميذه بغرض تدريبهم، ومن الأفضل لمن يتدرب أن يخدم من يعرفهم قبل أن يذهب إلى من لا يعرفهم. لذلك فقد أرسل تلاميذه ليبشروا أمتهم اليهودية أولاً، لأن اليهود أهل كتاب مُنزَل. ثم بعد ذلك توجه التلاميذ بأمر من المسيح ليخدموا الوثنيين الذين لا دين لهم، وانتشروا برسالة المسيح إلى أقصى الأرض، بناءً على تكليف السيد المسيح لهم. نعم جاء المسيح للبشرية كلها، أما إرساله تلاميذه ليبشروا اليهود أولاً، فقد كان ذلك للتدريب، لكن أمره جاء بعد ذلك: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مرقس 15:16) وأرسل الروح القدس لتلاميذه بهدف هو: "ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً، في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال 8:1).

ويقتبس بعضهم قول المسيح لامرأة كنعانية، كانت ابنتها مريضة، واستجارت به، فقال لها: "لم أُرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة" (متى 24:15) يقولون إن المسيح كان نبي أمته فقط. لكن الذين يقولون هذا ينسون أن المسيح عندما قال للسيدة هذا القول كان قد ذهب ليزور منطقتها الوثنية، فجسمه موجود حيث تلك السيدة. لقد ذهب بنفسه إلى الوثنيين – ذهب برغبته – وفي تلك المنطقة أجرى المسيح معجزة بأن أطعم أربعة آلاف بسبعة خبزات وقليل من السمك حتى أكل الجميع ورفعوا من بقية الطعام سبعة سلال مملوءة. إذاً لماذا قال المسيح إنه لم يرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة؟ الإجابة: ليشرح للتلاميذ أن الإيمان العظيم موجود بين الوثنيين كما هو موجود بين شعبهم. لم يكن الكلام موجهاً للمرأة بقدر ما كان موجهاً للتلاميذ. وقد ظهرت عظمة إيمان تلك المرأة عندما جاوبت المسيح بقولها: والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها" فأظهرت عظمة تواضعها وعظمة إيمانها، فقال المسيح لها: يا امرأة، عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريدين" فشفيت ابنتها من تلك الساعة.

عندما لقَّب المسيح نفسه أنه "ابن الإنسان" أظهر أنه جاء للبشر جميعاً، وأنه مرتبط بالبشرية كلها. ولا عجب أنه قال بفمه الطاهر: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية".

ابن الإنسان المخلص المنتظر:

ورد في سفر المزامير القول: لتكن يدك على رجل يمينك، وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك" (مزمور 17:80).

وجاء في نبوة النبي دانيال أنه رأى رؤيا - رأى أسداً له جناحا نسر، وهو يمثل مملكة بابل – ثم رأى دباً وفي فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه، وهو يمثل مملكة أشور – ثم رأى نمراً وله على ظهره أربعة أجنحة طائر، وهو يمثل مملكة فارس – ثم رأى حيواناً رابعاً هائلاً وقوياً وشديداً وله أسنان كبيرة من حديد، وهو يمثل مملكة اليونان تحت حكم اسكندر الأكبر.

ثم رأى دانيال رؤيا خامسة.. رأى أنه وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول.. وملكوته ما لا ينقرض (دانيال 7).

"ابن الإنسان" هذا يبدأ عهد حكم جديد، يوم ويتسلط بمجد.. إنه ملكوت المسيح ابن الإنسان.

ولا شك أن المسيح كان يعرف أن لقب " ابن الإنسان" المذكور هنا هو لقب ا لمسيا، والمسيا هو الملك المخلص المنتظر الذي كان اليهود ينتظرونه مخلصاً لهم.

على أن غلطة اليهود هي أنهم ظنوا أن المسيا يملك ملكاً أرضياً، ويطرد الرومان المستعمرين .. مع أن المسيح جاء ليملك ملكاً روحياً على قلوب كل من يؤمن به من كل شعب وأمة.

وقد تحدث المسيح ن الخلاص الذي جاء به للبشر، بعد أن أعطاه لزكا، فقال: "لأن ابن الإنسان قد جـاء لكـي يطلب ويخلص ما قد هلك" (لوقا 10:19).

وتحدث المسيح عن نفسه باعتبار أنه "ابن الإنسان" صاحب السلطان على الأرض أن يغفر الخطايـا (مـرقس 10:2).

وتحدث أيضاً باعتبار أنه ابن الإنسان "رب السبت أيضاً" (مرقس 28:2) وقال: "لان ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص " (لوقا 56:9). قد أرسل المسيح تلاميذه ليكرزوا به، وقال لهم : "طوباكم إذا أبغضكم الناس.. من أجل ابن الإنسان" (لوقا 22:6).

ابن الإنسان المتألم:

وقد تحدث المسيح كثيراً عن ابن الإنسان الذي يتألم من اجل فداء الناس.

يقول المسيح لتلاميذه: "ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبـة ويُقتـل " (مرقس 31:8).

وقال لتلاميذه: "تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يُسلم ليصلب" (متى 2:26).

وحين جاءه يهوذا الإسخريوطي ليقبله قبلة الخيانة قال له: "أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟" (لوقا 48:22).

وقال الملاك للنساء بعد القيامة: "ينبغي أن يسلم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويُصلب" (لوقا 7:24).

على أن آلام ابن الإنسان لم تنته بالموت لكنها انتهت بالقيامة!.

وقد تحدث المسيح مع تلاميذه عن المجد الذي ينتظره بعد القيامة بالقول : "متى جلس ابن الإنسان على كرسـي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً" (متى 28:19).

ابن الإنسان القاضي:

لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً مجيء ابـن الإنـسان " (متـى 27:24).

يرسل" ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (متى 41:13-43).

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار" (متى 31:25-33).

"اسهروا إذاً وتضرعوا كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفـوا قـدام ابـن الإنسان" (لوقا 36:21).

إن ابن الإنسان قد جاء متواضعاً أخلى نفسه . وأخذ صورة عبد وتألم من أجل الخلاص للبشر جميعاً .. وقام منتصراً من القبر، وغلب.. وكل من يؤمن به ينال مغفرة الخطايا.. وكل من لا يؤمن يصير مستحقاً نار الدينونة الأبدية..

لقب السيد المسيح "ابن الإنسان" على أن المسيح قد جاء للبشر جميعاً، بل جاء خصيصاً لك أنت ليخلصك . وعليك أن تخصص مجيء المسيح لعالمنا بركة لك أنت شخصياً، عندما تقبله في حياتك سيداً لك، ليغير حياتك وليباركك وليجعل منك إنساناً جديداً، فنقدر أن تقول مع رسول المسيحية بولس: "الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي".

7- عبد الله
«آخذاً صورة عبد» (فيلبي 7:2)

يتحدث المسيحيون عن المسيح باعتبار أنه صاحب طبيعتين فهو إله وإنسان معاً، لأن الإنجيل يقول : "عظيم هو سرُّ التقوى الله ظهر في الجسد " (1تيمو 16:3). في ألوهيَّته أسكت الرياح العاصفة، وأقام الموتى، وخلق من الطين حياة. وكإنسان كامل جاء عبداً، واحتمل موت الصليب، وضحى بنفسه وأطاع الله ورفض طريق العنف، فكان له النصر النهائي، ولذلك فإن الإنجيل المقدس يطلق على السيد المسيح لقب "عبد الرب" إنه الله، لكنه في الوقت نفسه عبد الرب المتألم المضحي الفادي المنتصر.

الحقيقة التي يعلنها لنا الإنجيل المقدس هي أن المسيح هو الله الذي تجسد وصار إنساناً ليتمم عمل الفداء وليموت من أجلنا على الصليب، ثم ليقوم من بين الأموات ويعود إلى المجد الذي جاء منه.

قبل مجيئه إلى أرضنا هو الله، وفي أثناء إقامته في أرضنا هو الله المتجسد في صورة عبد – في صورة إنسان.

وبعد أن أنهى عمله الفدائي عاد إلى مجده الأصلي. استمع إليه في صلاته الشفاعية وهو يقول: "أيها الآب، مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً، إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد، ليعطي حياة أبدية لكل من أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية التي يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان عندك قبل كون العالم" (يوحنا 1:17-5).

لقد كان في مجده فأخلى نفسه من مجده، وجاءنا إنساناً عبداً لله، وأكمل العمل الذي جاء من أجله، وعاد إلى مجده الأصلي. فالمسيح هو الله، وهو عبد الله المتألم. نصدق لو أننا قلنا إن المسيح هو عبد الله فهكذا تقول الأناجيل. ونصدق لو قلنا إن المسيح هو عبد الله، لأنه في مرحلة معينة من عمره تجسَّد وصار إنساناً، آخذاً صورة عبد. وبعد أن أكمل خدمته عاد إلى مجده.

العبد المتألم:

المسيح عبد الرب الذي اختار أن يصير إنساناً ليضحي من أجلنا ويقدم نفسه كفارة عن خطايانا. فيقول الإنجيل المقدس كما رواه متى في الأصحاح الثامن : "لما جاء يسوع إلى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة فلمس يدها، فتركتها الحمى فقامت وخدمتهم. ولما صار المساء قدَّموا إليه مجانين كثيرين، فأخرج الأرواح بكلمة، وجميع المرضى شفاهم، لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا " (متى 17:8). لقد قبل السيد المسيح أن يقوم بالعمل الفدائي كاملاً، ولقد تحدث النبي إشعياء في التوراة قبل مجيء المسيح إلى أرضنا بسبعمائة سنة، قائلاً بلسان السيد المسيح : "أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين، لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة، يوقظ كل صباح لي أذناً لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أذناً وأنا لم أعاند. إلى الوراء لم أرتد، بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق، والسيد الرب يعينني، لذلك لا أخجل، لذلك جعلت وجهي كالصوان وعرفت أني لا أخزى" (إشعياء 4:50-7).

هذا هو السيد المسيح الذي جاء أرضنا إنساناً مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليخلص الذين لم يقدروا أن يتمموا مطالب الناموس. ولقد كتب النبي إشعياء في فسره شيئاً عن هذا العبد المتألم، الذي جاء أرضنا ليقدم نفسه ذبيحة كفارية عنا، وكأن إشعياء كان جالساً تحت الصليب يصف ما يجري فوقه. استمع إليه وهو يقول في الأصحاح الثالث والخمسون من سفره أمّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو

يحمللهلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة، من أجل أنه سكب للموت نـ فسه وأحصي مع أثمة، وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين" (إشعياء 53:10-12).

أطاع المسيح عبد الرب طاعة كاملة، كإنسان كامل جاء إلى أرضنا، وقام بكل ما كلفه به الآب السماوي، وهو بذلك يعطينا نموذجاً رائعاً فيما يجب أن تكون عليه طاعتنا.

نعم، كانت حياة المسيح مفلة في طاعته، لذلك يقول رسول المسيحية بولس : "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً. الذي إذ كان صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناسوإذ.وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسو كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي 5:2-11).

العبد البعيد عن العنف:

رفض المسيح طريق العنف فعبد الرب الذي تألـ م من أجلنا لم يقاوم الذين جاءوا يصلبونه، لأنه لهذا الهدف قد جاء. ويخبرنا الإنجيل المقدس أنه عندما جاء رجال اليهود ليلقوا القبض عليه استلَّ بطرس سيفه وضرب مَلْخُس عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، فقال المسيح لتلميذه بطرس "رُدَّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" (متى 52:26)ثم مضى يقول لتلميذه : "أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون؟ " (متى 53:26 و54). لقد كان المسيح عندما سلم نفسه للذين جاءوا لإلقاء القبض عليـه يدرك أنه يتمم نبوات العهد القديم . وفي غير عنف سلم نفسه لصالبيه.

في تأملنا في لقب المسيح عبد الرب المتألم، نرى أنه قد حاز النصر النهائي، إذ جاء أرضنا إنساناً، وتمم مشيئة الآب السماوي، فرفعه الآب إليه وأعطاه اسماً فوق كل اسم نعم كما يقول الإنجيل : "إنه ينبغي أن يملك ليضع أعداءه موطئاً لقدميه" (1كو 25:15). ندعوك الآن أن تصير حبيب المسيح، أن تقبله مخلصاً لك، وأن تستفيد من عمله الكفاري على الصليب.

9- الطبيب

«لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى» (متى 9: 12).

تذمر رجال الدين اليهود على المسيح، واستغربوا أنه يأكل مع الخطاة والعشارين، وانتقدوه على ذلك. ولكن المسيح قال لهم :"لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى .. لأني لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة".

وقد جاء المسيح من أجل الخطاة، لأنه الطبيب الروحاني الذي جاء ليشفي المتسلط عليهم إبليس. وهو اليوم الطبيب الوحيد الذي يقدر أن يشفي من مرض الخطية، لأنه وحده الذي يملك العلاج، فليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أعطى بين الناس، به ينبغي أن نخلص" (أعمال 12:4).

وفي العهد القديم انتظر الناس الذي يشفيهم، فسأل إرميا : "أليس بلسان في جلعاد، أم ليس هناك طبيب؟ فلماذا لم تعصب بنت شعبي؟ " (إرميا 22:8). وكان إشعياء قد أعلن أن خطية الشعب القاتلة بدون طب ولا علاج "من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة، بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلين بالزيت " (6:1).

وأخيراً جاء الطبيب الذي انتظروه.. الطبيب الذي شفى، والذي يشفي.

الطبيب البشري يعجز أحياناً:

الأطباء من البشر يعجزون أحياناً عن العلاج، كما فشلوا مع نازفة الدم التي أنفقت كل معيشتها على الأطباء، ولكنها صارت إلى حال أردأ (مرقس 26:5)وقد جاء في أمثال اليهود مثل يقول : "أيها الطبيب اشف نفسك " (لوقا 23:4).

ولم يكن الأطباء اليهود متقدمين في مهنة الطب، لأن اليهودي كان يؤمن أن المرض جزاء الخطية، فإذا عاون الطبيب المريض لتخفيف آلامه أو لشفائه يكون قد تدخل في معاملة الله مع شعبه، ولذلك نقرأ عن الملك آسا أنه أخطأ لأنه عندما اشتد عليه المرض لم يطلب الرب بل طلب الأطباء فمات (2أخبار 12:16).

ولم يكن الأطباء اليهود متقدمين في الجراحة لأن لمس جثة الميت كان ينجس اليهودي سبعة أيام، إذ يقول الناموس: "من مس ميتاً يكون نجساً سبعة أيام .. كل من مس ميتاً ولم يتطهر ينجس مسكن الرب فتقطع تلك النفس من إسرائيل" (العدد 11:19 و13). ولما كان التقدم في الجراحة يعتمد على التشريح، كان أطباء اليهود متأخرين في هذا الفن.

ولكن فن الطب تقدم عند اليهود بمرور الوقت، ونقرأ في حكمة يشوع بن سيراخ قوله : "أعط الطبيب كرامته لأجل فوائده لان الرب خلقه، لأن الطب آتٍ من عند العلي .. الرب خلق الأدوية من الأرض والرجل الفطن لا يكرهها.. عن العلي قد ألهم الناس العلم لكي يتمجد في عجائبه.. يا ابني إذا مرضت فلا تتهاون بل صلِّ إلى الرب فهو يشفيك.. أقلع عن ذنوبك ونقِّ قلبك منكل خطية، ثم اجعل موضعاً للطبيب فإن الرب خلقه، ولا يفارقك فإنك تحتاج إليه".

وفي أخبار رحلات بولس الرسول نرى أنه أخذ معه البشير لوقا، كاتب إنجيل لوقا وسفر الأعمال، ونحن نعلم أن لوقا كان طبيباً (كولوسي 14:4) وقد أخذ بولس من نصائح لوقا الطبية ما أرسله إلى تيموثاوس الذي كان يعاني من مرض في معدته (1تيمو 23:5).

يسوع يرى الحالة:

قال أحد الحكماء : "إن المحامي يرى الناس في أردأ حالاتهم، عندما يذهبون إليه بمشاكلهم.. أما القسيس فيرى الناس في أحسن حالتهم، عندما يذهبون إليه للعبادة لكن الطبيب يرى الناس كما هم في حالتهم الحقيقية .. ليس الأحسن ولا الأردأ، لكن الواقع الصحيح..

ولا يرى الطبيب في المريض الذي أمامه غنياً أو فقيراً، لكنه يرى إنساناً محتاجاً للعلاج.

هكذا مع المسيح. إنه يرانا في حالتنا الطبيعية الحقيقية كما هي. إنه يرانا خطاة محتاجين إلى التوبة والغفران. وليس محتاجاً أن يخبره أحد عن الإنسان لأنه عرف ما في الإنسان. كل شيء عريان ومكشوف لديه.

يسوع يعرف الخطأ:

بعد أن يرى الطبيب الحالة كما هي يعرف مكان المرض، ويعطي التشخيص. وفي التشخيص يعلن الطبيب نقطة الضعف التي سببت مرض المريض.

وقد عرف المسيح أن علة مرض الناس هي الخطية.. ولذلك أعلن أن الخطية هي السر.

وأنت إذ تصغي إلى كلام المسيح تشعر أنه يشخص الحالة بالضبط . على الأرض كتب خطية الرجال الذين جاءوا ليرجموا المرأة الخاطئة، حتى اختشى كل واحد منهم ومضى . وفي حديثه مع بطرس قال له إنه سينكره ثلاث مرات، بينما لم يعرف بطرس حالة نفسه وظن أنه لو شك الجميع في المسيح فهو لا يشك.

يسوع يريد أن يساعد:

الطبيب الذي يرى الحالة، ويعرف سبب المرض يهتم بأن يساعد المريض. قد نرى نحن المجروح ونحزن عليه، ولكننا لا نقدر أن نساعده. أما الطبيب فإنه يساعد.

رأى الكاهن اليهودي المجروح وجاز مقابله بدون أن يساعده، ورآه اللاوي ولم يساعده أما السامري الصالح فقد نزل عن دابته وساعد الرجل الجريح، ولم يتركه حتى اطمئن عليه.

والرب يسوع المسيح هو الطبيب الذي لا يمكن أن يترك المريض المحتاج للمساعدة بدون أن يساعده . إنه لا ينظر إلى المريض في "قرف" واحتقار، لكنه ينظر إليه في عطف وحنان، ويعمل على شفائه.

ومَن غير يسوع المسيح يشفي، ويخفف الألم، ويريح القلوب؟!

يسوع ضحي بنفسه:

يعرف الطبيب الحالة، ويشخص المرض، ويجاهد أن يساعد، حتى إن كانت هذه المساعدة تكلفة حياته. وفي أيام الأوبئة يخرج الأطباء إلى مكان الوباء، ويضحون بصحتهم وراحتهم في سبيل المرضى ليساعدوهم . وقد سمعنا عن أطباء ماتوا وهم يعالجون أحد المرضى بمرض خطير بسبب العدوى..

وقد قدم المسيح نفسه من أجل خلاص العالم .. الذي لم يعرف خطية جعل خطية لأجلنا، وإذ تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب !

وما أعظم التضحية!!

يسوع الذي يعرف العلاج:

بعد أن يعرف الطبيب المرض يقدم العلاج الصحيح . وقد يخطئ الطبيب البشري، أو قد لا يجد علاجاً للمرض. غير أن الطبيب العظيم يسوع لا يصعب عليه أمر، ويستطيع كل شيء.

هو الذي عالج مرض الخطية بنجاح ليس بشفاء آثار الخطية فقط، لكن بتغيير الطبيعة الأصلية الخاطئة وإعطاء طبيعة جديدة تعمل الخير والصلاح . لأنه إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، لأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً.

وهو الذي أزال الخصام بيننا وبين الله، وصالحنا معه فلسنا بعد أعداء، لكننا أبناء له . ورثة الله ووارثون مع .

"أما كل الذين قبلوه فقد أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (يوحنا 12:1).

يسوع يشفي مرض الجسد:

رأينا يسوع يشفي المرض الصعب مرض الخطية، وكلمة "خلاص" معناها "شفاء" فإن يسوع يشفينا من مـــرض البعد عن الله..

على أن يسوع يشفينا من مرض الجسد أيضاً، فعندما كان على الأرض كان يطوف يعلم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب (متى 23:4) وعندما أرسل تلاميذه ليكرزوا للناس أوصاهم قـــائلاً : "أشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين" (متى 8:10).

وهو اليوم يشفي كل من يدعوه، وهناك الوعد الصادق : "أنا الرب شافيك" وكلمة شفى في اللغة العبرانية هـــي كلمة "رفا" وهي تعني حرفياً ما يقوم به الرفا الذي يخيط نسيج الثوب معاً ليصلحه بعد تمزيقه وليس شفاء المسيح وضع قطعة من ثوب جديد على جزء ممزق في ثوب عتيق، فإن هذا هو الترقيع، لكن يسوع يجمع أجزاء الجسد معاً حتى تؤدي وظيفتها كما كانت .. إنه يعيد الجسد المريض إلى ما كان عليه، هذا ما فعله مع صـــاحب اليـــد اليابسة، إذ رجعت اليد المريضة صحيحة كالأخرى (مرقس 5:3).

عزيزي القارئ

لك في يسوع المسيح ما تحتاج إليه من شفاء روحي وجسدي.. أطلب وجهه تجد الراحة!

أفرغت كل جهدي   في طلب الطبيب
فما بلغت قصـــدي   وزاد بي النحيب
ظل الرجاء عندي   واليأس كالمريب
حتى أزال وجدي   مخلصي الحبيب
هذا الطبيب الشافي   والفارج الكروب
مد يــــد الألطاف   وطيب القلوب
أعطي الضياء الصافي   لأبصر الذنوب
وقال: دع خلافي   تسلم من الخطوب

10- خبز الحياة

"أنا هو خبز الحياة" (يوحنا 35:6، 48)

كان المسيح يعلن للسامعين حقائق روحية، يسندها بمعجزة ملموسة تشرح معنى الحقيقة الروحية . وكان أحياناً يجري معجزة، يعلن بعدها لسامعيه المعنى الروحي لما قال. فالمسيح يبارك الروح ويبارك الجسد أيضاً.

وفي الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا نقرأ عن معجزة إطعام الخمسة الآلاف بخمس خبزات وسمكتين، ثم نسمع إعلان المسيح عن نفسه أنه "خبز الحياة" بعد أن أعلن حبه واهتمامه بأجساد الناس، أعلن حبه واهتمامه بخلاص أرواح الناس. وهو يريد أن يبارك جسدك وقلبك.

والخبز جزء هام رئيسي في طعامنا، فإننا لا نقدر أن نأكل طعامنا بدون الخبز.. ونحن نقرأ القول المقدس: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان " ومع أن معنى الآية أن الخبز وحده لا يكفي، إلا أن معناها أيضاً أن الخبز شيء هام لحياة الإنسان.

وقد قال المسيح عن نفسه إنه "خبز الحياة" مرتين في أصحاح واحد، وبعد معجزة إطعام خمسة آلاف نفس بخمس خبزات وسمكتين.

وأجرى المسيح معجزة إطعام الخمسة الآلاف في البرية، وفاضت اثنتا عشر قفة.

وفرح الشعب بالطعام، وأسرعوا يبحثون عن المسيح ولما لم يجدوه عبروا البحر وجاءوا إلى حيث كان، وسألوه: "يا معلم: متى صرت هنا؟" فكان جوابه: "أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم".

وكثيرون يجرون وراء المسيح لأنهم يطلبون النفع المادي والخبز الجسدي، مع أننا يجب أن نطلب ملكوت الله وبره أولاً.

ومع أننا يجب ان نطلب طعام الروح أولاً، إلا أن الله يعطينا كل شيء بغنى للتمتع. إنه يعطينا غذاء القلب وغذاء الجسد، وقد علمنا أن نصلي في الصلاة الربانية قائلين: "خبزنا كفافنا أعطنا اليوم".

وعندما تكلم الشعب عن الممن الذي أكله آباؤهم في البرية وماتوا، كلمهم المسيح أنه هو خبز الحياة.

ونحن اليوم نعلم أن المسيح هو الخبز الحي، الذي وحده يعطي الحياة، والذي لا حياة إلا به وفيه.. فهو وحده الطريق والحق والحياة.. وهو وحده القيامة والحياة.

الخبز الذي نزل من السماء:

كان بنو إسرائيل يعتقدون أن المن خبز من السماء (نحميا 15:9) وطعام الملائكة (مزمور 25:78).

وكان المن في نظرهم يرتبط بمعجزة من السماء، لا يستطيعون أن يدركوا عمقها .. وكانوا يعتقدون أن المسيا الآتي سيطعم شعبه من المن السماوي. وكانوا يقولون إنه ما دام موسى المنقذ الأول أعطاهم المن، فغن المنقذ الأخير الذي هو المسيح سيعطيهم أيضاً المن.

ونحن نعلم أن اليهود كانوا يضعون في التابوت : الوصايا العشر، والعصا التي أفرخت، وقسط المن (عبرانيين 3:9 و4). وكانوا يقولون إن إرميا جاء وقت خراب الهيكل وأخذ قسط المن وأخفاه . وحين يجيء المسيا المخلص، يحضر القسط الذي أخفاه إرميا، ويطعم المن للمؤمنين ولعل هذه الفكرة كان في ذهن من قال : "من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفي" (رؤيا 17:2).

وقد أعلن المسيح أنه المن النازل من السماء، والخبز الذي من السماء هو الله الذي ظهر في الجسد .. وهو الذي انتظرته الأجيال.

هو الذي جاء من عند الله ومعه ما يشبع القلب.

الخبز اللازم للحياة:

"أنا هو خبز الحياة" معناها "أنا هو الخبز الذي يعطي الحياة".

لأن خبز الله هو النازل من السماء، الواهب الحياة للعالم .لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني : إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يوحنا 6:33 و40).

ويقول المسيح "من يؤمن بي فله حياة أبدية .أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت . أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . إن أكل أحد هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا 6:47-51).

والمسيح يريد أن يقول إنه الذي يعطي الحياة هنا في هذا العالم، وفي العالم الآتي بالحياة الأبدية . فيه وحده الحياة، وبدونه لا نقدر أن نحيا أو نتحرك أو نوجد.. هو حياتنا.. ونحن نحيا به.

في أثناء الحرب العالمية الثانية طلبت محطة الإذاعة البريطانية من فيلسوف مسيحي أن يلقي بعض المحاضرات الدينية في الإذاعة. وألقى الفيلسوف كلايف لويس عدة محاضرات عظيمة، قال في محاضرة منها إن الله خلق الإنسان ليحيا به وحده، فلا يمكنه أن يحيا بدون الله وضرب الأستاذ لويس مثلاً قال : السيارة التي صنعها المهندس لتسير بالسولار الرخيص الثمن لا يمكن أن تسير بوقود غيره . فإذا وضعت في خزانها ماء، وهو أرخص شيء، لا تسير وإذا وضعت في خزانها عطراً غالي الثمن، لا يمكن أن تسير . إنها لا يمكن أن تسير إلا بالسولار، لان المهندس الذي صنعها يريد لها ذلك.

ثم قال الأستاذ لويس إن الله خلقنا لنحيا ونتحرك ونوجد، ولكننا نحاول أحياناً أن نحيا بدون الله، فنصرف كل وقتنا لجمع المال، أو في محاولة الحصول على السلطة والعظمة، أو في الجري وراء الشهرة، أو في الحصول على العالم كله، وننسى الله ونكتشف أن كل هذه الأشياء لا تجعلنا نتحرك . والسبب بسيط: إن الله خلقنا لكي نحيا به وحده، ويجب أن نعطيه المكان الأول في قلوبنا.

أيها القارئ العزيز: الغذاء الوحيد الذي يعطيك الحياة ويشبع قلبك هو يسوع المسيح وحده. فقد تجري وراء غيره فتتعب ولا تحصد إلا الجوع والعوز ولكنه هو الذي يشبع قلبك ويملا حياتك بالاكتفاء والراحة والسعادة . "فيه كانت الحياة".

الخبز الصالح للجميع:

كان اليهود الإسرائيليون يقولون إن المن يناسب الناس من كل عمر . وفي كل حالة. إنه يناسب المريض والصحيح ، ويناسب الكبير والصغير.

لا زال الخبز إلى اليوم طعام الجميع.. الغني والفقير الجميع يأكلون من الخبز. ويسوع المسيح الخبز النازل من السماء هو طعام الجميع. وفي كلام المسيح يفتح الباب أمام الجميع حتى ينالوا الحياة.

"من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد" (يوحنا 6:51).

"كل من سمع من الآب وتعلَّم يُقبل إليَّ" (يوحنا 6:45).

أيها القارئ العزيز :الفرصة لك أن تأتي إلى المسيح . وتجد فيه كل ما تحتاج إليه. عنده كل حل لكل مشكلة من مشاكلك. إنه يفتح بابه لك. ويدعوك بترحيب. مائدة مستعدة لاستقبالك، كأنه لا يوجد أحد في العالم إلا أنت!

الخبز الذي يعطي الحكمة:

الله الذي هو الحكمة ينادي:

"كلوا من طعامي.. اتركوا الجهالات فتحيوا، وسيروا في طريق الفهم" (أمثال 5:9).

كل من يأكل من هذا الخبز يصبح حكيماً ويترك طريق الجهل.. ونحن نحتاج إلى هذا الخبز في كل وقت .. في كل يوم.. في الصباح والظهر والمساء.

وكما نأكل نحن الخبز في كل حين، هكذا نحتاج إلى حكمة الله في كل حين، حتى نعرف كيف نميز بين النافع والضار، وحتى نقدر أن نختار بين الصالح والأصلح.

"الحكمة ذبحت ذبحها.. رتبت مائدتها. أرسلت جواريها تنادي: هلموا كلوا من طعامي" (أمثال 1:9-5).

فهل تأتي أيها القارئ العزيز إلى المسيح، وتطلب منه أن يشبع قلبك بكل ما تحتاج إليه؟ إنك تحتاج إليه، لأنك بدونه تحيا في جهالة.

الخبز لك.. أنت:

لا يستطيع أحد أن يأكل الخبز بدل شخص آخر!

كل واحد يأكل طعام نفسه . وفي معاملتك مع المسيح يجب أن تؤمن أنت نفسك شخصياً. "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه" (يوحنا 56:6).

"هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت" (يوحنا 50:6).

الأكل عمل فردي.. وكذلك الإيمان بالمسيح.

ولا بد أن يدخل الخبز في جسدنا، ويصبح لحماً من لحمنا، وعظماً من عظامنا، ودماً من دمنا.

أيها القارئ العزيز:

هل قبلت المسيح في قلبك؟

هل سلمت له حياتك؟

افتح قلبك له، وخذ منه الحياة.

11- نور العالم

"أنا هو نور العالم" (يوحنا 12:8)

قال المسيح: أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة " وهذا قول عظيم، لا يستطيع بشر أن يقوله. ولكن "الله الذي ظهر في الجسد" قاله، بعد أن غفر للمرأة الخاطئة وأطلقها حرة من ظلمة الخطية إلى نور حياة الطهارة. ثم بعد أن قاله فتح عيني المولود أعمى. والفرق بين الأعمى والمولود أعمى، أن الأعمى له مراكز بصر لا تعمل، ولكن المولود أعمى ليس له مراكز بصر. فخلق المسيح له مراكز بصر!

وقد وردت قصة فتح عين المولود أعمى في الأصحاح التالي (يوحنا 9) للأصحاح الذي أعلن فيه أنه نور العالم (يوحنا 8).

قال الحكيم: "النور حلو وخير للعينين" (جامعة 7:11) ومنذ القديم فكر الناس في أن الله نور، حتى عبدوا الشمس لأنها مصدر النور!

ويقول المرنم: "الرب نوري وخلاصي" (مز 1:27). فإن هناك معركة دائمة بين النور والظلمة. الظلمة رمز الشر والنور رمز الخير. ولا بد أن يطرد الخير الشر كما يطرد النور الظلام. فنشكر الله لأنه نورنا وخلاصنا.

وقد تنبأ بلعام في القديم بالمسيح نور العالم، فرآه الكوكب الذي يبرز من يعقوب (العدد 17:24) ونجد تحقيق النبوة في سفر الرؤيا عندما نسمع الصوت الإلهي يقول: "أنا يسوع.. أنا أصل وذرية داود، كوكب الصبح المنير" (16:22).

وكأن النجم الذي قاد المجوس للمسيح يقول لهم إن كوكب الصبح المنير قد جاء (متى 2:2-9) بل هو شمس البر والشفاء في أجنحته (ملاخي 2:4).

إنه كوكب الصبح، ألمع النجوم.. بل هو الشمس.. فهل نحتاج بعده إلى نور؟

وأي نور أعظم من نور الشمس. كل المعلمين والأنبياء الذين جاءوا قبله أو بعده أخذوا منه، ولم يزد أحد منهم شيئاً على تعاليمه. بل إن تعاليمه هي الكاملة العظيمة العالية، وكل ما قبلها أو بعدها اقتباس منها.

وهو النور الذي ينهي الظلام، وبه يطلع النهار.. ومتى طلع النهار هل يوقدون سراجاً؟ وهو الشمس والكوكب المنير الذي يضيء المسكونة كلها، ولا يمكن أن يحبس نوره شيء.. ما أمجد هذا المسيح!

وقد قال هو عن نفسه: "أنا هو نور العالم" .. قال هذا في أورشليم وقت عيد المظال، الذي يسكن اليهود أثناءه في خيام من أغصان الشجر ليذكروا سفرهم في البرية من مصر إلى كنعان..

وقال القول عند الخزانة، حيث يضع الناس الفضة هدية للهيكل.

وقد اعتاد اليهود أن يقيموا حفلة خاصة في نهاية اليوم الأول من عيد المظال. وكانوا يضيئون أربعة شمعدانات ضخمة بعد حلول الظلام، فكان النور يطرد الظلام من الهيكل ومن شوارع وحارات أورشليم..

وعند هذا الاحتفال العظيم أعلن المسيح أنه هو نور العالم!

ومن هذا نرى ثلاثة معاني:

1- تذكار عمود النار الذي كان يضيء الليل عند سفر الشعب إلى كنعان، وهم في البرية. وعيد المظال كما رأينا تذكار سكن الشعب في البرية.

والنور يذكرهم بنور الله الذي أضاء طريقهم، وأرشدهم في السفر، وحماهم من الوحوش بالليل (راجع سفر الخروج 21:13).

والمسيح هو النور الذي يضيء ظلمة حياتنا، ويرشدنا للطريق الذي نسلكه..

2-تذكار السحابة المنيرة التي غطت مكان الـ عبادة. ويقول الكتاب: "وفي المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح" (العدد 15:6).

وتذكار السحاب الذي ملأ الهيكل عندما صلى سليمان فيه، وقول الكتاب عنه: "لأن مجد الرب ملأ البيت" (1ملوك 11:8).

وكان نور الشمعدانات الأربعة في عيد المظال تذكيراً لليهود بأن الـ رب يسكن في وسطهم. وفي المسيح نرى الله وسطنا. هو حل بيننا بمعنى أنه جاء في خيمة إلينا. الله فيه سكن وسطنا.

3-انتظار مجيء المسيا الذي تنبأ عنه النبي إشعياء وقال :"الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً . الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" (2:9).

وها قد جاء المسيا الذي انتظروه.

والمسيح يقول إنه النور الذي يضيء للعالم كله، والناس يسيرون في برية الحياة المظلمة . وهو النور الذي يضيء على كل من يقبله، كما أضاء بحضوره على الشعب .. وهو النور الذي انتظره الآباء في العهد القديم، حتى جاء في ملء الزمان!

والآن تعالوا نرى المعاني التي نتعلمها من قول المسيح: "أنا هو نور العالم"

1- النور يكشف:

الذي يسير في الظلام لا يرى عيوب الطريق.. والذي يبقى في الظلام لا يقدر أن يرى عيوب وجهه أو عيوب ثيابه.. ويقول المسيح إن الذي يعمل الخطأ لا يحب النور، إذ يقول: "النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا توبَّخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يوحنا 3:19-21).

النور يطرد الجريمة .في الظلام يقتل الـ ناس بعضهم ويسرقون، ولكن النور يخجلهم فلا يخطئون. ولا يستطيع أحد أن يكشف نفسه وعيوبها إلا في نور المسيح.

في نور المسيح شعر بطرس بخطيته، فصرخ: "لأني رجل خاطئ".

وفي نور المسيح يمكن أن ترى عيوبك أيها القارئ، وتعرف نفسك . إن كنت تظن أنك صالح، فأنت محتاج إلى نور المسيح الذي يكشف عيوبك حتى تصلي: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ".

النور يحيي:

قال الإنجيل عن المسيح: "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس" (يوحنا 1:4). نور الشمس ينمي النبات، وبدون النور لا تزهر الورود ولا ينمو الشجر. ونور الشمس يحفظ الصحة، فالذي يعيش تحت الأرض يتلف صحته.. والحكومة تحاول أن تهدم البيوت الضيقة القديمة وتبنى بدلها البيوت الجديدة التي يدخلها النور. والمسيح يعطي الحياة.. ويعطي النمو ويعطي الصلاح..

وقد قال الرسول يعقوب: "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار"

والمسيح نور العالم يعطي الحياة.إنه يكشف عيوبنا، ويحيينا!

يقول: "من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة".

3-النور يرشد:

كان النور يسير قدام الشعب فيسيرون.. وكان يقف فيقفون.. وكان عمود السحاب هداية للشعب في البرية. والمسيح نورنا ودليلنا ومرشدنا! الذي يتبعه لا يمشي في الظلمة ولا يعثر..

وكما يضيء الفنار للسفن حتى لا تصطدم بصخور الشاطئ، هكذا من يمشي في نور المسيح لا يصطدم بصخور الحياة القاسية، ولكن يصل إلى شاطئ الأمان في سلام.

وقد قال المسيح: "إن كان أحد يمشي في النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم" (يوحنا 9:11).

4- النور ينتصر:

"النور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يوحنا 5:1)

لا تستطيع الظلمة أن تجري وراء النور حتى تدركه.. لكن النور يجري وراء الظلام ويبدده!

نور النهار يقشع ظلام الليل، وشمعة صغيرة تبدد ظلام غرفة كبيرة..

ونور المسيح لا بد أن ينتصر ويقشع ظلام الخطية، فإن النصر النهائي ليسوع.

قد يظهر أن الظلام يهزم النور، وقد يظهر أن الشر يغلب الخير، أو أن الضلال ينتصر على الحق.. لكن النصرة الأخيرة للحق وحده.

أيها القارئ العزيز: ثق في يسوع الذي سينتصر، وتجثو لاسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. وإن كنت مع يسوع فالنصر لك، لأنه إن كان الله معنا فمن علينا؟!

المسيح أنار الحياة:

يقول الرسول بولس إن المسيح أنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (2تيمو 10:1).

أنا المسيح العالم بتعاليمه، فما أروع ما قال عن حياة المحبة للآخرين، والغفران للمسيئين. استمع إليه وقد أنار جوانب حياتنا بما علَّم. "سمعتُم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعدائكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (متى 43:5 و44).

يا لنور هذا التعليم المدهش، الذي لو طبق على حياتنا لتغير عالمنا تماماً. نحن لا نحتاج لأسلحة ذرية، لأن قلب عالمنا جائع إلى الحب. نعم أنار المسيح عالمنا بتعليمه العامر بالحب.

على أن المسيح أيضاً أنار عالمنا بمثال من حياته. هو الذي يطبق ما علَّم به. لم تكن هناك شريعة كلف بها سامعيه لم يطبقها هو على نفسه أولاً، في كل مجالات الحياة. لم يكن هناك استثناء واحد من الشريعة استثنى المسيح نفسه منه، بحجة أنه قائد أو معلم أو منشئ عبادة جديدة. لقد كان المسيح تجسيداً حياً لكل علم به وكل ما قاله. لقد واجه المسيح أعدائه الذين طالما انتقدوه وقال لهم: "من منكم يبكتني على خطية؟" (يوحنا 46:8) فلم يستطع واحد أن يجاوب عليه. نعم، هو الكامل الذي لا خطأ فيه. عنه يقول الرسول بطرس الذي عاش معه في قرب قريب مدة ثلاث سنوات: فغن المسيح تألم من أجلنا، تاركاً لنا مثالاً لكي نتبع خطواته. الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر. الذي إذا شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذا تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل" (1بطرس 21:2-23). صحيح أن المسيح أنار حياتنا بما علَّم، وأنار حياتنا بما عاشه، وأعطانا نموذجاً لهذه الحياة.

على أن أجمل شيء هو أن المسيح أنار حياتنا بأن يسكن قلوبنا فنتمكن من تطبيق ما علَّمنا وما أرانا في سلوكه. إن الذي يقرأ تعاليم المسيح يصاب بحالة من اليأس الشديد، لأنه يجد نفسه عاجزاً تماماً عن أن يقوم بها. هنا يجيء المسيح ليسكن قلب المؤمن به ليمكنه من أن يعمل عمله.

لا يمكن أن تكتب شعراً كشعر شوقي أمير الشعراء إلا إذا كان روح شوقي فيك. ولكن شوقي مات، أما المسيح فهو الحي الذي قام من بين الأموات، وهو يقوم لك: إنني أسكن قلبك وأغير حياتك وأحلُّ فيك، لتستطيع أن تعمل الأعمال التي أعملها أنا. عندها نستطيع أن نطبق ما علمه لنا وما أعطاه من حياته كنموذج لسلوكنا. لذلك يقول الإنجيل المقدس: "ليكن فيكم الفكر الذي في المسيح" (فيلبي 5:2). ويقول: "لأن الله هو الأمل فيكم لأن تريدوا

وأن تعملوا من أجل مسرته" (فيلبي 13:2). نعم، إن المسيح أنار حياتنا بكل هذا. ويمكن أن يدخل النور إلى حياتك، فقد قال: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة".

المسيح أنار الخلود:

نعم، أنار المسيح حياتنا كما أنار لنا الخلود بواسطة الإنجيل – الخبر المفرح – الذي هو مجيء المسيح إلى عالمنا. لقد سار المسيح الطريق أمامنا، فجاز في وادي ظل الموت، وقام من بين الأموات بعد أن هزم الموت، وهو يقول لك: "لقد سلكت الطريق أمامك، فالطريق مضيء. كأن شخصاً عبر نهراً وأضاء سراجاً في الجانب الآخر، فأصبح البحر مظلماً مضيئاً، لأن الذي عبر أنار الطريق كله. هذا ما فعله السيد المسيح. لقد مات من أجلنا ورفع على الصليب ودفن في القبر، ولكنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات.؟ وعندما ذهب تلاميذه ليقوموا بواجبهم نحو الجسد الميت وجدوا القبر فارغاً. ولغز القبر الفارغ يقول لكل واحد منا: "ليس هو ههنا لكنه قام كما قال" (متى 6:28) هذا المسيح الحي الذي أنار لنا الطريق يقول لنا: "إني أنا حيٌ فأنتم ستحيون" (يوحنا 19:14). نعم أنار المسيح الخلود لأنه جاز الطريق قبلنا، وهو يمسك بأيدينا لنعبر سائرين وراءه.

ولا نستطيع أن نختم حديثنا هذا بدون أن نشير إلى حقيقة هامة وهي أن النور ليس معنا في كل حين فقد قال المسيح: " النور معكم زماناً قليلاً بعد، فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام" (يوحنا 35:12).

الفرصة لك لتقبل المسيح وتنال الخلاص.

النور معك زماناً يسيراً، الفرصة بين يديك الآن، لكنها قد تضيع منك غداً..

اليوم يوم خلاص، والوقت وقت مقبول.

اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم..

أدعوك أن تجيء إلى المسيح لتقول له: "أنا أعرف عيوبي يا رب. أنا محتاجٌ إلى نور المسيح" صلِّ قائلاً: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ" وعندها يتحقق لك القول المبارك: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة".

12- الباب

"أنا هو الباب" (يوحنا 9:10)

في الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا كان السيد المسيح يتكلم عن أنه الراعي الصالح. والراعي عادة يقود خرافه إلى حظيرة حيث يجدون الاطمئنان والأمن والحراسة. وقال السيد المسيح: "أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص، ويخرج ويدخل، ويجد مرعى" كانت حظيرة الخراف أرضاً محاطة بحوائط من ثلاث جهات. أما الرابعة فهي فتحة الدخول، وكانوا يسمونها "الباب" وكان الراعي عادة يدخل خرافه إلى الحظيرة، ثم ينام هو في تلك الفتحة، فكان هو فعلاً باب الحظيرة. الذي يدخل أو الذي يخرج إلى الحظيرة لا بد أن يدخل ويخرج من خلال الراعي نفسه.

باب السماء:

المسيح هو الباب الذي به نصل إلى السماء. قال هو: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا 6:14). وقال عنه الرسول بطرس: "ليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال 12:4). وقال عنه رسول المسيحية بولس: "جاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين، لأن به لنا كلينا – من بعيدين وقريبين – قدوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله" (أفسس 2:17-19). هذا هو المسيح الذي يوصلنا إلى السماء ويجعلنا من أهل بيت الله. وقال لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين في الإنجيل المقدس: "لنا الآن أيها الإخوة حق التقدم بثقة إلى الموضع الأقدس في السماء، بواسطة دم يسوع، وذلك بسلوك هذا الطريق الحي الجديد، الذي شقَّه لنا المسيح بتمزيق الستار، أي جسده . ولنا أيضاً كاهن عظيم يمارس سلطته على بيت الله. فلنتقدم إلى حضرة الله بقلب صادق وبثقة الإيمان الكاملة، بعد ما طهَّر رش الدم قلوبنا من كل شعور بالذنب، وغسل الماء النقي أجسادنا" (عبرانيين 19:10-22) (ترجمة كتاب الحياة) فالمسيح إذاً هو الباب الذي به نصل إلى السماء. صرخ أيوب في سفره: "ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا" (أيوب 33:9) لأنه شعر أن هناك عداءً بينه وبين الله نتيجة لخطيئته، ولذلك كان يطلب أن يصل إلى السماء، فطلب من يمثله، وفي الوقت نفسه يمثل الله. وجاء المسيح ليقول له إن ذلك الواحد الذي جاء ليصل السماء بالأرض، والأرض بالسماء، لأنه بطبيعته الإلهية ممثل لله، وبطبيعته الإنسانية ممثل للبشر. لذلك يقول رسول المسيحية بولس: "يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح (1تيموثاوس 5:2) إله واحد الإنسان يسوع المسيح، في ألوهيته يمثل الله، وفي إنسانيته يمثلنا، ويوجد الإثنين معاً، ويصل الأرض بالسماء.

عندما جاء المسيح إلى أرضنا أكد لنا أن الله قريب منا، لأننا في المسيح عرفنا حب الآب السماوي لنا، فإن اللقب الذي أطلقه عليه نبيُّ التوراة إشعياء هو "عمانوئيل (أي الله معنا)" (إشعياء 14:7).

باب البركة:

المسيح هو الباب الذي به نصل إلى سماء البركة. الذي يدخل به يخلص ويدخل ويخرج، ويجد مرعى لأن المسيح شبع الحياة، فهو الخبز الحي الذي نزل من السماء. والذي يجد المسيح يدخل به ويخرج – يدخل إلى شركة عميقة مع الله، ويخرج مؤهلاً بمواهب عظيمة لخدمة الله. إنه يدخل إلى مخدع الصلاة ويخرج ليخدم الآخرين.

ندعوك لان تتعرف على المسيح المخلص، لتدخل به إلى حياة التعرّف على الله، وتخرج لكي تخدم الآخرين باسمه، وبالنعمة التي يعطيها لك في محضره.

وهناك معنى آخر لقولنا إن الذي يدخل من الباب، الذي هو المسيح، يدخل ويخرج، هو أنه يشعر أنه في بيته، يتمتع بحرية. هناك حدود مفتوحة يتحرك فيها بحرية، وهناك نظام سائد يجعله يدخل ويخرج بغير خوف. قيل عن بولس رسول المسيحية بعد إيمانه بالمسيح إنه كان مع التلاميذ يدخل ويخرج في أورشليم، ويجاهر باسم الرب يسوع. إن المسيح يعطينا حرية عندما نتعرَّف عليه. وقد قال: إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" كما قال أيضاً: "وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا 32:8).

الذي يدخل به يخلص ويجد مرعى، غذاءً لنفسه. ثم أنه يدخل ويخرج بمعنى أنه يدخل إلى شركة عميقة مع الله ويخرج مؤهلاً ليخدم الله. ثم أنه يدخل ويخرج كأنه في بيته، لأنه يحسُّ بالحرية التي يهبها المسيح.

باب الحياة الجديدة:

أقدم لك معنى آخر لقول السيد المسيح: "إن دخل بي أحد يخرج ويدخل" هو أنه يدخل بالإيمان للحياة الجديدة، ويخرج من الحياة الأرضية بالموت الجسدي إلى الحياة الأبدية في السماء. عندما نتعرَّف على السيد المسيح فإننا ندخل إلى حياة جديدة، فيها تعرُّف جديد بالله، يقول الإنجيل في وصفه: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (2كو 17:5). إن الذي يؤمن بالمسيح في هذه الحياة ينال الحياة الأبدية، وعندما تنتهي حياته هنا على الأرض يخرج منها إلى الحياة الأخرى، إلى الحياة بعد الموت منتصراً على الموت، لأنه وضع ثقته في السيد المسيح.

ويقول لنا كاتب العبرانيين: "بما أن الأولاد متشاركون في أجسام بشرية من لحم ودم، اشترك المسيح أيضاً في اللحم والدم، باتخاذه جسماً بشرياً، وهكذا تمكن أن يموت، ليقضي على من كان له سلطة الموت - أي إبليس – ويحرر من كان الخوف من الموت يستعبده طوال حياته" (14:2 و15) (ترجمة كتاب الحياة).

باب النضوج:

وهناك معنى آخر لقول السيد المسيح: "أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص، ويخرج ويدخل ويجد مرعى" بمعنى أنه يدخل ويخرج كشخص ناضج. فالطفل وغير المختبر لا يستطيع أن يخرج ويدخل وحده. تحدَّث إمام الحكماء سليمان في صباه قائلاً: "أنا فتى صغير، لا أعرف الخروج والدخول" (1ملوك 7:3) عندما نتعرف على المسيح يعطينا نوعية ناضجة من الحياة، نتمكَّن معها أن ندخل ونخرج لأننا كبرنا. لذلك قال المسيح: "جئت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل" (يوحنا 10:10).

وهناك معنى آخر أخير أشاركك فيه في قول السيد المسيح: إن الذي يدخل بالمسيح يخلص، ويخرج ويدخل، بمعنى أنه يصير قائداً، لأن المسيح يكلفه بخدمته. فنقرأ في التوراة أن موسى قال للرب: "ليوكل الرب، إله أرواح جميع البشر، رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم، ويدخل أمامهم، ويخرجهم ويدخلهم، لكي لا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها" (عدد 16:27 و17). وقبل الله طلب موسى، وعين يشوع ليقوم بهذه الخدمة . إن الذي يدخل ويخرج يصبح قائداً.

يريد لك المسيح أن تقدم خدمة رائدة له. إن كنت قد دخلت من خله وخلصت، ووجدت غذاء لقلبك ولنفسك، أدعوك لأن تدخل مع المسيح إلى حياة جديدة أبدية، إلى خلوة حلوة مع الله، وتخرج بعدها إلى حياة خدمة مجيدة لله. المسيح هو الباب لهذا الخير كله. فهل تقبله وتدخل به إلى الخلاص والشبع والحرية؟

باب الحماية:

إنه يقدم لك الحماية. لقد ذكرنا أن حظيرة الخراف محاطة بحوائط من ثلاث جهات، أما الرابعة فهي فتحة الدخول، التي ينام فيها الراعي.. هذا يعني أن من يدخل إلى الحظيرة ليؤذي الخراف لا بد أن يمرَّ على جسد الراعي نفسه. ولذلك فإننا نقرأ كلمة جميلة في نبوة النبي زكريا في التوراة يقول الله فيها: "من يمسكم يمس حدقة

عينه" (زكريا 8:2). وربما كان ضمير الغائب هنا في كلمة "عينه" عائداً على الله، أو أن من يمسُكم يؤذي نفسه، فيمس حدقة عين نفسه. فيكون ضمير الغائب في هذه الحالة عائداً على الشخص الذي يمسُّ المؤمنين، محاولاً إيقاع الأذى بهم. أعتقد أن المعنيين صحيحان! إن الذي يمسُّ المؤمنين بأذى يمس الله نفسه، لأن المؤمنين منتمون إلى الله. ويقول لنا نبيٌّ إشعياء: "في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم" (إشعياء 9:63). وفي الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا، حيث قرأنا قول المسيح: "أنا هو الباب". نقرأ أيضاً قوله المبارك: "خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد" (يوحنا 27:10-30). يا لهذه الحماية المذهلة التي يقدمها المسيح لكل واحد منا! وفي صلاة المسيح الشفاعية، قبل قيادة المسيح إلى الصليب، سمعناه يصلي قائلاً للآب: "حين كنت معهم في العالم كنت أحفظهم في اسمك. الذي أعطيتني حفظتهم. ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" (يوحنا 12:17). ويقول لنا رسول المسيحية بطرس في رسالته الأولى في الإنجيل: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات لأجلكم. أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير" (1بطرس 3:1-5).

هذه الكلمات الجميلة التي يقدمها لنا الإنجيل المقدس عن المسيح الذي يحمي الذين ينتمون إليه، تضع في قلوبنا أملاً كبيراً أننا عندما نبدأ اختباراً روحياً جديداً مع الله لا نخاف من الضياع ولا نخشى من أننا لا نكمل. فإن كنت قد بدأت في حياة دينية حلوة مع الله، أؤكد لك أن المسيح يحميك. ويقول الرسول بولس: "واثقاً بهذا عينه: إن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح" (فيلبي 6:1). نعم، المسيح هو الذي ابتدأ فيك العمل الصالح، وهو الذي يكملهُ إلى يوم مجيئه ثانية، ولذلك فإن رسول المسيحية بولس، وفي شدة ثقته بهذا الحفظ الإلهي، يقول: "لأنني عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم" (2تيموثاوس 12:1).ويقول لنا الرسول يهوذا: "والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور. آمين" (يهوذا 24 و25).

باب الإحصاء:

كان الراعي يدخل خرافه إلى حظيرة محاطة بحوائط من ثلاث جهات. أما الجهة الرابعة فهي فتحة الدخول التي كان الراعي ينام فيها بجسده. ولقد كانت هناك فائدة لهذه الفتحة التي تسمى "الباب" هي أن الراعي كان يضع عصاه فيها بمستوى منخفض، لتدخل الخراف من تحتها من باب الحظيرة، فيعدُّها ويطمئن على حالتها الصحية. وكان هذا العمل يتم يومياً. ففي كل يوم يُدخل الراعي خرافه إلى الحظيرة من خلال تلك الفتحة من تحت العصا ليعرف عددها. ثم ليرى إن كانت إحداها مريضة، فكان يعرف حالة المرض من طريقة سيرها وهي تنحني لتدخل من تحت العصا. إن راعينا الصالح، الله، يريد أن يعرف أننا موجودون معه. إنه يؤكد لنا أنه لا يسمح لأحدنا أن يضل دون أن يبذل كل جهد لإعادته إلى المكان السليم، وهو في الوقت نفسه يريد أن يطمئن على حالتنا ليؤكد لنا أنه يُحبنا ويعتني بنا. ولقد قال لنا السيد المسيح في معرض تأكيد عنايته بنا: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك الجسد والنفس كليهما في جهنم. أليس عصفوران يُباعان بفلس، وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة" (متى 28:10-31). هذا القول المبارك المشجع يقول لنا المسيح إن الله قد أحصى شعور رؤوسنا، بالرغم من أننا نحن لم نحصها. هذا الشيء الذي لا

نهتم له وهو سقوط شعرة من رؤوسنا، يهمُّ إلهنا، فهو يعتني به. ما أعظم أن نتأكد أن إلهنا يعتني بنا فعلاً. عندما يقول المسيح عن نفسه إنه هو الباب يؤكد لنا أنه يجري لنا إحصاء ليطمئن على حالتنا. لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا، لأنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا. كما يترأف الآب على البنين يترأف الرب على خائفيه، لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن.. رحمة الرب إلى الدهر والأبد على خائفيه، وعدله على بني البنين" (مز 103:8-17).

المسيح هو الباب الذي يضمن لك العناية الكاملة، ويضمن لك الحماية الكاملة، ويضمن لك الوصول إلى السماء. ندعوك أن تفتح قلبك إلى المسيح وأن تقبله وأن تؤمن به ليكون بالنسبة لك الباب الذي إذا دخل به أحد يخلص، ويخرج ويدخل، ويجد مرعى.

13- النبي

"هذا يسوع النبي" (متى 11:21)

هذا لقب أطلقه السيد المسيح على نفسه، كما أطلقه عليه كثيرون من تلاميذه ومن غير تلاميذه. المسيح نبي، وهذا اللقب يصف عمله الكرازي. لكن هذا اللقب لا يغطي كل جوانب شخصية السيد المسيح، فالمسيح أعظم من نبي. إنه المخلص الوحيد الذي أشار إليه أنبياء التوراة. هناك أنبياء كثيرون صادقون، وهناك أنبياء كذبة، لكن يوجد إلهٌ واحدُ ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح (1تيموثاوس 5:2). لقد أطلق السيد المسيح على نفسه مرتين لقب نبي. في المرة الأولى كان يزور البلد التي تربى فيها – الناصرة – وعندما دخل مكان العبادة قدموا إليه سفر النبي إشعياء ليقرأ منه، فقرأ الموضع الذي كان مكتوباً فيه: "روح الرب عليَّ مسحني لأبشر المساكين. أرسلني لأشفي منكسري القلوب. لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية" ثم بدأ يعظ السامعين ويقول: "اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم" وكان جميع السامعين يشهدون له، ويتعجبون من كلمات النعمة التي كان يقولها، وأخذوا يتساءلون: أليس هذا ابن يوسف؟ فأجابهم: "على كل حال تقولون لي هذا المثل: أيها الطبيب أشف نفسك. كما سمعنا أنه حدث في كفرناحوم، فافعل مثل تلك المعجزات عندنا في وطنك". وقال السيد المسيح لهم: "الحق الحق أقول لكم إنه ليس نبيٌ مقبولاً في وطنه" (لوقا 24:4).

أمما المرة الثانية التي قال السيد المسيح فيها عن نفسه إنه نبي، فقد ذكرها عندما تقدم إليه بعض الفريسيين وقالوا له: "اخرج واذهب من هنا، لأن الملك هيرودس يريد أن يقتلك" فأجابهم: "امضوا وقولوا لهذا الثعلب: "ها أنا أخرج الشياطين، وأشفي اليوم وغداً، وفي اليوم الثالث أكمل. بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبيٌ خارج عن أورشليم". ثم قال السيد المسيح: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها وأنتم لم تريدوا. هوذا بيتكم يترك خراباً" (لوقا 13).

النبي الذي تنبأ به موسى:

لقد أطلق السيد المسيح على نفسه لقب نبي مرتين، أما أتباعه فقد أطلقوا عليه هذا اللقب كثيراً. أطلق بطرس عليه هذا اللقب في وعظه، بعد أن شفى الرجل الذي كان مولوداً أعرج، وقال إن السيد المسيح هو النبي الذي سبق أن أنبأ عنه موسى في التوراة في سفر التثنية. ثم مضى رسول المسيحية بطرس يقول: ولقد قال موسى إن الله سيبعث فيكم من بين إخوتكم نبياً مثلي، فاسمعوا له في كل ما يكلمكم به. أما ن لا يسمع له فيُباد من وسط الشعب. وكذلك تنبأ بهذه الأزمنة جميع الأنبياء، من صموئيل إلى الذين جاءوا هم من بعدهم. وأنتم أحفاد هؤلاء الأنبياء، وأبناء العهد الذي أبرمه الله لآبائنا، عندما قال لإبراهيم: بنسلك تنال البركة شعوب الأرض كلِّها. فمن أجلكم أولاً أقام الله فتاه يسوع، وأرسله ليباركم، بردِّ كل واحد عن شروره" (أعمال 22:3-26).

في هذه الكلمات يقول الرسول بطرس إن النبي الذي تنبأ عنه موسى هو من إخوته، من بني إسرائيل، وهو السيد المسيح. وعندما كان السيد المسيح يفعل معجزات كان الشعب يقول إنه النبي. فلما أقام ابن أرملة نايين من بين الأموات، قال الذين رأوا المعجزة: "قام فينا نبيٌ عظيم، وافتقد الله شعبه" (لوقا 16:7). وبعد أن أطعم السيد المسيح خمسة آلاف نفس بخمسة أرغفة وسمكتين، قال الذين أكلوا: "هذا هو بالحقيقة النبيُ الآتي إلى العالم" (يوحنا 14:6). وعندما دخل المسيح دخوله الانتصاري إلى أورشليم بدأت الجماهير تقولك "هذا هو يسوع النبي، الذي من ناصرة الجليل" (متى 11:21).

أعظم من نبي:

بدأ بعض الناس يرون المسيح نبياً، لكنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل رأوا فيه، أعظم من نبي. هناك حالتان يوردهما الإنجيل توضحان لنا هذه الفكرة. الحالة الأولى حالة المرأة السامرية التي جاء ذكر قصتها في الأصحاح الرابع من الإنجيل كما رواه يوحنا، فقد جاءت إلى البئر لتستقي ماءً، لكن واقع الأمر كان أنها تحتاج إلى ماء الحياة. وعندما عرض السيد المسيح عليها أن يرويها من الماء الحي، رأت فيه رجلاً عادياً يعرض أن يعطيها ماءً، وليس لديه دلوٌ، والبئر عميقة. ولكنه عاد يسألها عن زوجها، فاكتشفت أنه يعرف. فقالت له: "يا سيد، أرى أنك نبي" وعندما حدَّثها عن حياتها الروحية وعن علاقتها بالله وتعبدها له، اكتشفت حقيقة أمره، وقالت له إنه المسيح. لقد نما إيمانها حتى اكتشفت أنه هو المسيح المخلص الآتي إلى العالم.

أما القصة الثانية فقد جاءت في الإنجيل كما رواه البشير يوحنا في الأصحاح التاسع، عن الرجل الذي وُلد أعمى، ثم فتح المسيح عينيه، فقد بدأ معرفته عن السيد المسيح بأنه نبي. ولما سأله شيوخ اليهود: "ماذا تقول أنت عنه، من حيث أنه فتح عينيك؟" فأجابهم: إنه نبي. لكن المسيح التقى به بعد ذلك وسأله: "أتؤمن بابن الله؟" فأجاب الأعمى: "من هو يا سيد لأؤمن به؟" قال له السيد المسيح: "قد رأيته. والذي يتكلم معك هو هو" فقال: "أنا أؤمن يا سيد" وسجد له. صحيحٌ أن السيد المسيح هو النبي، لكنه أعظم من نبي. لا توجد كلمة واحدةٌ تكفي لوصف كل جوانب شخصية المسيح، فإنه هو الذي قال عن نفسه: "أنا والآب واحد" (يوحنا 30:10). وهو الذي قال له بطرس: "أنت هو المسيح ابن الله" (متى 16:16). إن الذين اكتفوا بوصف المسيح أنه نبي لم ينتبهوا لتفرُّده فحسبوه رجل الله، بينما الحقيقة هي أنه ابن الله.

يعلن أسراراً حاضرة وآتية :

السيد المسيح نبي، كان يعلم ما يخفيه الناس في صدورهم، يعلم الغيب. لقد كان النبي في التوراة يحمل لقب "الرائي" بمعنى أنه يرى ما لا يراه غيره، لأن الله يعلن له. ويقول لنا صاحب المزامير: "سرُّ الرب لخائفيه" (مز 14:25). ويقول نبيٌّ الله عاموس "إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرَّه لعبيده الأنبياء" (عاموس 7:3).

ويتحدث الإنجيل عن السيد المسيح بأن عينيه تخترقان أستار الظلام، ويقول عنه إنه كان يعرف الجميع. وإنه لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان" (يوحنا 25:2).

ويحدثنا الإنجيل أنهم جاءوا للمسيح مرة برجلٍ مشلول فشفاه، وقال له: مغفورة لك خطاياك". فجعل الجالسون يفكرون في قلوبهم قائلين: "لماذا يتكلم هذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟"وفوراً شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا في قرارة نفوسهم، فسألهم: "لماذا تفكرون بهذا في قلوبكم؟ أيُّما أيسر: "أن يُقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: "قم واحمل سريرك وامش. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا، قال للمفلوج: "لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك" فقام الرجل فوراً وحمل سريره وخرج أمام الجميع، حتى بهتوا ومجدوا الله قائلين: "ما رأينا مثل هذا قط؟" (مرقس 1:2-12).

لقد شعر المسيح بما يجول في خاطر سامعيه، كما عرف أيضاً حديث تلاميذه الذي دار بينهم بغير أن يسمعه بأذنيه. بل عرفه بقلبه، لأن المسيح هو النبي الذي ينبئ بأسرار حاضرة وآتية. فإنه عندما وصل إلى كفرناحوم واجتمع مع تلاميذه بالبيت سألهم: "بماذا كنتم تتكلمون فيما بينكم في الطريق؟". فسكتوا، لأنهم تجادلوا في الطريق بعضهم مع بعض في من هو الأعظم. فقال لهم السيد المسيح: "إذا أراد أحدٌ أن يكون أولاً فيكون آخر الكل، وخادماً للكل".

في خلال الأسبوع الأخير من حياة السيد المسيح، جرت أحداث كثيرة، من إلقاء القبض عليه وتسليمه للأعداء، ثم صلبه وقيامته. وقد أنبأ السيد المسيح بهذه كلها. فعندما اقترب مع تلاميذه من أورشليم، أرسل اثنين منهم وقال

لهما: "اذهبا إلى القرية التي أمامكما فتجدان وأنتما داخلان إليها جحشاً مربوطاً، لم يجلس عليه أحدٌ من الناس، فحُلاه وأتيا به" فمضيا ووجدا كما قال المسيح لهما. وجدا الجحش مربوطاً عند الباب خارجاً على الطريق فحلاَّه. وعندما دخل المسيح أورشليم راكباً على الجحش، نظر إلى هيكل أورشليم العظيم، وقال لتلاميذه: إنه لا يترك حجرٌ على حجرٍ لا ينقض من ذلك الهيكل. ولقد تمَّ ما قاله تماماً، لأنه في سنة سبعين للميلاد أُخربت مدينة أورشليم تماماً، ولم يترك حجر على حجرٍ لم يُنقض من هيكلها العظيم.

وفي اليوم الأول من عيد الفطر حين كانوا يذبحون الفصح، سأل التلاميذ السيد المسيح: "أين تريد أن نمضي ونعدَّ لنأكل الفصح؟" فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما: "اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسانٌ حاملٌ جرة ماءٍ. اتبعاه. وحيثما يدخل قولا لرب البيت: إن المعلم يقول: أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذي؟ فيريكما عليةً كبيرة مفروشة مُعدة. هناك أعدَّا لنا". فخرج تلميذاه وأتيا إلى المدينة ووجدا كما قال لهما، فأعدا الفصح.

ولقد تنبأ السيد المسيح عن موته وعن قيامته من بين الأموات بعد ذلك، فابتدأ يعلم تلاميذه أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم. وقد تمَّ هذا تماماً.

وتنبأ السيد المسيح عن مجيئه ثانية في مجده، فقال لرئيس الكهنة الذي كان يحاكمه قبل صلبه: "سوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً في سحاب السماء" وهذه هي النبوة التي يتحقق، والتي ننتظرها. إن المسيح النبي أنبأ أنه آتٍ ثانية إلى عالمنا، فهل أنت مستعدٌ لمجيئه؟

هذا هو السيد المسيح، النبيُّ الذي أنبأ بأسرار كثيرة، حاضرة وآتية. تنبأ بصلبه وقيامته، ثم تنبأ بأنه سيجيء مرة ثانية إلى عالمنا. وكانت نبوات السيد المسيح بالتفصيل والتحديد، بلا تعميم، ولا تخمين. وقد صدقت كلها وتحققت، لأن السيد المسيح سيد الصادقين. بقيت نبوة عن مجيئه ثانيةً، لا بد أن تتحقق. نعم، لا بد أن يجيء المسيح مرة ثانية من السماء ليدين العالم الخاطئ. وإننا نرجو أن تكون أنت مستعداً لمجيء المسيح ثانيةً ليدين الأحياء والأموات.

النبي يعلن رسالة الله:

كان بنو إسرائيل تحت حكم الله، وكان الحكم بينهم ثيوقراطياً، بمعنى أن الله حاكمهم في مثل هذا النوع من الحكم يكون رجل الله أهم إنسان، لأنه يعلن كلمات الله، ولذلك جاء موسى منقذاً لبني إسرائيل وحاكماً وقائداً لهم، وهو في نفس الوقت المشرع. وكان صموئيل النبي ينصِّبُ الملك ويعزله. وجاء ناثان النبي ليوبخ داود الملك قائلاً له: "أنت هو الرجل" (2صموئيل 7:12). ووقف النبي إيليا يواجه الملك الشرير أخآب ليقول له إنه مكدر الأمة (1ملوك 18:18) لقد كانت وظيفة النبي عالية ورفيعة، لأنه يعلن رسالة الله للناس ويكشف لهم مشيئته. بهذا المعنى يكون السيد المسيح النبي، الذي أعلن لنا رسالة الله. لكنه يتفرَّد عن غيره من الأنبياء في أن غيره كان يقول: "هكذا قال الله" أما السيد المسيح فكان يقول: "الحق الحق أقول لكم" ذلك أن السيد المسيح هو المتكلم وهو الكلمة، وهو الرسول وفي الوقت نفسه هو الرسالة الذي جاءنا ليعلن لنا المشيئة الإلهية.

ويقدم لنا الإنجيل المقدس تعريفاً عن وظيفة النبي، عندما يقول: "إن من يتنبأ يكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية" (1كورنثوس 3:14). ولقد كلمنا السيد المسيح بهذه الثلاثة. لقد قدم لنا بنياناً فبنى علاقة الإنسان مع الله وعلمنا قائلاً: ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟" (متى 26: 16). كما علمنا أن نبني علاقة طيبة مع نفوسنا، إذ نهتم بخلاصها وراحتها عندما نطيع دعوته التي تقول لنا: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي: إن كان لكم حب يعضكم لبعض" (يوحنا 35:13). وما أعظم التعليم البنَّاء الذي قدمه لنا في معاملاتنا مع الآخرين الذين يسيئون إلينا، فقد قال لنا السيد المسيح: "إن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك. وإن لم يسمع فخُذ معك واحداً أو اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين. وإن لم يسمع

منهم، فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار" (متى 15:18). والمسيح يقصد بأن يكون عندك كالوثني والعشار بمعنى أنك تبدأ معه من جديد، لتربحه إلى جانب المحبة والسلام. لقد كلمنا السيد المسيح النبي بما يبني علاقتنا مع الله ومع النفس ومع الآخرين، أفضل بناء.

وكلمنا السيد المسيح بوعظ ليشجعنا، فقد أكد لنا أن الله يحبنا، وأنه يعتني بنا، وأنه يحصي شعور رؤوسنا كلها، فلا بد أن يهتم بتفاصيل حياتنا بكل احتياجاتها. وقال لنا: "انظروا إلى طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟" (متى 26:6) هل يوجد تشجيع لنا أفضل من هذا؟ ثم تعال نستمع إليه يقدم إلينا تذكيراً دائماً مستمراً بأفضال الله علينا، لكي نذكر فضله، ونتأكد من حبه، ونسير في حياتنا بكل ثقة وأمان، لأننا نعلم أن الله محبة، والمحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج. وهكذا نجد في المسيح النبي من يبنينا ويشجعنا، ومن يملأ قلوبنا بنعمة الرجاء والتأكد.

المسيح نبي.. نعم، ولكنه أعظم من نبي. إنه الذي جاء بكلمة الله لنا، هو نفسه كلمة الله. شخصه هو الإنجيل الذي جاء به – لأنه هو مخلص العالم، ومخلص كل من يضع ثقته فيه.

النبي يدعو الناس للتوبة:

أرسل الله الأنبياء ليدعوا الناس للتوبة، ويقول الله: "أرسلت إليك كل عبيدي الأنبياء مبكراً، ومرسلاً قائلاً: "ارجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة، واصلحوا أعمالكم، ولا تذهبوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها" (إرميا 15:35).

وقد دعا الأنبياء الناس للتوبة بالوعظ، عن طريق الشعر المنظوم في مزامير وتراتيل، أو عن طريق الوعظ العادي.. كما كانوا يعظون الناس بالأمثال والتشبيهات والتمثيل. فقد قال إشعياء إن علاقة الله وشعبه مثل علاقة الكرام بالكرمة (إش 1:5-7). وروى ناثان لداود حكاية الرجل ونعجته (صم 1:12-6) كما أجرى حزقيال الكثير من التمثيل ليعمق فكرته (حزقيال 4 و5).

وقد بدأ المسيح خدمته يدعو الناس للتوبة: "جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله" ويقول: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مرقس 14:1 و15).

احتمل الأنبياء العذاب:

وقد احتمل الأنبياء الكثير من العذاب في سبيل الرسالة التي حملوها للناس. والحقيقة أن الرسالة نور لجماعة من الخطاة الذين يبغضون النور لأنه يوبخ أعمالهم!

ويقول كاتب العبرانيين: "وآخرون تجربوا في هزء وجلد، ثم في قيود أيضاً وحبس. رجموا، نشروا، جربوا، ماتوا قتلا بالسيف. طافوا في جلود غنم و جلود معزى، معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم" (36:11 و37).

وقد احتمل المسيح ألم الصليب لأجل خلاصنا!

يسوع المسيح نبي من الله، مقتدر في القول والفعل.

ولكننا نخطئ إن قلنا إنه نبي.. وكفى!

قد تكون كلمة "نبي" أفضل كلمة تصف عمل المسيح الكرازي، ولكن لا توجد كلمة تكفي لوصف المسيح!

المسيح أعظم من نبي.. هناك أنبياء كثيرون، صادقون وكذبة، لكن هناك مسيح واحد.. قال عنه بطرس: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" وقال هو عن نفسه: "أنا والآب واحد".

14- الكاهن

"لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا" (عبرانيين 26:7)

الكاهن هو باني المِعبر، الذي يوصلنا إلى الله. فكلمة كاهن تعني الذي يبني الجسر – يبني الكوبري – الذي يوصل إلى الله. لقد بنى المسيح طريقاً بيننا وبين الله، وقال لنا: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا 6:14) وعندما مات المسيح على الصليب انشق حجاب الهيكل الذي يفصل قدس الأقداس عن بقية الهيكل، فكان يفصل الكاهن عن الشعب. انشق هذا الحجاب من أعلى إلى أسفل. فمن عند الله تمَّ فتح الطريق الذي يدخلنا إلى قدس الأقداس، إلى محضر الله. فالمسيح هو الطريق والحق والحياة، وليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلا به. وإننا ندعوك أن تضع ثقتك فيه لتجد خلاص نفسك. فالمسيح كاهننا العظيم، بمعنى أنه باني المِعبر الذي يوصلنا نحن الخطاة إلى الله الحي.

الكاهن يوصلنا بالله:

وتقول رسالة العبرانيين إن هدف الدين هو أن نقدر أن نتقدم بثقة إلى عرش النعمة. كان بنو إسرائيل يتقدمون إلى الله في العهد القديم، لكنهم كانوا يتقدمون بخوف ورعب. عندما طلب كليم الله موسى أن يرى مجد الله قال الله له: "لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (خروج 20:33). وفي سفر التثنية والأصحاح الخامس نرى أن بني إسرائيل ذهلوا من أن موسى رأى الله وعاش. وعندما رأى القاضي جدعون ملاك الرب خاف وظن أنه مائتٌ لا محالة، إلا أن الملاك طمأن جدعون. وظنَّ منوح، والد شمشون، أنه سيموت بعد أن رأى هو وزوجته ملاك الرب، ولكن زوجته طمأنته وقالت له: "لو أراد الرب أن يُميتنا لما قبل من يدنا محرقةً وتقدمة، ولما أرانا كل هذه، ولما كان في مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه". وعندما اطمأن الرجل وزوجته، منحهما الله ابنهما شمشون، الذي صار قاضياً ومنقذاً لبني إسرائيل. نعم، كان التقدم إلى الله في العهد القديم مخيفاً، حتى أن رئيس الكهنة كان يتقدم لدخول الأقداس مرة واحدة في السنة، بخوف.

أما السيد المسيح فهو رئيس الكهنة الرقيق، الذي جاءنا بنظام يختلف عن نظام العهد القديم في التوراة، يحدثنا عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقول: "إنكم لم تقتربوا إلى جبلٍ ملموسٍ مشتعل بالنار، ولا إلى غموض وظلام وريح عاصفة، حيث انطلق صوت بوقٍ، هاتفاً بكلمات واضحة، وقد كان مرعباً لدرجة جعلت موسى يقول: "أنا خائفٌ جداً بل مرتجفٌ خوفاً". ويمضي كاتب الرسالة إلى العبرانيين ليقدم الفرق بين إعطاء الشريعة في العهد القديم على يدي موسى، وإعطاء نعمة العهد الجديد على يدي المسيح فيقول: "ولكنكم قد اقتربتُم إلى مدينة الله الحي، بل تقدمتُم إلى يسوع وسيط العهد الجديد، وإلى دمه المرشوش الذي يتكلم طالباً بأفضل مما طالب به دم هابيل" (عبرانيين 18:12-24) (ترجمة كتاب الحياة). ويقول لنا الإنجيل: "الناموس بموسى أُعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر" (يوحنا 18:1).

دخل بذبيحة نفسه:

المسيح كاهننا الأعظم دخل محضر الله نائباً عنا، ليقوم بما لا نقدر نحن أن نقوم به، ولقد عالج كاتب الرسالة إلى العبرانيين عمل السيد المسيح رئيس كهنتنا عندما قال: "المسيح لم يرفع نفسه حتى يصير كاهناً أعلى، بل إن الله هو الذي منحه ذلك الشرف. فالذي قال له: أنت ابني. أنا اليوم ولدتُك، خاطبه في موضع آخر بقول: قد اخترتك كاهناً إلى الأبد. إن شريعة موسى كلها كانت تدور حول نظلم الكهنوت، الذي قام بنو لاوي بتأدية واجباته، إلا أن ذلك النظام لم يوصل إلى الكمال أولئك الذين كانوا يعبدون الله على أساسه، وإلا لما دعت الحاجة إلى تعيين كاهن آخر. فالكهنة العاديون كانوا يتغيرون دائماً، لأن الموت كان يمنع أي واحد منهم من

البقاء. أما المسيح، لأنه حي إلى الأبد، فهو يبقى صاحب كهنوت لا يزول، ولذلك فهو قادر دائماً أن يحقق الخلاص الكامل للذين يتقربون بواسطته إلى الله، فهو في محضر الله، حيٌ على الدوام ليتضرع من أجلهم ويحامي عنهم. نعم. هذا هو الكاهن الأعلى الذي كنا محتاجين غليه . إنه قدوسٌ لا عيبة فيه ولا نجاسة، قد انفصل عن الخاطئين حتى صار أسمى من السموات. وهو لا يحتاج إلى ما كان يحتاج إليه قديماً كل كاهن أعلى: أن يقدم الذبائح يومياً للتكفير عن خطاياه الخاصة أولاً، ثم عن خطايا الشعب. وذلك لأن المسيح كفَّر عن خطاياهم مرة واحدة، حين قدم نفسه عنهم. المسيح هو كاهننا الأعلى. إنه الآن جالسٌ في السماء عن يمين عرش الله العظيم، وهو يقوم بمهمته هناك في أقدس مكان، في خيمة العبادة الحقيقية التي نصبها الرب لا إنسان" (عبرانيين 7) (ترجمة كتاب الحياة).

شرطان في الكاهن العظيم:

كان هناك شرطان لازمان أن يكونا في رئيس الكهنة. المطلب الأول: يجب أن يؤخذ رئيس الكهنة من بين الناس ليكون ممثلاً للبشر. فيقول لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "كان الكاهن الأعلى يؤخذ من بين الناس، ويعيَّن للقيام بمهمته نيابة عنهم، فيما يخص علاقتهم بالله، وذلك لكي يرفع إلى الله التقدمات والذبائح تكفيراً عن الخطايا. ولكونه هو أيضاً معرضاً للضعف البشري دائماً، كان يمكنه أن يعطف على الجهال والضالين، وبسبب ضعفه كان من واجبه أيضاً أن يكفر عن خطاياه الخاصة، كما يكفر عن خطايا الآخرين" (عبرانيين 1:5-3) (ترجمة كتاب الحياة).

أما المطلب الثاني الذي كان التوراة تطلب في رئيس الكهنة، فأن يكون مدعواً من الله، ويقول عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "لم يكن أحد يتخذ لنفسه هذه الوظيفة الشريفة متى أراد، بل كان يتخذها من دعاه الله إليها، كما دعا هارون" (عبرانيين 4:5). والمقصود بذلك أن رئيس الكهنة يكون واحداً من الناس ليمثل الناس، ثم أن يكون مدعواً للمهمة التي دعاه الله إليها. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن هذين الشرطين موجودان في شخص المسيح. أما أنه مدعوٌ من الله فيقول عنه: "كذلك المسيح لم يرفع نفسه حتى يصير كاهناً أعلى، بل إن الله هو الذي منحه ذلك الشرف، فالذي قال له: أنت ابني. أنا اليوم ولدتُك، خاطبه في موضع آخر بقوله: قد اخترتك كاهناً إلى الأبد" (عبرانيين 5:5 و6).

وفي المطلب الثاني أيضاً أن يؤخذ المسيح من بين الناس ليكون نائباً عن البشر. ويحدثنا الإنجيل المقدس أن الله جاءنا إنساناً في شخص المسيح، وأطلق عليه لقب عمانوئيل بمعنى أن الله معنا. ويقول لنا الإنجيل المقدس: "عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد" (1تيموثاوس 16:3). المسيح إذاً واحد منا، أخذ طبيعتنا، وصار إنساناً مثلنا، وتجرَّب في كل شيء مثلنا، ما عدا الخطية. إنه النائب عن البشر. إنه ابن الإنسان. ولقد أيد الله السيد المسيح فأعلنه كاهناً يقرب الناس إلي الله ، ثم إنه جاءنا في جسد إنسان مقرباً الله إلينا. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين، إن الله في الأزمنة الماضية كلَّم آباءنا بواسطة الأنبياء، الذين نقلوا إعلانات جزئية، بطرق عديدة ومتنوعة. أما الآن، في هذا الزمن الأخير، فقد كلَّمنا بالابن، الذي جعله وارثاً لكل شيء، وبه قد خلق الكون كله. إنه ضياء مجد الله، وصورة جوهره. بكلمة قدرته يحفظ كلَّ ما في الكون، وهو الذي بعد مما طهرنا بنفسه من خطايانا، جلس في الأعالي عن يمين الله" (عبرانيين 1). "هذا هو المسيح الذي جاء إلينا، وصار اسمه عمانوئيل بمعنى الله معنا. ذلك لأن هذا الكاهن الأعلى الذي لنا. ليس عاجزاً عن تفهُّم ضعفاتنا، بل إنه قد تعرَّض للتجارب التي نتعرض نحن لها. إلا أنه لم يخطئ قط. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لننال الرحمة، ولنجد نعمة تعيننا عند الحاجة، لأن كاهننا العظيم، السيد المسيح، يفتح لنا الباب لنتقرب إلى الله" (عبرانيين 14:4-16) (ترجمة كتاب الحياة).

امتياز ثلاثي لكهنوت المسيح:

هناك كهنوت في شريعة موسى أمر الرب به، وكان هناك كهنة اختارهم الله، وأمرهم أن يدخلوا إلى قدس الأقداس أولاً، بدم عن أنفسهم، ليكفر كل منهم عن خطية نفسه، ثم يدخل أيضاً بدم ليكفّر عن الشعب. على أن كهنوت السيد المسيح يمتاز عن كهنوت لاوي في ثلاثة أمور على الأقل:

1- أول هذه الامتيازات أن المسيح حي. كان الكهنة العاديون يتغيرون دائماً، لأن الموت كان يمنع أي واحد منهم من البقاء. وأما المسيح فلأنه حي إلى الأبد فهو يبقى صاحب كهنوت لا يزول. وهو لذلك قادر دائماً أن يحقق الخلاص الكامل للذين يتقربون بواسطته إلى الله. فهو في حضرة الله، حي على الدوام ليتضرَّع من أجلهم ويحامي عنهم.

2- ثم أن هناك امتيازاً ثانياً للسيد المسيح على كهنوت العهد القديم، وهو أنه الكامل الذي لم يكن محتاجاً إلى كفارة عن نفسه قبل أن يكفر عن خطايا الشعب. إن المسيح هو الذي لم يخطئ أبداً، وهو الذي واجه أعداءه قائلاً: "من منكم يبكتني على خطية؟" (يوحنا 46:8)، فلم يجسر أحد منهم أن يرد عليه، لأن الذي لم يخطئ قط، ولم يستغفر الله قط. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "هذا هو الكاهن الأعلى الذي كنا محتاجين إليه. إنه قدوس لا عيبة فيه ولا نجاسة، قد انفصل عن الخاطئين، وارتفع حتى صار أسمى من السماوات" (عبرانيين 26:7).

3- وهناك امتياز ثالث لكهنوت السيد المسيح على كهنوت التوراة، هو أن ذبيحة السيد المسيح لا تتكرر. لقد كان الكاهن الأعلى، حسب شريعة موسى يدخل كل سنة بدم عن خطية نفسه، ثم بدم عن خطايا الشعب ويكرر هذا سنوياً. أما السيد المسيح فقد قدم نفسه ذبيحة كفارية مرة واحدة. لم يكن محتاجاً أن يكفر عن خطية نفسه، لكنه كفر عن خطايا كل البشر، عندما قدم نفسه من أجلنا على الصليب مرة واحدة – البار عن الأثمة فوجد فداءً أبدياً" (عبرانيين 12:9).

يجعلنا كلنا كهنة:

في زمن التوراة دخل الله في عهد مع شعبه، كان عهد محبة ونعمة، مع أنه لم يكن في الشعب خير، وبدون سبب صالح فيهم يستحقون لأجله أن يحبهم. لكن الله أحبهم فضلاً. وكان الشرط الوحيد للعهد أن يحفظوا وصايا الله. وعندما قرأ موسى لبني إسرائيل كتاب العهد، قالوا: "كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له" فأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: "هذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال" (خروج 1:24-8). ولكن بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يحفظوا العهد، وسقطوا، فجاء السيد المسيح رئيس كهنتنا الأعلى، ودخل في عهد جديد مع شعبه، وقال لنا: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي" (1كورنثوس 25:11) وتمت النبوة التي ذكرها كاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما قال: "والروح القدس نفسه يشهد لنا بهذه الحقيقة، إذ قال أولاً: هذا هو العهد الذي أبرمه معهم بعد تلك الأيام. يقول الرب: "أضع شرائعي في داخل قلوبهم، وأكتبها في ضمائرهم" ثم أضاف: "ولا أعود أبداً إلى تذكُّر خطاياهم ومخالفتهم" (عبرانيين 15:10-17) (كتاب الحياة).

لم ينفع العهد الأول، عهد شريعة موسى بسبب خطايا الشعب، فجاءنا العهد الثاني، العهد الجديد – عهد الكاهن الأعلى الرب يسوع المسيح – وصار لنا عهد جديد مع الله، هو عهد كفارة. واسمح لي أن أوجه لك هذا السؤال: "هل دخلت في هذا العهد مع الله من خلال السيد المسيح؟ السيد المسيح هو كاهننا الأعلى الذي يقربنا إلى الله، هو الذي يستر خطايانا.. فهل وجدت فيه الستر؟

على أن هناك حقيقة رائعة أخرى، وهي ان السيد المسيح الكاهن الأعلى يجعل كل واحد من أتباعه كاهننا يبني المعبر، ليصل الناس من خلاله إلى الله. في العهد الجديد، عهد الإنجيل، نتمتع ببركة عظيمة، هي أن الله جعل

كل المؤمنين بالمسيح كهنة لله. يقول رسول المسيحية يوحنا عن عمل السيد المسيح: "الذي أحبنا، وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه" (رؤيا 5:1 و6 و10:5). إننا نعمل على أن يتصالح الناس مع الله. هل ستر الله خطاياك بفضل ذبيحة المسيح الكاهن الأعظم؟ إذاً أنت كاهن للرب، تعمل تحت رياسته، لتصالح الناس مع الله، ولتدعو البشر جميعاً ليتعرفوا عليه فادياً ومخلصاً.

15- ملك

"ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا 33:1)

قال الملاك جبرائيل للعذراء القديسة مريم عندما ظهر لها، ولاحظ اضطرابها من كلامه: "لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله. ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ولا يكون لملكه نهاية". هذا هو المسيح الملك. ولقد جاءت نبوة في المزامير على فم النبي داود عن المسيح الملك الآتي تقول: "ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. من و هذا ملك المجد. الرب القدير الجبار في القتال. ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارفعها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد. رب الجنود هو ملك المجد" (مز 24:7-10).

ولقد حقق الله نبوة نبيه داود عندما جاء السيد المسيح إلى الأرض ملكاً، بالرغم من أنه مولود في مزود. فقد جاء رجال حكماء من المشرق إلى أورشليم، يتساءلون: "أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له". فلما سمع الملك هيرودس اضطرب وجميع أورشليم معه، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم: "أين يولد المسيح؟" فأجابوه: "في بيت لحم اليهودية، لأن نبي التوراة ميخا يقول: "وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي" (متى 2) هذا هو المولود الملك الذي يدبر ويرعى شعبه، ويرعى كل من ينتمي إليه. وعندما دخل المسيح إلى مدينة أورشليم في الدخول الانتصاري ، في بداية أسبوع آلامه، أخذت الجماهير تهتف له: "أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنا في الأعالي" (مرقس 11). ولقد كان هذا تحقيقاً لنبوة نبي التوراة زكريا، والتي تقول: "قولوا لابنة صهيون: هوذا ملكك يأتيك وديعاً، راكباً على أتان وجحش ابن أتان" (زكريا 9:9). وعلى الصليب كتب بيلاطس عنوان السيد المسيح "يسوع الناصريُّ ملك اليهود" (متى 37:27). وكانت الكتابة باللغة العبرانية واليونانية واللاتينية، فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: "لا تكتب ملك اليهود، بل إن ذاك قال: "أنا ملك اليهود". فقال لهم بيلاطس: "ما كتبت قد كتبت" (يوحنا 21:19 و22).

منذ قرنين كتب الموسيقار فردريك هاندل تراتيل "المسيح" وهي القصة الغنائية التي كتبت كلماتها الروح القدس، فقد أخذ فردريك هاندل كلماتها من الكتاب المقدس ولحَّنها. وعندما سمعها ملك بريطانيا لأول مرة وقف وهو يستمع إلى جوقة الترنيم ترتل عن السيد المسيح: "وهو سيملك إلى الدهر والأبد". وخلع الملك تاجه، لأنه كان يقف في حضرة ملك الملوك يقدم له السجود والعبادة. نعم إن السيد المسيح سيملك إلى الدهر والأبد. ولا يكون لملكه نهاية، كما قال الملاك جبرائيل لأمه العذراء القديسة مريم. لذلك يحقٌّ لنا أن نرنم له: "هاتوا له التاج الذي جلَّ عن المثل، وتوجوه وحده رباً على الكل".

مملكته ليست أرضية:

كان اليهود ينتظرون أن مسيحهم الآتي يكون ملكاً أرضياً، يحكم بلادهم ويحررهم من نير الرومان، ثم يملك على مملكة أرضية، ويجعل شعبهم أعظم شعوب الأرض. وكان هذا الاعتقاد سبب خوف الملك هيرودس من مولد المسيح، لأنه خاف لئلا يأخذ المسيح العرش منه، لذلك قتل كل الأولاد الذين وُلدوا في بيت لحم من عمر سنتين فما دون، ليقتل بينهم الطفل الوليد الذي جاء المجوس ليقدموا له السجود.

وفي مرتين ذكرهما الإنجيل المقدس، نرى احتفال الناس بالمسيح باعتبار أنه الملك الآتي. في المرة الأولى عندما أشبعهم بالخبز، لما أطعم خمسة آلاف نفس، وملأوا اثنتي عشرة قفة من خمسة أرغفة شعير وسمكتين. ويقول لنا الإنجيل: "فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبيُّ الآتي إلى العالم". وأما

يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف إلى الجبل وحده ليصلي (يوحنا 14:6 و15).

وفي المرة الثانية عندما دخل السيد المسيح إلى أورشليم دخوله الانتصاري، وفرش الناس ثيابهم في الطريق، وهم يهتفون من حوله: "مبارك الآتي باسم الرب. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (مرقس 10:11). ظانين أن المسيح جاء ملكاً أرضياً، وسيدخل أورشليم عاصمة مملكته الأرضية – ولكن المسيح بكى على الشعب الذي كان يهتف له، لأنهم مساكين لا يفهمون معنى مُلك المسيح. لا شك أن الشيطان كان يريد أن تكون مملكة المسيح من هذا العالم، لذلك عرض عليه أن يعطيه كل ممالك العالم ومجدها، إن كان يسجد له، ولكن المسيح رفض فكر الشيطان وانتصر عليه. وعندما رفض المسيح مملكة العالم، ولم يتحقق انتصار اليهود فيه، صرخوا لبيلاطس: "ليس لنا ملك إلا قيصر" (يوحنا 15:19). وهزأوا بالمسيح وألبسوه رداء الأرجوان، ووضعوا قصبة في يده كأنها صولجان ملك، ثم وضعوا إكليل شوك على رأسه!

المسيح ملك روحي يملك على قلوب الناس، وإنني أدعوك أن تقبل المسيح المخلص ملكاً لحياتك، ليسيطر على فكرك وتصرفاتك، وليجعل منك إنساناً حسب قلب الله، لتكشف لنفسك المعنى الحقيقي للحياة، لأن مملكته مملكة روحية، يسود فيها على قلوب الناس بالحق والمحبة، ليغير قلوبهم، وليجعل منهم خليقة جديدة. ولا زال الناس حتى اليوم ينتظرون خير الجسد وبركة الجسد، ويظنون أن مملكة المسيح من هذا العالم، مع أنه قال صراحة إن مملكته ليست من هذا العالم.

بركاتنا روحية من الله، وليست جسدية من الأرض. ولا زال كثيرون يحاربون ويريدون أن تنتصر الكنيسة بالعراك والمشاجرة، مع أن المسيح يقول لبيلاطس وهو يحكم بصلبه: "لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خُدَّامي يجاهدون لكي لا أُسلَّم إلى اليهود، لكن الآن مملكتي ليست من هنا" (يوحنا 36:18).

ملكوت الله:

جاء السيد المسيح ليؤسس مملكة على الأرض، سماها ملكوت الله أو ملكوت السموات، وهو الملك فيها. وحين سأل بيلاطس السيد المسيح: "أفأنت إذاً ملك اليهود؟" أجابه المسيح: "أنت تقول إني ملك. لهذا قد وُلدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق" (يوحنا 37:18) مملكة المسيح إذاً مملكة الحق والقلب، فقد جاء ليملك على قلوب الناس. المسيح ملك يملك بالمحبة والتضحية وليس بالسيف والحرب. كان السيد المسيح ملكاً بغير سيف إلا سيف الحق، وكان ملكاً بغير سلاح إلا سلاح المحبة. ولقد قال الجنرال بوث مؤسس جيش الخلاص: "صرخ اليهود قائلين: إن كان المسيح ملك اليهود فلينزل الآن من على الصليب، فنؤمن به. إلا أننا نحن نقول إننا نؤمن به ونسجد له، لأنه رفض أن ينزل عن الصليب حباً لنا ومن أجل فدائنا". واليوم يؤمن الملايين بالسيد المسيح، لأنه ملك روحي، ربح العالم بالمحبة والتضحية والخدمة، ولم يحاول أن ينشر تعليمه بالتهديد. ولقد قال المسيح: "وأنا ان ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع". قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت، وقال: "الحق الحق أقول لكم: "ن لم تقع حبة الحنطة وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية" (يوحنا 24:12 و25). ولقد جذب المسيح البشر إليه بحبه، وهو يحبك ويدعوك لأن تختبر هذا الحب الإلهي وأن تعيش فيه. وعندما تدرك أنه أحبك حتى أنه أسلم نفسه لأجلك، فإنك بكل قوتك تقول له: "اجذبني وراءك فنجري". لقد ارتفع المسيح ملكاً على قلوبنا بموته لأجلنا، فتمجدَّ في حبه غير المشروط لنا. فلنركز النظر عليه. وما أجمل أن نستمع إلى كلمات رسول المسيحية بطرس، والتي تحثنا على أن نملك المسيح على قلوبنا عندما قال: "المسيح الذي تألم لأجلكم، هو القدوة التي تقتدون بها، فسيروا على آثار خطواته. إنه لم يفعل خطية واحدة، ولا كان في فمه مكر. ومع أنه أُهين فلم

يكن يردُّ الإهانة، وإذ تحمل الآلام لم يكن يهدد بالانتقام، بل أسلم أمره لله الذي يحكم بالعدل. وهو نفسه حمل خطايانا بجسده عندما مات مصلوباً على الخشبة، لكي نموت بالنسبة لخطايانا فنحيا حياة البر، وبجراحه هو تمَّ لكم الشفاء. فقد كنتم ضالين كخراف ضائعة، ورجعتم الآن إلى راعي نفوسكم" (1بطرس 2:21-25) (ترجمة كتاب الحياة).

ملك المحبة والدينونة:

المسيح ملك المحبة. في مجيئه الأول جاء أرضنا وديعاً مولوداً في مزود، ولكنه سيجيء مرة ثانية ليحكم المسكونة بالعدل. سيأتي قاضياً دياناً. سيجيء ملك العقاب للذين رفضوا مُلكه عليهم وعلى قلوبهم. إنه اليوم يقدم لك رسالة المحبة. لكنه عندما يجيئك ثانية سيعلن أحكام الدينونة على كل من رفضوه، وسيقدم رسالة المجد لكل من قبلوه. ولقد قال السيد المسيح: "أما أعدائي، أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي" (لوقا 27:19). هذا هو الموت الأبدي، الذي يصيب كل من يرفض خلاص المسيح. عندما كان المسيح معلقاً على الصليب، قال واحد من اللصين المصلوبين إلى جواره: "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك". فكانت إجابة السيد المسيح عليه: "اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا 42:23 و43).

أدعوك أن تضع ثقتك في المسيح الملك، وعندما تقول له: "اذكرني يا رب في ملكوتك". ستستمع إلى إجابته: "ستكون معي في الفردوس" فافتح قلبك لهذا الملك، الذي ارتفع عنك على الصليب، ليجتذبك إليه بدافع الحب. أما إن كنت ترفض مُلك المسيح على حياتك، فإنني أحذرك لأنك تسبب لنفسك الهلاك والموت في يوم الدينونة.

على ان المسيح الملك لم يأت ليدين العالم. بل ليخلُص به العالم. رسالته رسالة خلاص لك، وهو يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. إنه لا يشاء أن يهلك أحد. كُن أنت واحداً من الذين يقبلون خلاصه، فهو يدعوك الآن للنجاة من الدينونة القادمة.

الملك الذي يدبر ويرعى:

لما سأل المجوس عن مكان ولادة المسيح ملك اليهود، استشار الملك هيرودس الذي كان يملك وقتها رؤساء الكهنة، فقالوا له: "سيولد المسيح في بيت لحم اليهودية، لأن نبوة قالها نبي الله ميخا كانت تقول: "وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي" (ميخا 2:5). من هذا نرى أن السيد المسيح هو الملك الذي يدبر. لقد دبَّر خلاصنا عندما رآنا ساقطين في خطايانا، فخلصنا بان مات عنا على الصليب، ودفع أجرة خطيتنا، تحمَّل عقابنا وأطلقنا أحراراً. ولقد قال النبي إشعياء عنه قبل ميلاده بسبعمئة سنة: "كلُّنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا" (إشعياء 6:53). نعم دبر السيد المسيح خلاصنا عندما مات عنا على الصليب، وهو يدبر كل ما نحتاج إليه. وعلمنا أنه إن اتفق اثنان منا على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل الآب السماوي (متى 19:18). ودعانا في حب قائلاً: "اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. ارعوا يفتح لكم، لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له". ثم سألنا: "أيُّ إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً، وإن سأله سمكة يعطيه حية؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه" (متى 7:7-11).

السيد المسيح هو الملك الذي يدبر احتياجاتنا، دبَّر خلاصنا، ويدبر كل ما نحتاج إليه من خيرات أرضية. ولقد قال لنا في الموعظة على الجبل: "لا تهتموا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون، ولا لأجسادكم بشأن ما تكتسون. أليست الحياة أكثر من مجرد طعام والجسد من مجرد كساء؟ تأملوا طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يعولها. أفلستم أنتم أفضل منها كثيراً؟ فمن منكم إذا حمل الهموم يقدر أن

يطيل قامته ولو مقدار ذراع واحدة؟ ولماذا تحملون همَّ الكساء؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. إنها لا تتعب ولا تغزل، ولكني أقول لكم: حتى سليمان في قمة مجده لم يكتس ما يعادل واحدة منها بهاء. فإن كان الله هكذا يكسو الأعشاب البرية، مع أنها توجد اليوم وتطرح غداً في التنور، أفلستم أنتم يا قليلي الإيمان أحرى جداً بأن يكسوكم؟ فلا تحملوا الهمَّ قائلين: ما عسانا نأكل، أو ما عسانا نشرب، أو ما عسانا نكتسي؟ فهذه الحاجات كلها تسعى إليها الأمم، فإن أبوكم السماوي يعلم حاجتكم إلى هذه كلها. فهذه الحاجات كلها تسعى إليها الأمم، فإن أباكم السماوي يعلم حاجتكم إلى هذه كلها. أما أنتم فاسعوا أولاً إلى ملكوت الله وبره – فتزداد لكم هذه كلها. لا تهتموا بأمر الغد، فإن الغد يهتم بأمر نفسه. يكفي ك يوم ما فيه من سوء" (متى 6:25-34) (ترجمة كتاب الحياة).

الملك الذي يحكم:

ونقول أيضاً إن السيد المسيح هو الملك الذي يحكم. نصلي في الصلاة الربانية التي علَمها لنا قائلين: "ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك .كما في السماء كذلك على الأرض" (متى 6:10). وفي ختام الصلاة الربانية نقول: "ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد" (متى 6:13). بهذه الصلاة نقول للسيد المسيح: أنت الملك الذي تملك على قلوبنا. أنت صاحب الأمر فينا. ساعدنا لنعمل إرادتك ومشيئتك في الأرض كما يفعلها الملائكة في السماء.

عندما تخضع للسيد المسيح وتدعوه لأن يملك على عرض قلبك، يملك الله على حياتك، ويأتي ملكوته على الأرض كما في السماء. إنه الملك الذي يجب أن يملك على قلبك. إنه صاحب السلطان الذي يجب أن يسود على حياتك. افهم فكره واعرف إرادته. لا تتحارب ولا تتشاجر ولا تنتقم، بل اترك الأمر كله لله، وهو الذي يدبر كل صلاح، ويخرج كالنور برّك وحقّك مثل الظهيرة. اخضع له في ثقة، عالماً أنه يحبك، متأكداً أنه يعمل الصالح كله لك.

المسيح هو الملك. اطلب منه أن يملك على حياتك لأن في هذا خيرك الأسمى. لن تستقيم حياتك وأنت تدبر أمور نفسك. اطلب منه هو أن يتولى قيادة حياتك، فتصل سفينة حياتك إلى شاطئ الأمان.

16- حمل الله

"هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا 29:1 و36)

قال يوحنا المعمدان عن السيد المسيح مرتين: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم". فما رأى يوحنا المعمدان السيد المسيح آتياً حتى هتف قائلاً: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم". ثم قال: "هذا هو الذي قلت عنه إن الرجل الآتي بعدي متقدم عليّ، لأنه كان قبل أن أوجد. وأنا لم أكن أعرفه، ولكني جئت أعمد بالماء لكي يُعلَن لبني إسرائيل" ثم شهد يوحنا المعمدان قائلاً: "رأيت الروح ينزل من السماء بهيئة حمامة ويستقرُّ عليه، هو الذي سيعمد بالروح القدس. فإذ شاهدت هذا أشهد أنه هو ابن الله".

وفي اليوم التالي كان يوحنا واقفاً ومعه اثنان من تلاميذه، فنظر السيد المسيح وهو سائر فقال: "هذا هو حمل الله". وسمع المعمدان اثنان من تلاميذه وهو يقول هذا، فتبعا السيد المسيح. لقد أعلن يوحنا المعمدان أن السيد المسيح هو حمل الله، وكانت شهادته هذه سبب قيادة اثنين من تلاميذه لإتباع السيد المسيح. والتلميذان كانا أندراوس ويوحنا. قاد أندراوس بعد ذلك أخاه بطرس ليتعرف على السيد المسيح، وقاد يوحنا أخاه يعقوب.

السيد المسيح هو الشخص المركزيُّ في الكتاب المقدس كله، بعهديه القديم والجديد - التوراة والإنجيل. ونحن نرى العهد القديم يشير إليه كالمسيح المخلص الآتي. والعهد الجديد يشير إليه باعتبار أنه المخلص الذي جاء. ولقد رسم السيد المسيح لأتباعه فريضة العشاء الرباني، وكلما جلسوا معاً حولها يتذكرون لقب المسيح العزيز عليهم "حمل الله" وأثناء تناول عشاء الرب يرنم المؤمنون: "فكيف أنسى حملاً قد مات عن ذنبي.. واحتمل التعيير والآلام بالصلب؟" هذا هو حمل الله، الذي عرفه الرسول بطرس كتب عنه يقول: "عالمين بأنكم افتديتم بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم" (1بطرس 19:1 و20).

حمل الفداء المُنتظر:

كان اليهود في العهد القديم يقدمون ذبائح للتكفير ع خطاياهم. وكانت هذه الذبائح كله تشير إلى حمل الله، السيد المسيح، الذي سيجيء إلى عالمنا ليوجد فداءً لخطايانا. ولذلك قال السيد المسيح لسامعيه من اليهود: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح" (يوحنا 58:8) فقالوا له: "ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟". فأجابهم: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" اسم الجلالة. ولكن قول المسيح كان صادقاً تماماً، فهو فعلاً الكائن من قبل إبراهيم، بل إن إبراهيم كان ينتظر مجيئه إلى عالمنا مخلصاً. ويحدثنا الإنجيل المقدس عن رجل تقي اسمه سمعان الشيخ المسيح الطفل يحمله يوسف ومريم حتى أخذه على ذراعيه، وبارك الله وقال: "أطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك، الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب" (لوقا 29:2).

هذا هو المسيح حمل الله الذي تحدثت عنه نبوات العهد القديم قائلة: "مجروح لأجل معاصينا. مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا" (إشعياء 5:53) وهو الذي انتظره قديسي العهد القديم جميعاً، إبراهيم وسمعان الشيخ – وأنت أيها القارئ الكريم، لا تستطيع أن تتفاداه أو أن تهرب منه. عندما تستمع إلى قول يوحنا المعمدان عن السيد المسيح: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم، فإننا نشير لك إلى هذا الحمل الذي يجب أن تأخذ موقفاً منه. إنه المخلص الذي رفع ذنوب العالم في جسده على الصليب. هل تذكر كيف طلب الله من خليله إبراهيم أن يقدم ابنه ذبيحةً، ولكنه افتدى ابن إبراهيم بذبح عظيم؟ فقد رأى إبراهيم كبشاً ممسكاً في الغابة بقرنيه، فأخذه وقدمه محرقة بدلاً من ابنه. هذا هو الفداء الذي رمز إلى مجيء السيد المسيح إلى أرضنا، فادياً ومخلصاً.

قال الله إن أجرة الخطية هي موت، وإن النفس التي تخطئ هي تموت. هذا معناه أن كل إنسان خطاء هو مائت لا محالة. وهذا عدل. لكن أين رحمة الله؟ إن كان الله عادلاً فأين رحمته؟ وإن كان رحيماً فأين عدله؟ إن التوراة

تقدم لنا شريعة موسى التي قضت بتقديم ذبيحة للتكفير عن خطية الخاطئ، فتموت الذبيحة ليحيا الخاطئ. وهذه كلها رموز للسيد المسيح، الذبح العظيم، الذي مات بدلاً عنا. وفي صليب المسيح تلتقي عدالة الله ورحمته. ويتحقق ما قاله صاحب المزمور الخامس والثمانين: "الرحمة والحق التقيا البرُّ والسلام تلاثما" (آية 10).

حمل الفصح:

عندما كان بنو إسرائيل في مصر، كانوا يسامون سوء العذاب، وأراد الله أن ينقذهم، فأوقع بفرعون ضربات كبيرة. وفي الضربة الأخيرة مات الأبكار – ولكن البكر في بيوت بني إسرائيل لم يمت، لأنهم وضعوا دماً على العتبة العليا لكل باب وعلى القائمتين، في كل بيت كانوا يسكنونه. وقال الله لهم: "فأرى الدم وأعبر عنكم" ولذلك سُميَّت تلك الفريضة فريضة الفصح، بمعنى العبور – أرى الدم وأعبر عنكم (خروج 13:12).

ويقول لنا الإنجيل المقدس إن المسيح هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا (1كورنثوس 7:5). ولقد مات السيد المسيح عن خطايانا ليقدم نفسه ذبيحة كفارية. والدم يستر عيوبنا، لان الدم هو الحياة، فقد سفكت دماء الخاطئ، وكل خاطئ يضع ثقته في السيد المسيح ينال مغفرة خطيته. عندما رأى تلاميذ المسيح سيدهم يعلق على الصليب ربما قالوا: آه لو لم يَثُر غضب الهيكل على السيد المسيح، إذاً لماذا صُلب! لو أن الرعاع طالبوا بإطلاق يسوع، ولم يطلبوا إطلاق اللص القاتل باراباس، لنجا السيد المسيح من الصليب! ربما قال التلاميذ: لو أن يوسف الرامي ونيقوديموس كانا أكثر شجاعة، إذاً لوقفا في مجلس اليهود الأعلى يدافعان عن السيد المسيح، ولأنقذاه من الصليب! وربما قال تلاميذ المسيح: لو أن شيوخ اليهود درسوا نبوات التوراة، إذاً لأدركوا أن السيد المسيح هو المخلص الآتي إليهم، كما سبق أن أدركه المعمدان، فقبلوه مخلصاً لهم، وما أسلموه إلى الرومان ليصلبوه! وربما قال التلاميذ: لو كان بيلاطس أكثر شجاعة، لأنقذ المسيح من موت الصليب! غير أن هذه الكلمات كلها، لو أنها قيلت، ليست صحيحة أيها القارئ الكريم، لأن المسيح جاء إلى عالمنا ليقدم نفسه فدية عن خطايانا، وليدفع أجرة الخطية. لقد دفع هو ثمن إصلاح الخطأ الذي ارتكبناه نحن. فالكتاب المقدس يقول: "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين 22:9).

هناك مغنية إنجليزية اسمها "كلارا بت Butt " ذهبت للهند لتفتش عن سلام النفس في معتزل ديني هندي، إسمه أشرم، كان يقيمه الشاعر "رابندرانات طاغور" الذي مات عام 1941 فرحب الشاعر بها. ولما عزمت على السفر شكرته، ثم سألته ما يجب أن تغنيه له، واندهشت عندما قال لها طاغور: رنمي لي: "حين أرى صليب من قضى فحاز الانتصار، ربحي أرى خسارة وكل مجد الكون عار. يا رب لا تسمح بأن أفخر إلا بالصليب، مكرساً نفسي وما أملك للفادي الحبيب".

الحمل الطاهر:

عندما نفكر في السيد المسيح، حمل الله، نستطيع أن نرى أولاً طهارة المسيح. الحمل طاهر،فإذا سقط حمل في الوحل، قام منه ونفض نفسه، لأنه لا يستطيع أن يتحمل الوحل. والمسيح هو حمل الله الطاهر البريء، الذي لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش. والحمل في براءته لا يؤذي ولا يضر، لكنه لطيف وديع. يقول السيد المسيح: "احملوا نيري عليكم وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم" (متى 29:11). ويكتب لنا الرسول بولس: "أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه" (2كو 1:10). فالمسيح هو الحمل الطاهر الوديع، لا يؤذي أحداً، بل كله محبة وكمال. هو الذي قال لأعدائه: "من منكم يبكتني على خطية؟" (يوحنا 46:8) فلم يستطع أحد أن يجاوبه. وهذا يعني أن المسيح لم يكن لديه أدنى إحساس بالخطأ، فهو الكامل في أعماقه وفي مظهره. تقدم لنا التوراة قصص الأنبياء، فتبين لنا أن الأنبياء سقطوا في نواحي قوتهم. لقد سقط موسى في قوته عندما ضرب الصخرة بدل أن يكلمها، وسقط داود في طهارته، وسقط إيليا في شجاعته عندما طلب الموت لنفسه، وسقط أيوب

في صبره عندما تذمر على الآلام التي اجتاز فيها. وسقط المعمدان في إيمانه عندما شك أن السيد المسيح هو المخلص الآتي إلى العالم، فأرسل يسأله: "هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟" أما السيد المسيح فهو مثال الطهر والنقاء. كانت شريعة موسى توجب على الشخص الذي يقدم ذبيحة أن يقدم حملاً بلا عيب، لتكون ذبيحته مقبولة. والسيد المسيح هو الحمل الذي بلا عيب، صاحب الذبيحة المقبولة قدام الله.

كانت شريعة موسى تعلم أن اليهودي الذي يحضر حملاً ليقدمه محرقة يجب أن يقدم حملاً بلا عيب، والمسيح وحده هو الحمل الذي بلا عيب وبلا دنس. ثم كان على الخاطئ أن يضع يده على الحمل، وكأنه يعترف بخطيته، وينتظر أن يكون الحمل بديلاً عنه، يأخذ مكانه ويح محله. ثم كان الكاهن يضع من دم الذبيحة على قرون المذبح، ويصب باقي الدم إلى أسفل المذبح، حتى يرى الله الدم فيغفر للخاطئ التائب المعترف. وتقول التوراة: "ويكفر عنه الكاهن من خطيته التي أخطأ، فيصفح عنه" (اللاويين 4:32-35). وفي يوم الكفارة العظيم، الذي كان شعب الرب يحتفل به مرة كل سنة، كان الكاهن يربط خيطاً قرمزي اللون في قرن المذبح، ثم يقدم الذبيحة، حتى يغفر الله للشعب الخطايا المعروفة وغير المعروفة. وكانوا يقولون إن لون الخيط القرمزي كان يتغير ويصير أبيض اللون بعد أن يقدم الكاهن الذبيحة، علامة على أن الله قبل توبة الشعب وغفر لهم خطاياهم.

ونحن أيها القارئ الكريم لا نعرف إن كان لون الخيط يتغير أو لا يتغير، لكننا نعلم أن الذي يجيء إلى الله بالتوبة، يغسل الله قلبه ويتمُّ فيه وعد الرب الذي قال للتائبين: "هلم نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف.. لأن فم الرب تكلم" (إشعياء 1:18 و19). إننا ندعوك أن تضع ثقتك في ذبيحة المسيح الكفارية عنك، لأن موته الفدائي يرفع عنك حكم الموت. إن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين. فإن كنت تضع ثقتك في السيد المسيح، الذي بذل نفسه عنك، فإن موته يكون موتك، وحياته تصبح حياتك وكفارته تستر خطيتك. فقد قال هو: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3:16).

الحمل المنتصر:

صحيح أننا نجد في الإنجيل أن الحمل يموت من أجل البشر لكي يمنحهم الحياة. ولكننا نجد أيضاً في الإنجيل صورة الحمل القوي الغالب. ففي سفر الرؤيا يقول الرائي: "رأيت وإذا وسط العرش والحيوانات الأربعة، وفي وسط الشيوخ، حمل قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون وسبعة أعين،هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض" (رؤيا 5:6). والقرون رمز القوة، والعيون رمز المعرفة بكل شيء في الأرض والسماء. ولا عجب، فهذا الحمل المذبوح هو وحده الذي استطاع أن يفك الختوم، ويعلن أسرار التاريخ، وله يسجد الجميع في عبادة قائلين: "مستحق هو الحمل المذبوح، أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة". هذا الحمل هو الغالب الذي سيسقي الذين يرفضونه كأس الغضب، لأنهم رفضوا خلاصه المجاني. وقد يظن أعداء السيد المسيح أنهم ينتصرون عليه، فيقول لنا في سفر الرؤيا إنهم يحاربون الحمل، والحمل يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون.

من الغريب أن الحمل الوديع الذي قبل أن يسفك دمه من أجل خلاص الناس، يصير في اليوم الأخير حملاً غاضباً على كل من يرفض خلاصه، فيهلك ويدين، حتى يصرخ الذين رفضوا قائلين للجبال والصخور: "اسقطي علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش، وعن غضب الحمل، لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم، ومن يستطيع الوقوف؟" (رؤيا 6:16).

يقولون إن الملك "تيجرينز Tigranes " ملك أرمينيا وعائلته، أخذوا أسرى أمام الإمبراطور "بومباي" في القرن الأول قبل الميلاد، ليحكم عليهم بالموت، وطلب الملك "تيجرينز" أن يطلق الإمبراطور أهله أحراراً وأن يموت

هو. فأعجب الإمبراطور "بومباي" بشجاعة "تيجرينز" وسامح الجميع. وفي طريق العودة للمنزل سأل تيجرينز زوجته: "ماذا تظنين في الإمبراطور؟" أجابته: "الحقيقة أنني لم أره بالمرة". فتعجب وقال لها: "لم تريه؟! أين كانت عيناك؟!" فأجابته: "كانت عيناي مثبتتين على من عَرَّض حياته للموت من أجلي".

لقد مات السيد المسيح من أجلك على الصليب، ليكفر عن خطيتك. أدعوك أن تثبت عينيك عليه، فهو المخلص، حمل الله، الذي دفع ثمن خطيتك.

17- الكلمة

"في البدء كان الكلمة" (يوحنا 1:1)
"الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (1يوحنا 7:5)

الإنجيل إنجيل واحد، لكن الذين يروونه أربعة – ومعنى كلمة "إنجيل" خبر مفرح. والخبر المفرح واحد، وهو أن السيد المسيح جاء إلى العالم. لكن رواة هذا الخبر هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وقد روى متى الإنجيل مبتدئاً بأن يسوع هو من نسل إبراهيم وداود، وتتبَّع سلسلة النسب إلى اثنتين وأربعين حلقة، ليبرهن أن يسوع هذا هو المخلص الذي تنبأ أنبياء التوراة بمجيئه. أما مرقس فروى الإنجيل مبتدئاً بخدمة يسوع، ليبرهن أن صاحب السلطان هو المخلص الذي ينتظره العالم. أما لوقا فروى الإنجيل بادئاً بأن يسوع هو من نسل آدم، فهو مخلص الجنس البشري كله. أما الإنجيل كما رواه القديس يوحنا فيبدأ بأن المسيح هو الأزلي، الذي من البدء "في البدء كان الكلمة (كان ولم يزل)، والكلمة كان عند الله (كان عند الله ولم يزل)، وكان الكلمة الله (كان الله ولا يزال)". المسيح كلمة الله، وهذا لا يعني أن المسيح هو الكلمة التي نطق الله بها بفم أنبيائه، ولكنه هو ذات الله المتكلم. لقد كلم الله البشر في زمن التوراة بالأنبياء، لكنه كلمنا في الأيام الأخيرة في المسيح. فمن سمع المسيح فقد سمع الله بالذات، ومن رأى المسيح فقد رأى الله نفسه (عبرانيين 1:1 ويوحنا 9:14).

الكلمة الأزلي:

نتأمل لقب المسيح أنه الكلمة. ويتبادر إلى ذهننا سؤال: هل الكلمة مخلوق أم أزلي؟ يقول المسيحيون إن المسيح أزلي، فقد تنبأ النبي ميخا في التوراة عن مكان ميلاد المسيح قبل حدوثه بسبعمئة سنة، وقال إنه سيولد في بيت لحم "ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (ميخا 2:5) وهذا يعني أنه الله. فالله هو الأزلي. "في البدء كان الكلمة" والقول إن المسيح كلمة الله مخلوق وليس أزلياً يعرضنا لخطأ كبير، وهو أن الله قبل الخلق كان بغير كلمة وبغير روح وهذا ما لا يتصوره أحد، وما لا يقول به أحد. المسيح كلمة الله إذاً أزلي. "الكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يوحنا 1:1).

المسيح إذاً موجود من قبل الخليقة. موجود من قبل ولادته من مريم العذراء. مولود ولكن غير مخلوق، ولا بداية له. هو واجب الوجود، الأزلي.

الكلمة شخص:

في البدء كان الكلمة، وكان "الكلمة الله" – المسيح هو كلمة الله. وليس المقصود بالكلمة صفة، وليس المقصود بها الوحي الإلهي، لأن الإنجيل يقول: "والكلمة صار جسداً وحل بيننا" إذاً الكلمة شخص، يتحدث عنه بصيغة المذكر – وهذا ما نجده عن المسيح الملقب بالحكمة، في سفر الأمثال من التوراة، إذ يتحدث الحكمة عن نفسه بصيغة المذكر فيقول: "منذ الأزل مُسحت، منذ البدء، منذ أوائل الأرض. لما ثبَّت السموات كنت هناك أنا. كنت عنده صانعاً، وكنت كل يوم لذته فرحة دائمة قدامه" (أمثال 23:8 و27 و30).

وتلقيب المسيح بالكلمة ينفي عن المسيح أية نسبة جسدية للآب السماوي، فليس هناك توالد بشري. الكلمة ابنة العقل، وهي في العقل. تصدر منه لتتجسَّد حروفاً مكتوبة، أو صوتاً مُذاعاً.. لكن الكلمة تبقى في العقل ولا تنفصل عنه. وفي هذا يقول المسيح: "ليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يوحنا 13:3) فالمسيح في الأرض والسماء بوقت واحد – لأن الكلمة في عقل صاحبها، وإن تجسدت حروفاً.

ويحق للمسيح أن يلقَّب بالكلمة، لأن الله كلَّمنا به، وأعلن لنا فيه أفكاره ومشيئته، كما أن كلمة الإنسان تعلن أفكاره ورغباته. وقد أعلن لنا المسيح بتعليمه وحياته وأعماله من هو الله، حتى أنه قال: "الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا 9:14). ويقول لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين في الإنجيل: "الله في الأزمنة الماضية كلم آباءنا بواسطة الأنبياء، الذين نقلوا إعلانات جزئية بطرق عديدة ومتنوعة. أما الآن في هذا الزمن الأخير فقد كلَّمنا بالابن، الذي جعله وارثاً لكل شيء، وبه قد خلق الكون كله. إنه التعبير المتألق عن مجد الله، والصورة المطابقة لجوهر الله. بكلمة قدرته يحفظ كل ما في الكون" (عب 1:1-3) (ترجمة كتاب الحياة)

وقولنا إن المسيح هو كلمة الله يؤكد لنا أنه هو الله الذي في الجسد، لأن الله وحده هو الذي يعرف أفكار الله ويعلنها ، كما يقول الإنجيل: "مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (1كو 11:2) وقال المسيح: "ولا أحد يعرف الآب إلا الابن" (متى 27:11).

غير المسيح من الأنبياء قالوا: "هكذا قال الرب" – وبهذا نالوا السلطان ليعلنوا كلمة الله – أما المسيح فهو كلمة الله، الذي قال: "الحق الحق أقول لكم" فكان يتكلم بسلطان نفسه. وواضح أننا نعرف شخصية الإنسان حين نسمعه يتكلم، فتعلن كلمته جنسيته وثقافته واهتماماته. والمسيح كلمة الله أعلن صفات الله وشخصيته – وهذا ما لم يقم به أي نبي، لذلك يقول الإنجيل "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبَّر" (يوحنا 18:1).

الكلمة شخص متميز:

ويقول الإنجيل: "والكلمة كان عند الله" ، ويقول عنه: "الذي هو في حضن الآب" وهذا يعني أن المسيح شخص متميز عن الآب. ويعني أمراً آخر: أن هناك اتحاداً كاملاً واتفاقاً تاماً بين المسيح الكلمة وبين الله في كل رأي وقضاء وعمل. فللمسيح ذات المجد والعظمة والكرامة التي للآب، وهذا واضح من قول المسيح: "والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" وقول السيد المسيح: "أنا والآب واحد" (يوحنا 5:17 و30:10).

ويمضي الإنجيل فيقول: "وكان الكلمة الله". والإنجيل يعني أن المسيح ليس ملاكاً ولا مخلوقاً أقل من الآب، لكنه مساوٍ للآب في الجوهر،له صفات الآب نفسها، وله قوة الآب واستحقاقه للإكرام والطاعة والعبادة التي يستحقها الآب.

وعندما تقول فاتحة إنجيل يوحنا: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلم الله". تتضح لنا ثلاثة أمور. أولاً: أزلية الكلمة. ثانياً: أن المسيح شخص قائم بذاته متحد بالآب. ثم أن لاهوت المسيح حقيقي، لأنه والآب واحد في الجوهر. فإذا تساءلنا: متى كان الكلمة؟ جاوبنا: إنه من الأزل، لأنه عند بدء الكون كان. وإذا سألنا: أين كان الابن؟ نجاوب: عند الآب. وإذا سألنا من هو الكلمة؟ نجاوب: "هو الله. فليس المسيح مخلوقاً أقل من الخالق، وليس المسيح مجرد رجل كامل في صفاته، ولكن هو الكلمة الذي كان في البدء عند الله. ففي البدء الذي لا بدء له كان الاتحاد بين الآب والابن. ولذلك قول مطلع سفر التكوين إن الآب قال للابن: "نعمل الإنسان على صورتنا، كشبهنا" (تكوين 26:1) ولم يكن ممكناً للابن، كلمة الله، أن يعلن للبشر أفكار الله، إلا لأنه كان في البدء عند الله، يعرف أفكار الله منذ الأزل، ولذلك قال: لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" (يوحنا 23:5).

وفي فاتحة إنجيل يوحنا نقرأ: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" فالعالم كله بما فيه من مادة وروح خُلق بالكلمة. والخَلق كما نعلم يخص الله وحده. "وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة" والإحياء عمل أعظم من خلق المادة. إنه مختص بالله وحده فللمسيح حياة في ذاته، وهو مصدر الأحياء جميعاً. فقبل ظهور

الخليقة كانت للمسيح حياة في ذاته، ولقد أعطى الحياة لبعض ما خلق. إن هذه الآيات في فاتحة الإنجيل كما رواه يوحنا تُرينا المسيح في جلاله الذاتي، فهو منشئ الخلق، وهو علَّة الخلق، وهو نبع الخلق ومصدره.

سلطان المتكلم:

تحمل الكلمة كل سلطان المتكلم، فهي ليست صوت صارخ في البرية أو في العالم. لكن الكلمة إرادة عمل، تنفذ وتُجري مشيئة المتكلم، كما يقول المرنم في مزموره المئة والسابع والأربعين: "يرسل كلمته في الأرض، سريعاً جداً يجري قوله" كانت كلمة الله قوة في خلق العالم. قال الله: ليكن نور فكان نور". ويقول صاحب المزامير: "بكلمة الرب صُنعت السماوات وبنسمة فمه كل جنودها، لأنه قال فكان، هو أمر فصار".

وكلمة الله قوة تشفي كما قال المرنم: "أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم من تهلكاتهم" (20:107) وسلطان كلمة الله كامل فيقول الله: "هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررت به، وتنجح فيما أرسلتها له" (إشعياء 11:55). وكلمة الله تعاقب وتدين كما يقول الله على فم النبي هوشع في التوراة: "أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب، وكمطرقة تحطم الصخر" (إرميا 29:23).

والسيد المسيح كلمة الله يحمل سلطان الله وقته، فهو الذي خلق العالم، وبغيره لم يكن شيء مما كان. ويقول رسول المسيحية بولس: "لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به" (1كو 6:8).

تحدث الفيلسوف اليوناني "هيراقليتس" في القرن السادس قبل الميلاد عن التغيير الذي يجري باستمرار في العالم، فقال: "إنك لا مكن أن تعبر نفس النهر مرتين، لان ماءه الجاري لا يتغير". لكن الفيلسوف اليوناني لاحظ أن قوانين الطبيعة ثابتة، والبذرة الواحدة تعطي دوماً نفس الثمرة. وسأل نفسه: من الذي يحفظ نظام الكون الثابت وسط هذا التغيير؟ وكان جوابه: إنه الكلمة! هو العقل الذي يعتمد عليه كل نظام الكون: المسيح كلمة الله الذي كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس.

الكلمة تجسَّد:

"في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. و الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يوحنا 1:1 و14). هذه الآيات تفيد أن الكلمة كان في البدء وكان عند الله، وكان الله. وقد صار جسداً، ولم يكن كذلك من قبل، لكنه أخذ جسداً كأجسادنا ليعلن لنا الله بوضوح كامل. كان المسيح في العالم بالروح خالقاً وحياة ونوراً، وهو يفعل في قلوب الناس وضمائرهم. ولكنه في ملء الزمان أخذ طريقاً جديداً لإعلان الله، بأن أضاف الطبيعة البشرية إلى طبيعته الإلهية، وذلك في سر التجسد الذي يقول فيه الإنجيل: "وبالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى الله ظهر في الجسد" (1تيموثاوس 16:3). والقول: "الكلمة صار جسداً" لا يعني التحول، فهو ليس مثل قولنا: "صار الطفل رجلاً" – أي أنه لم يعد بعد طفلاً – لكنها تفيد "الاتخاذ" أي ان الكلمة أخذ جسداً وصار إنساناً، دون أن يتغير في لاهوته. فلاهوت المسيح ملازم لإنسانيته من غير انفصال ولا امتزاج. فالتجسد حقيقة تاريخية. الكلمة صار جسداً، بمعنى أنه أخذ جسداً وحلَّ بيننا.

كان الله يحل بين الأمة اليهودية في خيمة الاجتماع، إلا أن تلك الخيمة كانت زائلة. أما هذه الخيمة الجديدة، جسد المسيح، فقد تمجدت بعد قيامة المسيح من بين الأموات، وها هو المسيح بناسوته ولاهوته في السماء الآن. فالتجسُد جواب الله على أشواق البشر ومحطُّ آمالهم، وبالمسيح تكون للبشر شركة حقيقة مع الله. لقد أخذ المسيح جسداً حقيقياً، هيئة خارجية وقتية فقط. جاء المسيح لكي يكون مثل إخوته البشر في كي شيء فأمكنه أن يتألم ويتجرب ويتعلم وينمو ويصلي ثم يموت كسائر الناس. ولقد أطلق المسيح على لقب ابن الإنسان. لقد صار الكلمة جسداً عن طريق ولادته من مريم العذراء، إذ حبلت به بطريقة معجزية بالروح القدس. ولم يكن المسيح

يختلف عن سائر البشر في شيء إلا أنه كان بلا خطية. وعندما اتخذ المسيح جسداً بشرياً لم تضع منه صفات اللاهوت. كل ما حدث أن علامات اللاهوت كانت مختفية خلف حجاب الجسد، إلا عندما أجرى معجزاته ليُثبت دعواه الإلهية. وعندما صار الكلمة جسداً شارك الإنسان في كل انفعالاته. فالمسيح باعتبار أنه إله وإنسان معاً، عاش على الأرض وتألم ومات وقام وصعد إلى السماء، وهو جالس الآن عن يمين الله يشفع فينا.

قال الملاك جبرائيل ليوسف خطيب مريم: "لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (متى 1:20-23).

جاءنا الكلمة إنساناً وصار جسداً وحل بيننا، وسكن أرضنا نحو ثلاث وثلاثين سنة، وسكن خصوصاً بين تلاميذه بعد ذلك الوقت، حتى قال عنه الرسول يوحنا في فاتحة رسالته الأولى بالإنجيل: "الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه و لمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (1يوحنا 1:1) لقد صار الكلمة جسداً وحلَّ بيننا حتى رأى تلاميذه مجده. رأوا مجد المعجزات التي أجراها المسيح، حتى يقول الإنجيل: "وأظهر بها مجده فآمن به تلاميذه" وأظهر المسيح لتلاميذه مجد صفاته، وهو يعطف على البائسين ويطلق الأسرى أحراراً من سجن الخطيئة. وأعلن المسيح لتلاميذه مجده الخاص على جبل التجلي عندما جاء موسى وإيليا يتحدثان معه عن صليبه. ورأى يوحنا وبطرس ويعقوب ذلك المجد على جبل التجلي. ورأى التلاميذ مجده عندما صعد أمامهم إلى السماء. وكان التلاميذ في ذلك متفرداً لا شبيه له، ولا يدانيه أحد، حتى يقول الإنجيل: "ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب".

وحيد الآب:

يُسمَّى المسيح كلمة الله الذي صار جسداً "وحيد الآب" تمييزاً عن أولاد الله الذين يُنعم الله عليهم بالتبني عندما ينالون الولادة بواسطة إيمانهم بالمسيح، إذ يقول الإنجيل عنهم: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا 12:1). فالمسيح وحيد من الآب، واحد أزلي، رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب وسُمِّي "ابن الله" ليس لأنه وُلد من الله كولد من والدين بشرين، ولكن لأن لقب "ابن الله" هو اسمه منذ الأزل. ويحمل هذا الاسم الأزلي معان:

1- يعني الشبه التام بينه وبين الله.
2- ويعني المساواة الكاملة في المجد والإكرام.
3- ويعني إعلان المحبة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثاني من اللاهوت.

والمسيح مملوء نعمة وحقاً، وكان قبل التجسد خالقاً ونوراً وحياة، وعند تجسُّده ظهر مملوءاً نعمة وحقاً في طبيعته وفي قوله وفي عمله. فالنعمة والحق صفتان لله تميزان عن خليقته. والمسيح باعتبار كونه كلمة الله أعلن النعمة والحق للناس. جاء المسح ببشارة النعمة، ليُظهر محبة الله للخطاة الهالكين، ليغفر خطيتهم ويخلصهم. وأتى بإعلان حق الله الروحي الواضح للناس جميعاً، فالمسيح هو كلمة الله الذي صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءٌ نعمة وحقاً.

الكلمة حكمة الله:

المسيح هو الكلمة، فهو حكمة الله. إنه العقل والفكر الذي يحيا في فكر الله. ولذلك يقول رسول المسيحية بولس: "نحن نكرز بالمسيح مصلوباً، قوة الله وحكمة الله" (1كورنثوس 23:1 و24). ويقول: "المسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله و براً وقداسة وفداء" (1كورنثوس 30:1). إن المسيح هو الكلمة الذي يقف من وراء الكون يحفظ وحدته واستمراريته، فإن كل الأشياء بإرادته كائنة وخُلقت، كما يقول سفر الرؤيا 11:4.

المسيح هو كلمة الله الذي أعلن لنا الحكمة الإلهية، وكشف لنا أسراراً أعظم مما نستطيع أن ندرك، مثل الاتفاق بين عدل الله ورحمته في الصليب ، فإذا غفرنا للخاطئ أسأنا إلى رحمة الله. أما في الصليب فقد تلاقت العدالة مع الرحمة، وتمكنّا من إيجاد مغفرة للخاطئ على أساس كفارة المسيح. إن المسيح هو كلمة الله وحكمته لأنه أوضح لنا ما كان مبهماً من أمور العناية الإلهية، وبيَّن لنا مستقبل نفس الإنسان. فالمسيح قد أنار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل. أنار لنا الحياة الحاضرة بتعليمه وبمثال شخصيته، ثم بسكناه في قلوبنا ليغيرها. وأنا لنا الخلود عندما عبر نهر الموت ووقف في الجانب الآخر منتصراً حتى يستطيع المؤمن أن يقول: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟" (1كورنثوس 55:15). بالمسيح كلمة الله أعطانا الحكمة الإلهية.

الكلمة قوة الله:

عندما نقول إن السيد المسيح هو كلمة الله نعني أن المسيح قوة الله. فالكلمة تحمل سلطان قائلها، وكانت القوة تخرج منه دائماً لتشفي المريض، ولتتوب الخاطئ، ولتقيم الميت، ولتأمر الشيطان ليخرج من الجسد الذي احتله، كما يقول المزمور الثالث والثلاثون: "بكلمة الرب صُنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها، لأنه قال فكان، هو أمر فصار".

المسيح كلمة الله بمعنى أنه يحمل كل سلطان الله. ولقد حمل السلطان خالقاً. إنه يخلق من الطين، وكل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. وفي قوة المسيح وسلطانه يحفظ للكون استمراره، كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين حاملُ كل الأشياء بقدرته". والمسيح يحمل سلطان وقوة الشفاعة، فإنه شفيع كل من يلوذ به ويضع ثقته فيه، كما يقول الإنجيل: "لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله و الناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (1تيموثاوس 5:2 و6). المسيح إذاً صاحب السلطان لأنه كلمة الله في قوتها.

الكلمة يعلن الله:

عندما نقول إن المسيح هو كلمة الله نعني أنه حكمة الله وقوة الله، كما نعني أنه هو الذي يعلن لنا الله. يقول الإنجيل إن الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر. قال الله لموسى: "الإنسان لا يراني ويعيش" (خروج 20:33). وقال المسيح عن الله: "لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته" (يوحنا 37:5). أما المسيح كلمة الله فهو الذي أعلن لنا من هو الله، وقال لفيلبس: "الذي رآني فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألست تؤمن أني في الآب والآب فيَّ" (يوحنا 9:14 و10).

كم نشكر الله أنه لم يتركنا في ظلام، ولكنه أعلن نفسه لنا، وكشف لنا عن محبته وأمانته، وأظهر لنا كل ما نحتاج أن نعرفه عنه في المسيح الذي هو صورة الله غير المنظور (كولوسي 15:1) والإعلان الكامل لفكر الله. كما أنه بهاء مجده ورسم جوهره (عبرانيين 3:1) وكما توضح كلماتنا ما يدور في عقولنا، هكذا يوضح لنا المسيح الله نفسه، فلقد فسَّر لنا مشيئة الله، وأعلن لنا طريق الخلاص وما يطلبه الله منا ليعطينا مغفرة خطايانا.

ندعوك أن تعرف المسيح معرفة القلب، لتستطيع أن تقول مع الرسول يوحنا: "الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأيناه و سمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضا شركة معنا وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً" (1يوحنا 1:1-4).

Titles 18-27

18- حجر الزاوية

"صار رأس الزاوية"

(مزمور 22:118 وأعمال 11:4)

يرمز الحجر دوماً إلى القوة والصلابة، فالمسيح قوي نستطيع أن نعتمد عليه. وكل من يتكل عليه لا يُخزى. وكل من يعتمد على الصلابة التي لا تلين، والتي لا تُخزى من يتكل عليها. وعندما يقول المسيح: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" يعلمنا أنه هو القوي الذي يقدر أن يقدم لنا الراحة، فهو الصُّلب الذي لا يمكن أن نعتمد عليه دون أن يخور أو يسقط.

وقد تردد لقب السيد المسيح "حجر الزاوية" أول ما تردد في المزمور المئة والثامن عشر، إذ يقول المرنم بروح النبوة عن السيد المسيح: "الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قِبَل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا". وقد قال السيد المسيح إن المرنم قال هذا عنه، فهو رأس الزاوية ومع ذلك فقد رفضه البناؤون.وقد اقتبس المسيح قول المرنم في مثل الكرامين الأردياء . قال المسيح إن صاحبي كرم أرسل رجاله للكرامين ليعطوهم ثمر الكرم، ولكن الكرامين جلدوا العبيد واحداً بعد الآخر، وجرحوهم ورفضوهم. فما كان من صاحب الكرم إلا أن أرسل ابنه الحبيب، قائلاً : لعلهم يهابون ابني " ولكن الكرامين الأردياء تآمروا أن يقتلوا الابن الوارث، زاعمين أنهم بقتله يأخذون الميراث، فقتلوه. وقال المسيح إن صاحب الكرم لا بد يأتي ويُهلك هؤلاء الكرامين الأشرار الذين قتلوا ابنه، بعد أن رفضوا عبيدهن ويعطي الكرم لكرامين آخرين. ثم علَّق المسيح على هذه القصة بقوله: "إذاً ما هو هذا المكتوب؟ الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض، ومن يسقط الحجر عليه يسحقه" (لوقا 17:20 و18).

وأدرك شيوخ اليهود أن المسيح يقول هذا المثل عنهم، لأنهم رفضوا المسيح حجر الزاوية ولا بد أن يترضضوا.

وفي إحدى عظات الرسول بطرس كلَّم اليهود عن المسيح الذي صلبوه، وقال لهم: "هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال 11:4 و12).

قصة الحجر المرفوض:

وهناك قصة في تقليد يهودي تقول: إنه أثناء بناء هيكل سليمان وجد البناؤون حجراً كبيراً (هو حجر الزاوية)، لم يستطيعوا أن يفهموا السبب في وجوده، وظنوا أنه لا يصلح لشيء فرموه بعيداً. ولكنهم اندهشوا فيما بعد عندما وجدوا أن ذلك الحجر الذي رفضوه هو رأس الزاوية، الذي يربط أجزاء البناء معاً، ولا يمكن أن يثبت البناء بغيره. فعندما يقول المرنم إن الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، يعني أن السيد المسيح هو حجر البناء العظيم، الذي لا يمكن أن يثبت البناء بغيره. ومع ذلك فإن الناس يرفضونه.

نقرأ في تاريخ الكنيسة أن الإمبراطور جوليان، المعروف بجوليان المرتد، أراد أن يمحو المسيحية، فبعد أن صار مسيحياً ارتد عنها وأراد أن يُرجع عقارب الساعة إلى الوراء، فحاول أن يمحو المسيحية بكل طريقة ممكنة. وذات يوم قال أحد الوثنيين لشخص مسيحي: "ماذا يعمل مسيحكم النجَّار الآن؟" فأجابه المسيحي: "مسيحُنا النجار يعمل الكفن للإمبراطور" وبعد قليل مات الإمبراطور المرتد جوليان في إحدى معاركه في بلاد فارس، إذ أصابه جرح نافذ. وندها أخذ جوليان بيده قبضة من دمه، رماها في الهواء كأنه يعارك السماء وقال: "لقد غلبت أيها الجليلي".

انهزم جوليان أمام المسيح النجار الذي من الجليل. وإذا بالحجر الذي رفضه البناء جوليان قد صار رأس الزاوية، الذي لا يمكن أن يقوم ملكه بغيره. صحيح أن الناس يرفضون المسيح، لكنه صاحب المكان العظيم الذي لا يقدر الناس أن يعيشوا بدونه، فهو رأس الزاوية الذي لا يقوم البناء بغيره.

مؤامرات ضد المسيح:

أثناء حياة السيد المسيح على الأرض كان موضع مؤامرات باستمرار. كانت المؤامرة الأولى لقتله من الملك هيردوس الذي خاف أن يحتل المسيح عرشه، فأمر بقتل كل الأطفال الذين وُلدوا في بيت لحم، من ابن سنتين فما دون. ولكن المسيح نجا من الموت عندما هرب به يوسف النجار والعذراء مريم إلى مصر (متى 2). وأثناء خدمة المسيح كان موضع المؤامرات باستمرار، فكانوا يتشاورون عليه ليهلكوه. ويقول الإنجيل المقدس: "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله" وأخيراً صلبه اليهود على الخشبة ولكنهم لم يهزموه. لم يقتلوه يقيناً، لأنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات، منتصراً على الموت وعلى قوة الشر.

ويقول الرسول بطرس في رسالته الأولى: "لذلك يتضمن أيضاً في الكتاب هأنذا أضع في صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذي يؤمن به لن يخزى" (6:2).

به وحده يقيم البناء:

يقول رسول المسيحية بولس في رسالته إلى كنيسة أفسس: "يسوع المسيح هو نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً للرب. الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح" (أفسس 20:2 و21) لقد تكونت الكنيسة المسيحية من خلفيات مختلفة كثيرة. آمن البعض بالمسيح من خلفية يهودية، وآمن البعض الآخر وهم من خلفية وثنية، وكانوا مختلفون في الكثير، ولكن المسيح وحَّد قلوبهم وربطهم معاً، لأنه حجر الزاوية. لقد اجتمعوا معاً على حبه هو شخصياً. لم تكن العقيدة هي التي ربطت أولئك المختلفين من الخلفيات، بل كان الحب لشخص المسيح نفسه. نحن نختلف في العقيدة، والرئاسة الأرضية تقسمنا، لكن المسيح وحده هو الذي يربطنا. ونحن نقول إن المسيحية هي المسيح نفسه، فقد قال هو: "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا". وقال: "أنا هو الطريق والحق والحياة،وليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي". ولما كان المسيح حياً فإنه يربط كل الذين يتعاملون معه ويؤمنون به معاً في حب حقيقي. لقد كانت الشهرة التي اشتهر بها المسيحيون الأولون أنهم يحبون بعضهم، حتى قال الوثنيون الذين راقبوهم: "انظروا كيف يحب المسيحيون بعضهم!" وفي تاريخ الكنيسة الطويل رغم كل ما فيه من أخطاء ظل المسيح حافظاً وحدة الكنيسة الروحية، لأن الله في وسطها فلن تتزعزع. وعندما نعقد زيجة مسيحية نقول: "ما جمعه الله لا يفرقه إنسان" ذلك أنه عندما يجتمع اثنان معاً، رجل وامرأة، من خلفيتين مختلفتين، ولكنهما في الوقت نفسه يحبان المسيح من كل القلب، فغن المسيح يوحد القلبين لأنه رئيس البيت. يتحطم البيت عندما يحاول الزوج أن يغير زوجته، وعندما تحاول الزوجة أن تغير زوجها. ولكن عندما يسلمان نفسيهما للمسيح يغيرهما هو، فإنه يعدل الأفكار المختلفة ويربط القلوب المتباعدة، ليجعل منها بيتاً واحداً يتحقق فيها قوله: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (متى 20:18). إن كنت في خصام مع أحد، أو إن كانت حالتك العائلية سيئة، فإننا ندعوك أن تقصد المسيح الذي ينزع منك كل خصاك، لأنه هو الذي يربط القلوب برباط المحبة والسلام، وهو الذي علمنا أن نصلي في الصلاة الربانية قائلين: "اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" فكما غفر لك المسيح تستطيع أن تغفر لغيرك، لأنه يملأ حياتك (متى 12:6).

الحجر يبني أو يسحق:

ذكر المسيح في مثل الكرامين الأردياء الذي يسقط على ذلك الحجر يترضض، والذي يسقط الحجر عليه يسحقه. وقد ظهر هذا في نبوة سمعان الشيخ، حين أخذ الطفل يسوع من أمه العذراء مريم، وحمله وقال: "هذا قد وضع لسقوط و قيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تُقاوم. وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيف لتعلن أفكار من قلوب كثيرة" (لوقا 34:2 و35). فهناك من يقبل المسيح فيخلص، وهناك من يرفضه فيتحطم، وقال الرسول بولس: "فانهم اصطدموا بحجر الصدمة، كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة و صخرة عثرة وكل من يؤمن به لن يُخزى" (رومية 32:9 و33). فكل من يضع ثقته في المسيح المخلص لا يمكن أن يُخزى، لأن الله يقبله ويغفر له خطاياه. أما الذي يرفض المسيح فإنه يترضض. وقد ظهر هذا فيما قاله النبي إشعياء في التوراة: "ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبني إسرائيل" (إشعياء 14:8).

نظر كثيرون إلى المسيح فوجدوه إنساناً عادياً، وكانوا يتوقعون المخلص الآتي ملكاً عظيم الجبروت، فشكوا فيه وعثروا به. ولكن الذين فتح الروح القدس قلوبهم وعقولهم ليروا ما وراء حجاب الجسد الذي حجب مجد المسيح، استطاعوا أن يروا فيه المخلص الآتي. ونحن نتساءل: كيف يصير المسيح للهدم وللبناء في وقت واحد معاً؟ كيف يكون مقدساً وفي نفس الوقت حجر صدمة؟ والإجابة: إن المسيح يكون ملجأً مقدساً للذي يؤمن به، وفي الوقت نفسه هو حجر صدمة لمن يرفض الإيمان به. افرض أن شخص متضايقاً لجأ إلى مذبح الرب، فهو إن كان مؤمناً يجد الراحة والبركة لأنه يرى وجه الله. أما إن كان غير مؤمن فإنه يرى في مذبح الرب كومة أحجار يسقط عليها أو تصدمه وتعطله عن التقدم.

ندعوك أن تجيء للمسيح بالإيمان لتجد فيه الفداء والبركة، فيصبح حجر الزاوية الذي يبنيك ويثبتك. والأمر كله يتوقف عليك إن قبلته أو رفضته. إن المسيح كالشمس التي تلين الشمع، ولكنها تجفف الطين. فهل لك من المسيح بركة الفداء أم لعنة العقاب؟

الحجر أساس متين:

المسيح هو الأساس المتين فقد قال في نهاية موعظته على الجبل: "كل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر. وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح و صدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً" (متى 24:7-27).

في هذه الكلمات يقول لنا المسيح: إن الذي يسمع كلمته ويعمل بها يشبه الحكيم الذي بنى بيته على الصخر، والصخر هو المتماسك. أما الجاهل فهو الذي يسمع كلام المسيح ولا يعمل به، فكأنه يبني بيته على رمل. والرمل متسيب لا تماسك فيه. وهذا قول حق، فالذي يبني على المحبة هو الذي يتماسك ويستمر، والذي يبني على البغضة والتناحر هو الذي يُهزم ويسقط. ولما كان الله محبة فإن الذي يبني حياته على أقوال الله يثبت ويبقى ويدوم. المسيح هو الصخر وحجر الزاوية الذي نستند عليه، إن كنا نطيعه ونعمل بما يقول. أما إذا لم نعمل بكلامه فإننا نُهلك أنفسنا ونحكم عليها بالهلاك والخراب والموت.

ابن حياتك على طاعة المسيح. ابن على الحجر والصخر تنجح وتفلح وتثمر. وهذا يتطلب أن تقرأ ما قاله المسيح، لأنك لا يمكن أن تعتمد على ما لا تعلم. ندعوك أن تأخذ نسخة من الإنجيل المقدس لتقرأها، لتدرس وتعرف ما قاله المسيح، ولتجتهد بكل طاقتك أن تطيعه في حياتك لتفلح وتنجح.

الحجر الذي يملأ الأرض:

في سفر النبي دانيال نقرأ عن الحجر الذي يملأ الأرض. فقد حلم الملك نبوخذنصر ملك بابل حلماً لم يحكه لأحد. وطلب من رجال مملكته مَن يحكي حلمه ويفسره في الوقت نفسه. ولم يستطع أحد أن يفعل ذلك إلا النبي دانيال. قال النبي للملك: "أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد صدره وذراعاه من فضة بطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر في الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها" (دانيال 2:31-35).

هذه نبوة عن السيد المسيح، ففي ذلك الحلم الذي أعلن الله فيه للملك نبوخذنصر أن كل الممالك تنتهي وكل الرياسات تسقط، ولا يبقى إلا المسيح، الحجر المقطوع بغير يدين، لأنه وُلد بغير أب بشري، بل حُبل به من مريم العذراء من الروح القدس. هذا الحجر يصير حجر الزاوية، جبلاً كبيراً يملأ الأرض كلها، لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. ونحن ندعوك أن تفتح قلبك للمسيح لتجد خلاص نفسك، فيجيء يوم تجثو لاسمه كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (فيلبي 2:9-11).

هذا هو المسيح حجر الزاوية المختار الكريم الذي ينقذ ويخلص كل من يضع ثقته فيه، والذي كل من يؤمن به لن يُخزى، لأنه يمنحه غفران خطيته. وندعوك أن تفعل ما يصفه الإنجيل المقدس بالقول: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا من الله". وكل من يقبل المسيح الحجر المختار الكريم، يصبح من شعب الله الذي ينال الرحمة، لان كفارة المسيح تستره، وتضمن له مغفرة خطيته.

19- الراعي الصالح

"أنا هو الراعي الصالح" (يوحنا 11:10)

يتحدث العهد القديم عن الله فيقول إنه الراعي، وهذا واضح من قول المرنم: "الرب راعي فلا يعوزني شيء" (مزمور 1:23) وواضح أيضاً من القول: "هو صنعنا وله نحن شعبه وغنم مرعاه" (مزمور 3:100). وقدم النبي إشعياء صورة جميلة للرب الذي يرعى شعبه فيقول: "كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها و يقود المرضعات" (إشعياء 11:40) ويتحدث النبي حزقيال بفم الرب عن نفسه فيقول: "هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها..أرعاها في مرعى جيد..أنا أرعى غنمي وأربضها يقول السيد الرب. وأطلب الضال وأسترد المطرود وأجبر الكسير وأعصب الجريح وأبيد السمين والقوي وأرعاها بعدل" (حزقيال 11:34-16).

وقد تحدث المسيح عن نفسه باعتباره الراعي الصالح. إنه يفتش عن الضال لأنه "ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السماوات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار" (متى 14:18) وقد تحرك قلبه بالحب على الشعب حين "رآهم كغنم لا راعي لها" (متى 36:9). وقد حدث تلاميذه على أنهم "القطيع الصغير الذي سُرَّ الآب أن يعطيه الملكوت" (لوقا 32:12).

وفوق الكل يظهر كلام المسيح عن نفسه أنه الراعي الصالح في قوله: أنا هو الراعي الصالح" (يوحنا 14:10).

وقد رأت الكنيسة الأولى أن يسوع هو راعيها الصالح، فقال الرسول بطرس: "كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها" (1بطرس 25:2)، ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن المسيح "راعي الخراف العظيم" (عب 20:13).

الراعي الصالح يعرف الخراف:

يقول المسيح إن الراعي الصالح يعرف خرافه معرفة قوية. إنه يعطيها أسماء، ولكل حمل اسم خاص!

والخراف تعرف الراعي، وتعرف صوته، وحين يناديها تتبعه، ولكنها لا تطيع الغرباء، لأنها تميز بين صوت الراعي وصوت الغريب.

وكان الراعي في فلسطين يعرف خرافه معرفة خاصة، لأن النعجة تبقى معه تسع سنوات أحياناً، يأخذ لبنها وصوفها.. وكانت الأسماء التي يعطيها للخراف تظهر صفاتها وطبعها.

ومعرفة المسيح بنا معرفة قوية. إنه يعرف ظروفنا وأحوالنا وضعفاتنا وكل ما فينا، وهو يعرف ويقدر.

إنه يقول: أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني، كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب"

هل تميز صوت المسيح عن صوت الغريب؟ وهل تطيع صوت الراعي وحده، ولا تتبع سواه؟

الراعي الصالح يحمي الخراف:

كان الراعي يسير أمام الخراف، والخراف تتبعه.. وهذا معناه أن الراعي قائد الخراف، إنها هي رعيته وغنم مرعاه.. لكن الراعي كان يسير أمام الخراف حتى يحميها. كان يدخل في الطريق المظلم بين الجبال فإذا كان هناك وحش أو لص يقابله أولاً، ويحاربه، ويخلص الخراف منه.

ويقول المسيح عن الراعي الصالح: "متى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته" (يوحنا 4:10).

المسيح أمامنا يحمينا فلا نخاف.

"إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي" (مزمور 4:23).

وكان الراعي يحمل عادة العصا، وطولها متر ورأسها من الخشب الغليظ، وكان الراعي يستعمل العصا في ضرب الحيوانات المفترسة واللصوص.

كانت فلسطين مكاناً للحيوانات المفترسة من الأسد والدب والذئب. وبقيت الأسود في فلسطين حتى عهد الصليبيين.. وكان الراعي الصالح يحمي خرافه من الوحوش.

وكان اللصوص، وما زالوا، يسرقون . والراعي الصالح يحمي خرافه من اللصوص إنه يبذل نفسه دفاعاً عن خرافه. والراعي يسير أمام الخراف يحمل الصغار من الحملان في حضنه حتى يحميها. وأنت تسير مع المسيح أيها القارئ لا تخف لأنه معك يحميك.

الراعي الصالح يبحث عن الضال:

وقد حدثنا المسيح عن الراعي الصالح الذي يذهب يفتش عن الخروف الضال حتى يجده! وقال المسيح عن نفسه إن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك.

وكان الراعي في فلسطين يعرف الأثر.. فإذا ضل منه خروف تبع أثره حتى يجده! والمسيح يعرف طبيعتنا. ويدرك ضعفنا، ويعلم نواحي الضعف فينا.. ويفتش حتى يجدنا. وكان الراعي في فلسطين يعد خرافه، فإذا وجد أحدها ضالاً، لان العدد ناقص، يمضي وراء الضال حتى يجده!

وكان يستعمل طريقين لإرجاع الخروف الذي يبتعد عن القطيع:

كان يستعمل العكاز – وهو عصا طويلة طولها طول الراعي نفسه، وطرفها أعوج – فيسحب به الخروف الذي يبتعد، قبل أن يضل بعيداً.

ثم كان يستعمل المقلاع – فإذا ابتعد الخروف جداً يرمي حجراً من المقلاع ليقع أمام أنف الخروف، فيخاف الخروف الضال ويرجع.

ولا زال الله يستعمل معنا العكاز، يسحبنا به إذا ضللنا.. وقد قال المرنم: "قبل أن أذلل أنا ضللت".

ثم يستعمل معنا الحجر ليضربنا أمام أنوفنا .. بتجربة أو عقاب بسيط، حتى نتوب ونرجع. والذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله.

الراعي الصالح يعتني بالخراف:

كان الراعي الصالح يتعب من اجل الخراف. وقد قال يعقوب: "كنت في النهار يأكلني الحر، وفي الليل الجليد، وطار نومي من عيني" (تكوين 31:40)

ولكن المسيح يتكلم عن شيء أعظم من هذا..

إنه يكرر ثلاث مرات فكرة بذل نفسه من أجل الخراف.

إنه يقول: "الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف" ويقول: "أنا أضع نفسي عن الخراف"

ويقول: "ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً".

والمسيح يتحدث عن أنه بذل نفسه حتى الموت، موت الصليب.

كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا.

أيها القارئ العزيز:

مات المسيح لأجلك ليخلصك من لعنة الخطية.

بذل نفسه لأجلك ليفديك ويغطي شرك.

هل آمنت بعمله من أجلك؟ وماذا فعلت من أجله.

20- القيامة

"أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا 25:11)

قال السيد المسيح: "أنا هو القيامة والحياة". وقت أن أقام لعازر من بين الأموات. وكان لعازر حبيب المسيح قد مات منذ أربعة أيام وأنتن في القبر، فأرسلت مريم ومرثا أختا لعازر رسولاً ليقول للسيد المسيح إن لعازر حبيبه مريض، وتطلبان منه أن يأتي ليشفيه. لكن المسيح تأخر حتى مات لعازر ودُفن. عندئذ أخذ المسيح تلاميذه إلى بيت عنيا. وما إن وصل إلى حدود القرية، وسمعت مرثا بذلك، حتى خرجت إليه مسرعة حيث كان، وقالت له في عتاب محبة: "يا سيدي لو كنت ههنا لم يمت أخي". ثم قالت في إيمان:"ولكني أنا أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه". وأمام هذا ا لإيمان العظيم قال المسيح لمرثا: "سيقوم أخوك" ولم تدرك مرثا عمق معنى كلام المسيح فقالت له: "أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة ، في اليوم الأخير". وهنا بدأ السيد المسيح يشرح لها ما لم تقدر أن تفهمه. قال لها: "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد". ثم سألها: "أتؤمنين بهذا؟" فأجابت "نعم يا سيد، أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله، الآتي إلى العالم".

وهنا أدركت مريم أن أختها مرثا تتحدث مع المسيح، فخرجت إليه أيضاً خارج حدود القرية، وجعلت تعاتبه بذات الكلام الذي عاتبته به مرثا قائلة: "يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي" يبدو أن الأختين كانتا ترددان ذات العبارة مرات كثيرة. وعندها طلب المسيح من الأختين أن تذهبا معه إلى القبر. وتجمَّع عدد كبير من الذين كانوا يعزون الأختين. وطلب المسيح أن يرفعوا الحجر عن باب القبر، فقالت مرثا: "يا سيد، قد أنتن، لان له أربعة أيام" كان واضحاً أن مرثا لم تفهم عمق غنى إعلان المسيح لها بأنه هو القيامة والحياة. ولكن المسيح أطال أناته على مرثا وقال لها: "ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله؟". ولما رفعوا الحجر حيث كان لعازر مدفوناً، رفع المسيح عينيه إلى فوق يصلي قائلاً: "أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك أنت أرسلتني". ثم نادى بصوت عظيم: "لعازر، هلم خارجاً". فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم المسيح: "حلُّوه ودعوه يذهب".

قيامتان:

في قصة إقامة لعازر من الموت نرى أمرين عظيمين: نرى إعلاناً عظيماً، ونرى عملاً عظيماً يساند الإعلان. الإعلان هو: "أنا هو القيامة والحياة". أما العمل فهو أنه فعلاً أقام الميت ووهبه الحياة. ولا زال المسيح إلى يومنا هذا يفعل الأمرين معاً. إنه يعطي حياة ويُقيم أموات الخطية من خطاياهم. فلنستمع إلى ما قاله: "الحق الحق أقول لكم، إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حيا أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون، لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان" (يوحنا 24:5-27).

ثم مضى المسيح يقول: "لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (يوحنا 28:5 و29).

في هذه الكلمات نرى المسيح يُقيم قيامتين: الأولى يُقيم فيها موتى الخطية، لينقلهم من الموت إلى الحياة، وليرفع عنهم الدينونة، لأنه يهبهم الغفران . والمسيح يقول عن هذه القيامة إنها " الآن" "تأتي ساعة وهي الآن". ثم يتكلم عن قيام أخرى ستحدث في اليوم الأخير، عندما يسمع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، وهذه هي القيامة الثانية.. القيامة في اليوم الأخير.

الإنسان ميت بذنوبه وخطاياه. فكل إنسان منفصل عن الله، لا صلة له بالرب، هو ميت، لان حياة الله ليست فيه. لكن المسيح في محبته يُقيم الإنسان الخاطئ من موت خطيته، فيتحقق معه قول الرسول بولس: "الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح، وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات" (أفسس 2:4-6).

أدعوك لان تفتح قلبك للمسيح ليسكن فيه، فيعطيك القيامة من موت الخطية، ويملأك بالحياة القوية العميقة، لأن المسيح هو القيامة والحياة.

من هو هذا الذي يأمر الميت في قبره فيمنحه الحياة؟ أليس هو الخالق المحيي القادر على كل شيء صاحب السلطان على الهاوية والموت، معطي الحياة. لم يقل أحد قط من قبل المسيح: "أنا هو القيامة". لكنه هو الذي قال هذه الكلمات، لأنه يمنح الحياة لكل من يضع ثقته فيه. إن الخطية أهلكتنا وضيعتنا وفصلت بيننا وبين الله، ولكن المسيح يقول لك: "أنا هو القيامة والحياة" لأنه يريد أن يهبك حياة أبدية وخلوداً دائماً، عندما يسكن قلبك ويملأ حياتك.

الأول والآخر:

عندما قال المسيح إنه القيامة والحياة، قصد أول حياة الإنسان، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. كما قصد نهاية حياة الإنسان. لأن به وفيه يقوم الإنسان من موته. نعم، إن المسيح يملك الحياة الحاضرة والمستقبلة. وهو صاحب السلطان هنا في هذه الحياة، وهناك في الحياة الأخرى. منه تبدأ وإليه تنتهي.. هذا صاحب القيامتين، فكل من يقبله مخلصاً يقوم من موت الخطية، ثم يقوم إلى قيامة الأبرار في اليوم الأخير.

لا سلطان للموت:

عندما قال المسيح لمرثا إنه القيامة والحياة، كان لعازر جثة في القبر. ولقد قال المسيح: "من آمن بي ولو مات فسيحيا" وليس معنى كلام المسيح أن المؤمن خالد بالجسد، فإن الموت يسود على كل من يحيا على هذه الأرض. وأي إنسان يحيا ولا يرى الموت؟ فالموت طريق الأرض كلها. لكن معنى قول المسيح هو أن الموت لا يسود المؤمن، فقد حطم المسيح بقيامته الموت والقبر. وكما يموت الجميع في آدم يحيا الجميع في المسيح الحي. يقول الرسول بولس: "عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد" (رومية 9:6). وكلا من هو للمسيح لا يسود عليه الموت. الحقيقة أن الموت لا يقدر أن يسود على المؤمن لأن حياته من حياة المسيح فيه، ومحفوظة في المسيح، ويضمنها المسيح، الذي يقول الإنجيل عنه إنه أباد بالموت ذاك الذي له سلطان على الموت أي إبليس. يموت المؤمن كما يموت غير المؤمن، لكن الفرق بين موت الإثنين هو أن موت المؤمن مثل حصاد الحنطة التي يجمعها السيد في مخازنه لأنها نافعة، بينما موت الخاطئ يشبه جمع الزوان ليحرقه بنار لا تُطفأ.

نحن نشترك في حياة الله:

في تأملنا في لقب السيد المسيح أنه القيامة، نقو إنه يشركنا معه في حياة الله التي لا تنتهي. في المزمور التسعين نقرأ صلاة لموسى رجل الله، قال فيها للرب: "أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون، وأفخرها تعب وبلية، لأنها تقرض سريعاً فتطير" (مز 10:90). هذه هي الحياة الأرضية. أما حياة الله فهي أبدية لا تنتهي أبداً. وما أجمل ما قال المسيح: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 16:3). من هذا نرى أن الموت ليس نهاية حياة المؤمن بالمسيح، لكنه الباب الذي يقود المؤمن بالمسيح إلى حياة جديدة أبدية. ما اجمل ما قال واحد من رجال الله القديسين، هو القديس إدوارد المعترف، ساعة موته: "لا تبكوا. سوف لا أموت ولكني سأحيا. وإذ أترك أرض الأموات أثق أني

سأرى بركات الرب في ارض الأحياء" كأن هذا لقديس يقول إنه وهو يموت لا ينتقل من حياة إلى موت، ولكنه يخرج من الحياة الأدنى إلى الحياة الأسمى، عن طريق باب الموت.

رأينا المسيح يشرح لمرثا أنه القيامة والحياة. وسألها إن كانت تؤمن بأن من آمن به ولو مات فسيحيا، فقالت له: "نعم يا سيد" والمسيح يوجه إليك السؤال نفسه: هل تؤمن؟ إنه يطلب منك أن تضع ثقتك فيه، لتنال الحياة منه ولتنال القيامة معه.

21- الطريق

"أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا 6:14)

قال السيد المسيح لتلاميذه: "أنا هو الطريق والحق والحياة". لم يقل: "جئت لأعلم الطريق" ولا: "جئت لأعطي وصفة الطريق" ولا: "جئت لأقدم رسماً لخريطة الطريق" بل قال إنه هو نفسه الطريق.

كان المسيح قد قدَّم لتلاميذه فريضة العشاء الرباني. وبعد العشاء الأخير قال لهم: "واحدٌ منكم سيسلمني". ثم قال لبطرس: "لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات". بالرغم من هذا أعلن لهم حبَّه، وطلب منهم أن يؤمنوا به لكي لا تضطرب قلوبهم، ووعدهم ببيت أبدي وقال: "وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق" (يوحنا 4:14).

ونحن مدينون لتلميذ المسيح توما الذي لم يفهم معنى كلمات المسيح فسأل: "يا سيد، لسنا نعلم أين نذهب، فكيف نقدر ان نعرف الطريق؟". لم يقبل أن يبقى في جهل، ولم يظهر أنه فاهم بينما هو غير فاهم. لقد كان متواضعاً راغباً في المعرفة، فكان أن أعلن له المسيح هذا الإعلان العظيم: "أنا هو الطريق والحق والحياة" ونلنا نحن بركة هذا الإعلان بعد أن قاله المسيح لتلميذه المتواضع المُخلص توما.

الطريق الوحيد:

قال السيد المسيح "أنا هو الطريق" هذا يعني أنه هو الطريق الوحيد الذي يوصلنا إلى الله. إن الإنسان خاطئ لا يملك طريقاً يوصله إلى الله، والخطية تفصل بينه وبين الله بمسافة كبيرة، فالإنسان شرير والله قدوس، عيناه أطهر من أن تنظرا الشر. لقد فصلت الخطية الخاطئة جداً بين الإنسان وبين الله. فعندما أخطأ آدم يقول الكتاب: "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل في الأرض التي أُخذ منها. فطرد الله الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (تكوين 3:24). كان لا بد إذاً أن يكون هناك طريق يوصل بين الإنسان المطرود وبين الجنة، لأن الخطية أغلقت طريق الحياة في وجه الإنسان. وفكر أيوب كثيراً في هذا فقال: "كيف يتبرر الإنسان عند الله؟" ثم مضى يقول في أسى: "ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا" وجاء المسيح ليجاوب على سؤال أيوب الذي لم يجد له جواباً، فقال لنا إن الإنسان يتبرر عند الله، عندما يحتمي بالمسيح، فيجد طريقه إلى الله. لقد جاء المصالح، المسيح الطريق الذي يوصلنا إلى إلهنا. قال الفيلسوف أفلاطون: "يصعب أن نكتشف أباً لهذا طالب به أيوب في سفره قد جاءنا – المسيح الطريق إلى الله. يقول لنا ما قاله الله على فم إشعياء قديماً: "أذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هي الطريق. اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار" (إشعياء 21:30) نعم فأينما توجهنا فإننا في المسيح يميناً أو يساراً، حيثما كنا، نجد طريقنا إلى الله. ولذلك فإن هناك النبوة الكتابية عن المسيح تقول: "وأسير العمى في طريق لم يعرفوها. في مسالك لم يدورها أمشيهم، أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم" (إشعياء 16:42).

هذه الكلمات التي قالها الله على فم نبيه إشعياء تؤكد لنا أن المسيح هو الآتي إلى العالم طريقٌ وحيداً يوصل الناس إلى الله. ولا عجب فالمسيح هو الطريق الوحيد لأنه طريق ا لغفران، فلقد دفع ديننا على الصليب، ووفى ما كان يجب أن نوفيه نحن. ولذلك فإننا نرى مصيرين مختلفين تماماً لتلميذين من تلاميذ المسيح الذين أخطأوا. كان هناك بطرس الذي لما أخطأ خرج إلى خارج يبكي مستغفراً فأعطاه المسيح غفراناً. وهناك يهوذا الذي خان المسيح فلم يستغفر، بل في يأس مضى وخنق نفسه. وجد بطرس طريقه إلى صداقة مع الله، بينما ضاع يهوذا لأنه لم يجد طريقه إلى الله من خلال التوبة بالمسيح.

عزيزي القارئ، المسيح هو الطريق للصداقة مع الله، لن نتوه في الأرض كقايين مغتربين عن الله، كل من يجدنا يضربنا (تكوين 14:4). لكننا نجد طريقاً يوصلنا إلى الرب نفسه، هو المسيح الذي وفى ديننا وأوجد السلام بيننا وبين الله. نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين: "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع. طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده" (عبرانيين 19:10).

هذا هو المسيح، الطريق إلى الله، طريق جديد غير الطريق القديم، الذي يحرسه سيف النار. هو طريق حي لأن المسيح حي. هذا الطريق هو جسد المسيح عندما صار إنساناً فأعطانا مثالاً لنتبع خطواته، ونعرف الطريق الصحيح إلى الله.

الطريق المفتوح دائماً:

يقول المسيح: "من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً" (يوحنا 37:6). فحينما تأتي، في أي وقت من الحياة، في شبابك أو في شيخوختك، الآن هناك دعوة موجهة إليك أن تجيء إلى المسيح فوراً. استمع إلى هذه الكلمات المباركة التي قدمها نبيُ الله إشعياء كنبوة عن مجيء المسيح إلى العالم. يقول: "تكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة، لا يعبر فيها نجس. بل هي لهم. من سلك في الطريق حتى الجُهَّال لا يضل" (إشعياء 8:35).

الآن تعال، سواء كنت بعيداً عن الله أو قريباً منه. سواء في مطلع الحياة أو في منتصفها أو قرب نهايتها. إنه يدعوك أن تجيء إليه بدون تأخير، فإن بابه مفتوح لك باستمرار.

هناك خروج رمزي من مصر بزعامة موسى من العبودية وسوء العذاب، إلى الحرية. ودخول آخر إلى أرض الراحة قادة يشوع. والسيد المسيح يفعل روحياً الأمرين معاً. إنه يخرجك من عبودية الخطية إلى خلاص به.. يخرجك من سوء العذاب الذي تجوز فيه لأن العالم والخطية يستعبدانك. وهناك شيء آخر: إنه يدخلك إلى مجده الأبدي، لأنه يقول: "حيث أكون أنا هناك يكون تلميذي".

تعالى إلى المسيح الآن قبل أن يغلق الباب بموتك، أو قبل أن يغلق بمجيئه ثانية، عندما لا تجد فرصة للتوبة.

الطريق الضيق:

إنه الطريق الضيق تدخل فيه بدون عمل صالح تدَّعيه، وبدون خطية تصاحبك. تدخل فيه لأنه يجب أن تسلم حياتك للمسيح كما أنت، بما فيك من خطايا، ليطهرك. وبما فيك من ضعفات ليقويك، وبما فيك من بعد عن الله ليقربك.

لقد قال السيد المسيح لنا: "ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه" (متى 13:7 و14).

قليلون يجدون الطريق، والسيد المسيح هو الطريق الضيق الذي يريد أن يجعل إرادتك خاضعة لإرادة الله ومشيئتك طبق مشيئته.

الطريق إلى قلوب الناس:

المسيح طريقنا إلى الله، وهو أيضاً طريقنا إلى قلوب الناس. هل تريد أن تكون محبوباً؟ هل تحب أن تكون صديق الجميع؟ المسيح الذي هو الطريق يحقق لك هذه الرغبة، فإنك إذا عملت بوصاياه كما قالها لنا في الموعظة على الجبل ستكون محبوباً من الجميع وصديقاً للكل. ستكسب الكل إلى جانبك لأن شريعة المسيح هي شريعة المحبة والغفران والعطاء والتضحية من أجل الآخرين. عندما تسير في طريق المسيح يحبك الآخرون، فتستطيع أن تقودهم إلى محبته، ترد الضال وتقرِّب البعيد، إلى الله، وتصبح رابح النفوس الحكيم. إن المسيح هو الطريق إلى السعادة الحقيقية.

ندعوك أن تتعرف به فتجد سلامك مع الله وسلامك مع نفسك، وسلامك مع الآخرين، وبذلك يأتيك كل الخير.
هل وجدت الطريق إلى الله بالمسيح؟ لا يستطيع أحد أن يصل إلى الآب إلا بالمسيح، لأنه وحده قال إنه الطريق الحقيقي إلى الحياة. ندعوك لان تقبل المسيح في قلبك ليغفر ذنبك ويوصلك إلى الله وإلى السماء. فالمسيح هو السُّلم الذي رآه يعقوب في رؤياه، السلم الذي يصل الأرض بالسماء. لقد قال المسيح: "من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" نعم، فالمسيح هو الطريق الذي به نصعد إلى الله، والذي به تنزل إلينا بركات الله.

22- الحق

"أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا 6:14)

كلنا نسأل: من هو الحق؟ أين نجد الحق؟ والسيد المسيح يقول: "أنا هو الحق".

في سفر الملوك الأول الأصحاح العاشر نقرأ عن ملكة سبأ التي سمعت بخبر الملك سليمان، وعرفت بالمجد الذي أعطاه الله له، فسافرت إليه لتمتحنه بمسائل. وجاءت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً، بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة، ووجهت أسئلتها إلى الملك سليمان، وعندما أجابها سليمان عما سألت قالت له: "ليكن مباركاً الرب إلهك الذي سرَّ بك" (1ملوك 9:10).

كانت ملكة سبأ تملك الثروة والأطياب والسلطان، لكنها كانت تحتاج لأن تعرف الحق، فسافرت خمسة وعشرين ألف كيلومتر لتلتقي بالملك سليمان لتطلب الحق. ولذلك قال السيد المسيح يعنيها: "ملكة سبأ ستقوم في الدين مع رجال هذا الجيل وتدينهم لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان ههنا" (لوقا 31:11).

نقرأ في إنجيل يوحنا الأصحاح السادس أن المسيح أطعم خمسة آلاف جائع بخمس خبزات وسمكتين. ثم قال لمستمعيه: "من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت في وأنا فيه. من يأكلني فهو يحيا بي. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا" (يوحنا 54:6-58). وقال كثيرون من تلاميذ المسيح عندما سمعوا: "إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يفهمه؟". فقال لهم المسيح: "الروح هو الذي يحيي، أما الجسد فلا يفيد شيئا الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة، ولكن منكم قوم لا يؤمنون" (يوحنا 60:6-64). ثم التفت المسيح إلى تلاميذه وقال له: "ألعلكم أنتم تريدون ان تمضوا؟" فكان أن جاوب سمعان بطرس، نائباً عن بقية التلاميذ وقال: "يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي".

لقد أدرك بطرس أن المسيح هو الحق، وأن ما يقوله هو حق، ولذلك لم يجد طريقاً آخر يصل به إلى الله لينال الحياة إلا يسوع المسيح الذي هو الطريق والحق والحياة.

الحق هو الأصل:

المسيح هو الحق لأنه هو الأصل. في التوراة نرى الرمز، أما المسيح فهو تحقيق الرموز. نقرأ في التوراة عن فريضة الفصح، إذ أمر الله بني إسرائيل أن يحتفلوا سنوياً بأكل حمل عمره سنة، في عيد الفصح، تذكاراً لنجاتهم من سوء العذاب الذي قاسوه في مصر. ويقول الإنجيل لنا إن المسيح فصحنا ذبح لأجلنا، فهو الذي حررنا من خطيتنا (1كورنثوس 7:5). وفي التوراة نقرأ عن ا لصخرة التي ضربها موسى فأخرجت ماءً روى الشعب العطشان في الصحراء ويقول لنا الإنجيل إن تلك الصخرة كانت تشير إلى المسيح، يقول: "كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (1كورنثوس 4:10). لا عجب أن المسيح يقول لنا إنه هو الحق الذي أشار إليه كل رمز في التوراة. كل ما سبقه ظل أما هو فإنه الأصل.

ولقد أشار كهنوت العهد القديم إلى المسيح، فهو الكاهن الأعظم الذي رمز إليه هارون ونسله. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "وخلاصة القول في هذا الموضوع إن المسيح هو كاهننا الأعظم، الذي وصفنا كهنوته هنا. إنه الآن جالس في السماء على يمين عرش الله العظيم، وهو يقوم بمهمته هناك في أقدس مكان، في خيمة العبادة الحقيقية التي نصبها الرب لا الإنسان. فمهمة كل كاهن أعلى هي أن يقرِّب لله التقدمات والذبائح، وعليه فمن الضروري أن يكون لكاهننا الأعلى المسيح ما يقدمه. فلو أن المسيح كان على هذه الأرض لما كانت

الشريعة تسمح له بأن يكون كاهناً، إذ تحصر الشريعة وظيفة الكاهن في واحد يحق لنسله أن يقربوا التقدمات. وهؤلاء يقومون بخدمة ما يشكل رمزاً وظلاً للأمور التي في السماء. وهذا واضح من قول الله لموسى قبل أن يصنع خيمة العبادة إذ أوحى إليه قائلاً: انتبه! عليك أن تصنع الخيمة وما فيها وفقاً للمثال الذي أظهرته لك على الجبل. فكاهننا الأعلى إذاً قد حصل على وظيفة أفضل من وظيفة الكهنوت الأرضي، لأنه الوسيط الذي أعلن لنا قيام عهد جديد، أفضل من العهد السابق، ولأن هذا العهد الجديد ينطوي على وعود أفضل" (عبرانيين 8:1-6) (ترجمة كتاب الحياة).

الحق الذي يحرر:

ما أكثر الأوهام التي تستعبدنا. أما السيد المسيح فهو الحق الذي يحررنا من الخوف. ما عدنا نخاف من الله، لأن المسيح علَّمنا أن الله معنا. لم يعد الله بعيداً عنا لا نستطيع أن نصل إليه، لأن الله اقترب إلينا في المسيح، يمدُّ يده إلينا لأنه يريد أن يخلصنا من بُعدنا عنه. تتساءل: هل الله يحبُني؟ ويجيبك المسيح بالحق يحررك من الخوف: "نعم يُحبك الله، لأنه الآب الذي أنعم عليك بالتبني. وتسأل: هل سيغفر الله لي؟ ويؤكد لك المسيح الحق الذي هو: الله يغفر لك فعلاً، بدليل الفداء الذي دبره لك: لا تخف، أنك ابنٌ، والابن وارثٌ للبيت إلى الأبد. وتسأل: من هو الله؟ فيجيبك من رآني فقد رأى الآب.

يأسر المسيح القلب بحبه، والعقل بكماله، فتسلِّم له إرادتك، عندها يعمل الله فيك. مرة قال رجل أبرص للمسيح: "إن أردت تقدر أن تطهرني؟" (مرقس 40:1). كان واثقاً من قدرة المسيح، لكن ليس من محبته، فتحنن المسيح على الأبرص ولمسه. لم يكن مفروضاً أن المسيح يلمس الأبرص - لكنه لمسه، وقال له: أريد فأطهر" ونال الأبرص الشفاء، لأن المسيح في حبه أظهر له أن الله يحبه ويعتني به ويريد أن يشفيه.

إن السيد المسيح هو الحق الذي يحررنا من جهلنا بطبيعة الله، لأنه يعلن لنا الله في كمال قوته وكمال محبته وكمال طهارته، وكمال حكمته.

الحق محل الثقة:

إنه الحق بمعنى أنه محل الثقة. يمكن أن تضع ثقتك في المسيح وهو لا يمكن أن يخذلك. يقول عنه الإنجيل المقدس: "إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه" إن رداءتنا لا تجعله يغير صلاحه معنا. إن حبه باق دائماً، تستطيع دوماً أن تستند إليه في غير خوف، وأن تعتمد على كلمته في غير تردد.

نقرأ في الإنجيل المقدس أنه وقت إلقاء القبض على السيد المسيح كان يعلم أن تلاميذه سيتركونه ويهبون، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما سيأتي عليه، وقال للذين جاءوا يلقون القبض عليه: "من تطلبون؟" أجابوه: "يسوع الناصري". قال لهم: "أنا هو"وكان يهوذا مسلمه واقفاً معهم. فلما قال المسيح: "إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، ذلك أن للقداسة سلطاناً عظيماً. فعاد يسألهم: "من تطلبون؟" قالوا: "يسوع الناصري". أجاب: :لقد قلت لكم إني أنا هو. فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون". ويعلق يوحنا البشير على ذلك بقوله: "ليتمَّ القول الذي قاله: عن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحداً". نعم، وعد أن لا يهلك أحد من الذين أعطاهم الآب له، فكان أن حماهم من الذين جاءوا يلقون القبض عليه. (يوحنا 18:4-9).

المسيح هو الصديق المخلص دائماً، ويقول لك: "اتكل عليّ ولن تخزى أبداً"

الحق الذي يغير الحياة:

ليس الحق الذي أعلنه المسيح حقائق للعقل فقط، لكنه حق يغير القلب والتصرف والحياة،فكل من يعرف الحق الذي أعلنه المسيح يتحرر من الخطية ومن الجهل ومن الفساد. فالمسيح الذي هو الحق، نموذج الصلاح ومثاله، فالحق الذي أعلنه المسيح لنا ينير القلب والحياة والإرادة والعواطف ويغير الإنسان كله. وكل من يفعل

الحق يُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة، لأنه إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق.

لقد قال المسيح الحق وعلم الحق وعمل الحق. الذي يسمع كلامه يسمع الحق، والذي يرى أعماله يرى الحق، ونحن الذين قبلنا المسيح يجب أن نعمل الحق كله، لا يكفي أن نؤمن به بعقولنا بل يجب أن نحيا به وفيه ومعه. الذي يعلمنا العلوم لا تهمنا حياته ولا تصرفاته، لكن الذي يعلمنا الأخلاق يجب أن تتفق كلماته مع أعماله. والسيد المسيح هو الحق، ونموذج الصلاح، وهو القدوة.

تقول إنك مؤمن تعرف المسيح الذي هو الحق – هذا شيء عظيم – لكن السؤال الذي نوجهه إليك هو: هل تعمل الحق؟ هل تحيا الحق؟ المسيح الحق للحياة والعمل والتصرف. فإذا فتحت قلبك للمسيح ليدخله فإنه سيسيطر على حياتك ويملأها بالغنى وبالرضا وبالخير.

23- الحياة

"أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا 6:14)

أنا هو الحياة، هذا قول صادق، ظهر صدقه عملياً عندما أقام السيد المسيح لعازر من بين الأموات، كما أقام غيره. وظهر صدق هذا الكلام عندما قام هو من بين الأموات ناقضاً أوجاع الموت، ظافراً على القبر، حتى يقول كل واحد من المؤمنين به: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟" (1كورنثوس 55:15). ويظهر صدق قول المسيح إنه الحياة كل يوم في الذين يحييهم، لأنه يقيم موتى الذنوب والخطايا ويعطيهم حياة جديدة. يقيمهم إلى حياة أبدية.

قال السيد المسيح: "أنا هو الطريق والحق والحياة". إنه هو الحياة فعلاً، المسيح يعطي الحياة، والمسيح يضمن الحياة، والمسيح غاية الحياة.

المسيح يعطي الحياة:

هذا ما يوضحه مطلع إنجيل يوحنا: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس".

المسيح هو الحياة الذي يقول عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "إن الله به خلق الكون كله، فالمسيح هو التعبير المتألق عن مجد الله، والصورة المطابقة لجوهر الله، وكلمة قدرته، يحفظ كل ما يدور في الكون، وهو بعد ما طهرنا من خطايانا جلس في الأعالي على يمين الله العظيم، وهكذا أظهر أنه أعظم من الملائكة بما أن الاسم الذي ورثه متفوق على أسماء الملائكة جميعاً" (عبرانيين 2:1-4) (ترجمة كتاب الحياة). ويقول عنه رسول المسيحية بولس: "فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى. الكل به و له قد خلق" (كولوسي 16:1).

التقى صديقان فقال أوهما لصديقه: "الحياة رائعة حقاً، ها أنا أحرك يديّ وأجري بقدمي. هذا أفضل من ان يكون جزء مني حياً وجزء آخر ميتاً؟" فأجابه: "كان جسدي حياً لكن روحي كانت ميتة، والله بعث الحياة في روحي" فسأله صديقه: "وكيف كانت روحك ميتة؟" أجاب: "اكتشفت أن روحي كانت ميتة عندما قرأت الإنجيل المقدس ووجدت القول: "وأنتم كنتم في السابق أمواتاً بذنوبكم وخطاياكم التي كنتم تسلكون فيها حسب مسرى هذا العالم، تابعين رئيس قوات الهواء، ذلك الروح العامل الآن في أبناء العصيان، الذين بينهم نحن أيضاً كنا نسلك سابقاً في شهوات جسدنا عاملين ما يريده الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أولاد الغضب كالآخرين أيضاً. أما الله وهو غني في الرحمة، فبسبب محبته العظيمة التي أحبنا بها، وإذ كنا نحن أيضاً أمواتاً بالذنوب، أحيانا مع المسيح. إنما بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في الأماكن السماوية في المسيح يسوع، وذلك لكي يعرض في العصور القادمة غنى نعمته الفائق في لطفه علينا في المسيح يسوع. فإنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وهذا ليس منكم. إنه هبة من الله، لا على أساس الأعمال حتى لا يفتخر أحد. فإننا نحن عمل الله، ولقد خلقنا في المسيح يسوع لأعمال صالحة أعدَّها سلفاً لنسلك فيها" (أفسس 1:2-10) (ترجمة كتاب الحياة) ثم قال الصديق لصديقه: "لقد اكتشفت فعلاً أنني كنت ميتاً بخطاياي، ولكن المسيح بعث فيّ الحياة".

عزيزي القارئ، نتذكر كلنا القصة التي قالها السيد المسيح عن الابن الذي ظلَّ بعيداً عن أبيه. وبعد أن اكتشف أن حياته بعيداً عن بيت أبه هوان وموت، رجع إلى الآب مرة أخرى ليعتذر. فقال عنه أبوه: "ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد" (لوقا 32:15) فالأب يربط بين الضلال والموت وبين العودة والحياة.

إن كنت بعيداً فأنت ميت بالذنوب والخطايا. ولكن عندما ترجع إلى الله تكتشف أنك وجدت الحياة الحقيقية فلاً. أدعوك لأن تفتح قلبك للمسيح لتجد الحياة.

المسيح يضمن الحياة:

نقرأ في سفر الرؤيا ترتيلة سبَّح بها الناس الله قائلين: "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأن خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخلقت" (11:4). كل شيء خلق به وكل شيء كائن مستمر به. لقد خلق الله الكون ولا زال يعتني به. والمسيح الذي يعطي الحياة الجديدة، يضمن باستمرار هذه الحياة الجديدة.

ليس البدء في الحياة الروحية هو الأهم. إن البدء مهم، لكن الاستمرار هو الأهم. إن نهر النيل العظيم لا يتوقف عن الجريان لان موارده غنية. هكذا حياتنا الإيمانية في شخص المسيح لا تتوقف عن الجريان والتقدم والاستمرار، لأن موارد المسيح الغنية تضمن لنا الاستمرار. يدخل المسيح حياتك ضيفاً، ثم يحتل المكان كله ويصير صاحب البيت، ضامن الحياة، الذي يعطيك القوة التي تجعلك تستمر. هل أنت متردد في أن تتوب لئلا تتوقف في الطريق ولا تستمر في حياة التقوى؟ أدعوك لأن تفتح قلبك للسيد المسيح، الذي يعطيك حياة جديدة، ويضمن لك استمرارها. ما أجمل ما قال نبي الله إرميا في التوراة: "مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب متكله، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمد أصولها ولا ترى إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار" (إرميا 7:17 و8).

غاية الحياة:

المسيح ينشئ الحياة فينا ويضمنها لنا. نحن به نحيا ونتحرك ونوجد، وهو غايتنا في الحياة. قال الرسول بولس: "لي الحياة هي المسيح" (فيلبي 21:1). وقال أيضاً "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في" (غلاطية 20:2) فنحن بعد ما قبلنا المسيح في قلوبنا أنشأ الحياة فينا ويضمنها لنا، فنحيا له ونحيا من أجله. مكتوب عن السيد المسيح في الإنجيل: منه وبه وله كل الأشياء". وهو الذي يستحق أن نخاطر بحياتنا من أجله، فنحيا للرب إن كنا نحيا، ونموت للرب عندما نموت. إن عشنا وإن متنا فللرب نحن. نعم من أجل المسيح نعيش ومن أجل خدمته نحيا. لقد قال لنا السيد المسيح : "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها و لكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" (يوحنا 24:12). هذا ما قاله السيد المسيح، ثم يقول: "من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في العالم يحفظها إلى حياة أبدية" (يوحنا 25:12). وهذا معناه أن المسيح غاية حياتنا، نخاطر من اجله وفي سبيل خدمته، ونتعب في تحقيق مشيئته. فإن كنا نفرح فإننا نفرح فيه، وإن كنا نتألم فإننا نتألم من أجل خدمته وعمل إرادته.

هل المسيح غاية حياتك؟ هل تستطيع أن تقول ما قاله رسول المسيحية بولس: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في؟" إن المسيح منشئ الحياة، وضامن الحياة، وغاية الحياة. ونحن ندعوك لأن تجد في المسيح الحياة الأبدية والحياة الأفضل. الذي نال الحياة الجديدة في المسيح يحيا للمسيح. فقد قال رسول المسيحية بولس: "لأن ليس أحد منا يعيش لذاته، ولا أحد يموت لذاته، لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن. لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش: لكي يسود على الأحياء والأموات". ثم يقول الرسول بولس: "لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا. وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام" (2كورنثوس 14:5 و15).

وأختم هذا التأمل بملاحظتين:

الملاحظة الأولى: "نعلم أننا نحن من الله، والعالم كله قد وضع في الشرير" فالعالم الذي نحيا فيه، عالم ملوَّث، ويجب أن نحافظ على أنفسنا غير ملوثين. حافظ على الثوب الأبيض الذي أعطاه المسيح لك. حافظ عليه دائم البياض. أيها المؤمنون تنبهوا واستيقظوا واحفظوا أنفسكم طاهرين.

وهناك ملاحظة ثانية: وصل رسالة محبة الله للعالم الذي وُضع في الشرير، فالله قد أعطاك الحياة لكي تُبلغ غيرك كي ينالون هذه الحياة. العالم وُضع في الشرير بمعنى أنه ارتمى في أحضان إبليس الخاطئ. وأنت مطالب أن توصل رسالة التحرير والخلاص للعالم الميت بالذنوب والخطايا. عليك أن تفتقد الجيران وأفراد عائلتك. إنهم يحتاجون إلى خلاص الرب. أحبَّهم ، صلِّ من أجلهم، واطلب من الله أن يعطيهم الحياة الجديدة. لا تنس حقيقة أكيدة هي "أننا نعلم أننا نحن من الله، والعالم كلَّه قد وضع في الشرير" (1يوحنا 19:5).

24- المحرِّر

"وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا 32:8)

قال السيد المسيح: "وتعرفون الحق، والحق يحرركم" وقال أيضاً: "الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" ثم قال: "فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يوحنا 8:34-36).

تعرفون الحق والحق يحرركم. لو أنه لم يُحفظ لنا من كلام السيد المسيح غير هذه الآية، لعرفنا طبيعة رسالة المسيح الإلهية، ولعرفنا وسيلة تحقيق هدف رسالته. فرسالته الإلهية طبيعتها أن يحررنا، ووسيلة ذلك التحرير هي معرفة الحق.

لاحظ معي عظمة الهدف الذي من أجله جاء المسيح محرراً للناس. لقد رأى الناس من حوله عبيداً. الإنسان يستعبد الإنسان ، والجنس يستعبد الجنس. كان مواطنو المسيح عبيداً للسادة من رجال الدين اليهود، يأمرونهم وينهونهم ويضعون عليهم أعباء لم ترد مطلقاً في شريعة موسى، لكن أضافوا من عندياتهم. نعم، كان الناس من حول المسيح عبيداً لرجال الدين، الذين يضيفون عليهم أعباء لم ترد في شريعة الله. ورأى السيد المسيح مواطنيه عبيداً للولاة والحكام من رجال السياسة الرومان. ورأى المسيح رجال الدين من مواطنيه عبيداً لرجال السياسة، رغم أنهم يقولون بكبرياء: "نحن نسل إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط" (يوحنا 33:8). أما السادة من رجال الدين ومن رجال السياسة فكانوا عبيد شهواتهم وخطاياهم، ولذلك أعلن المسيح للجميع أنه جاء محرراً.

ليس بالعنف:

قال السيد المسيح: "وتعرفون الحق والحق يحرركم". جاء المسيح بهدف تحرير الناس، ولكنه لم يستخدم القوة والعنف وسيلة لتحقيق هدفه. لقد استخدم كثيرون من لقادة القوة ليحرروا شعوبهم، فصاروا أبطالاً نحترمهم ونقدرهم. ولكل وطن من الأوطان أبطاله المجاهدون. ولكن المسيح لم يستعمل العنف والقوة لتحرير البشر. كان يقدر أن يستخدم القوة، لأنه صانع معجزات. تأمل سلطانه على الطبيعة.. سلطانه على المرض.. سلطانه على الأرواح الشريرة.. سلطانه على الموت. كان ممكن أن المسيح يستدعي اثني عشر جيشاً من الملائكة لينقذوا ما يصدره إليهم من أوامر، ولكنه لم يفعل ذلك. وكان يمكن أن المسيح يستخدم الذين أطعمهم، فهتفوا له قائلين: "أوصنا، مبارك الملك الآتي باسم الرب" (متى 9:21). فقد كان هؤلاء جميعاً مستعدين أن يحملوا السيوف ليناصروه لكنه لم يفعل ذلك.

هل تدرك لماذا لم يستخدم المسيح القوة وسيلة لتحقيق أهدافه؟؟ لو أنه استخدم القوة لنالت دولة واحدة حريتها، ولنالت تلك الدولة الواحدة حرية سياسية أو اقتصادية فقط، ولم يكن هذا كل ما يريد المسيح أن يحققه، ولذلك فإن المسيح لم يحاول أن يحرر شعبه بالقوة.

ليس بالشريعة:

لم يستخدم المسيح القوة لتحرير الناس، ولم يستخدم سنَّ القوانين والشرائع لتحرير الناس. لقد جاء موسى بالشريعة والقوانين. ويقول الإنجيل: "لأن الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يوحنا 17:1). ويقول لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين في الإنجيل إن شريعة موسى كلها كانت تدور حول نظام الكهنوت، الذي قام بنو لاوي بتأدية واجباته. إلا أن هذا النظام لم يوصل إلى الكمال أولئك الذين كانوا يعبدون الله على أساسه. لم توصلهم الشريعة إلى الكمال. وهكذا يتبين أن نظام الكهنوت القديم قد أُلغي لأنه عاجز وغير نافع. فالشريعة لم توصل الذين كانوا يعبدون الله بحسبها، ولو إلى أدنى درجات الكمال. ولذلك وضع أساساً جديداً للاقتراب إليه. مقدماً لنا رجاءً أفضل، بتعيين المسيح كاهناً أعلى.

لم يسُنَّ المسيح قوانين ليحرر الناس بها. ونحن نتساءل: لماذا لم يسنَّ المسيح قوانين ليحرر الناس؟ الإجابة هي: "مع أن توقيع الحاكم على وثيقة يستغرق لحظات، إلا أن البشر يحتاجون إلى أجيال ليستفيدوا من تنفيذ روح الوثيقة. مثلاً: يوقع حاكم وثيقة فيصير عبيد الأرض أحراراً، ولكن المتحررين الجدد قد يخرجون من حرية العمل في الأرض إلى عبودية الكسل ونقص الإنتاج. وقد ينتقلون من عبودية سيد إلى عبودية سيد أقسى، وقد يتحولون إلى عبيد للنزاع والحرب، فينتقلون ليحاربوا تحت راية جديدة. إن القتلة هم هم، لم يتغيروا في داخلهم إلى محبي سلام، لكنهم فقط غيروا انتماءهم في القتال.

مشكلة الإنسان لا تحلها القوانين. القانون يقدر أن يدين ويطالب بالعقاب. لكنه لا يستطيع أن يغير ما بداخل الإنسان. جاء المسيح محرراً للبشر، لا بالقوة والعنف، ولا بسن القوانين، ولا بالتحديث والحضارة، لكنه جاء ليحرر الناس بمعرفة الحق عنه. والمسيح هو الطريق والحق والحياة.

ليس بالحضارة:

لم يستخدم المسيح القوة أسلوباً للتحرير، ولم يستخدم سنَّ القوانين وسيلة للتحرير، كما أنه لم تكن وسيلته لتحرير الناس التحديث بالحضارة. لقد رأينا المدنيَّة والحضارة عبر التاريخ تنقل الإنسان من عبودية إلى عبودية أخرى. فالآلة اليوم تحدد لنا الكثير، حتى أننا رأينا الآلة التي قتلت صانعها أو صاحبها. والغنى الذي يملأ بيته بالكماليات يكتشف أنه عاجز أن يستغني عنها. لقد اشترى الكماليات بماله، وإذا بها تشتريه بتعوُّده عليها. كلما زادت الحضارة، صار الإنسان عبداً لآداب الملبس والطعام. وكلما زاد العلم زاد التطوير لأسلحة الحرب.

كان يمكن أن يحرر المسيح الناس بالقوة، فقد كان قوياً. وكان يمكن أن يحرر الناس بسن القوانين وهو المشرِّع. وكان يمكن أن يحرر الناس بالتحديث بالحضارة، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك. لقد جاء المسيح المحرر، ليحرر الناس بمعرفة الحق.

تحرير بتغيير الحياة:

لقد جاء المسيح ليحرر الإنسان من الداخل ليصير الخارج حراً. لم تكن الحرية التي تكلم المسيح عنها حرية سياسية من نير الرومان، لكنها كانت حرية من عبودية الخطية والفساد والشهوات. لقد أدرك سامعو المسيح من رجال الدين ذلك، فقالوا له إنهم لم يُستعبدوا لأحد قط. ولكنهم ظنوا أن طريقهم للحرية هو انتماؤهم لإبراهيم خليل الله أب المؤمنين، وإذا بالمسيح يوضح لهم أن الذي يحررهم ليس هو انتماءهم لإبراهيم، لكن الذي يحررهم هو معرفة خلاصه. والخلاص الذي جاءنا به هو الخبر المفرح بالإنجيل المقدس. هذه هي معرفة الحق التي تحررنا. إن المسيح يحررنا بخبر مفرح جاء إلينا من السماء، وقال: "الذي من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله".

جاء المسيح لنا ليحررنا بمعرفة الحق عنه، وهو يدعوك أن تعرف حقه وتدرك خلاصه لتجد حريتك من عبودية الخطية والفساد والشهوة، فإن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً".

تحدث المسيح عن أن غريباً قد استعبدنا، قال: "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالا للناس من البدء و لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب" (يوحنا 8:44).

يفتح المسيح عيوننا على إبليس، الغريب الذي استعبدنا، ويعلن لنا طريق الخلاص منه. يقول الرسول بولس إن إبليس اقتنص الناس لإرادته. في داخلنا شر. نقرأ في نبوة حزقيال الأصحاح الثامن أن الله أمر النبي أن

يُحدث ثقباً في حائط. ومن ذلك الثقب الذي كسره في الحائط رأى غرفة داخلية عُلقت على حوائطها أصنام، ووقف أمامها الكهنة وقادة إسرائيل يبخرون لها، وقد أداروا ظهورهم لعبادة الرب.

ألا ترى أن في قلوبنا غرفاً مثل هذه الغرفة، وقد عُلقت عليها الأصنام التي نتعبد لها. فنحن نتعبد للشهوة أو المال أو حب العظمة أو العلوم، وندير ظهورنا لله. نعم، إن غريباً قد استعبدنا وسيطر علينا، ولكن المسيح يجيء إلينا بحقه ليقول لنا: "وتعرفون الحق والحق يحرركم". هذا ينقذنا من خطيتنا وأنه قد دبر لنا وسيلة الخلاص، في الكفارة التي أعدَّها المسيح لنا على صليبه، وهو يدعونا أن نفتح قلوبنا للسيد المسيح المخلص العظيم الذي جاء ليحررنا من عبودية إبليس.

هناك تحرير من عبودية الخطية عندما نفتح قلوبنا لنقبل كلمة حق الإنجيل. أدعوك أن تتعرف على المسيح التعرُّف الخلاصي الذي يهبك الحرية من عبودية الخطية.

25- الكرمة

"أنا الكرمة الحقيقية" (يوحنا 1:15)

قال لنا السيد المسيح: "أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام". ثم قال: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت في وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. إن ثبتُّم فيَّ وثبت كلامي فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم".

ألقى السيد المسيح هذه الكلمات وهو جالس مع تلاميذه في علية أورشليم ليلة الخميس الذي سبق جُمعة الصليب. تُرى ما الذي جعل السيد المسيح يقول هذا؟

هل رأى من نافذة العلية التي كان جالساً فيها مع تلاميذه كرمة نامية على الطريق، فدعا تلاميذه للثبوت فيه، كما يثبت الغصن في الكرمة، فتسري عصارة الكرمة إليه فيرتوي؟

أو هل كان المسيح يحادث تلاميذه وهو ينظر من بعيد إلى باب الهيكل، يرى عليه رسم الكرمة، فقال لتلاميذه: "أنا الكرمة الحقيقية" بمعنى: "إنني أنا الشخص الذي انتظرتموه مخلصاً وقد جئت إليكم؟.

أم ترى هل كان المسيح وهو يمسك العشاء الرباني يقول لتلاميذه إنه هو الذي سيُعصر على الصليب من أجل خلاصهم، إذ يُسفك دمه هو بدلاً عنهم فيعطيهم الحياة؟.

لعل هذه المعاني الثلاثة كانت موجودة في فكر المسيح وهو يقول: "أنا الكرمة الحقيقية" نعم إنه الأصل الذي فيه يجب أن يثبت المؤمنون ليجدوا حياتهم الأبدية. وهو الذي انتظره رجال الله ليأتي مخلصاً، وهو الذي قدَّم ذاته من أجلنا على الصليب ليوجد خلاص نفوسنا. أنا الكرمة الحقيقية .. ما أجمل هذا اللقب الذي أطلقه السيد المسيح على نفسه.

الكرمة الحقيقية:

كان أنبياء العهد القديم يشيرون إلى بني إسرائيل باعتبار أنهم كرمة الله. فيقول رجل الله آساف في المزمور 80 يخاطب الله: "كرمة من مصر نقلت. طردت أمماً وغرستها. هيأت قدامها فأصلت أصولها فملأت الأرض. يا إله الجنود أطلَّع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة، والغرس الذي غرسته يمينك". ويقول نبي الله إشعياء: "في ذلك اليوم غنوا للكرمة المُشتهاة. أنا الرب حارسها، أسقيها كل لحظة. لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً ونهاراً" (إشعياء 2:27 و3). ولكن هذه الكرمة لم تصنع ثمراً جيداً فكان حكم الله على هذه الكرمة أن ينزع سياجها فيصير للرعي، ويهدم جدرانها فيصير للدوس، ويجعلها خراباً لا يمطر الغيم عليها مطراً. ويقول النبي إشعياء إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل، فانتظر حقاً وإذا سفك دم، وانتظر عدلاً وإذا صراخ وظلم.

إذاً لم يكن بنو إسرائيل كرمة الله الحقيقية، لأنها صنعت عنباً ردِيئاً. فجاء المسيح، الكرمة الحقيقية، الذي بذل نفسه عن البشر، وتحقق فيه المثل الذي قاله هو عن نفسه: "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" (يوحنا 24:12). لقد أعطى السيد المسيح الثمر العظيم، في الذين أحبهم من البشر، وفي الخطاة الذين ردَّهم إلى الطريق السليم. تأمل كيف خلص امرأة ساقطة، هل\ي المرأة السامرية وجعلها كارزة بحق رسالته المفرحة. تأمل كيف غيَّر زكا العشار الظالم، فأخذ يعطي الفقراء بعد أن كان يسلبهم!

المسيح المتواضع:

كانت شجرة الكرم في بعض الأحيان تنمو على الأرض وتزحف عليها وتعطي ثمراً. وكلمة "متواضع" معناها يزحف على الأرض، أو كما نقول بلغتنا العامية: نفسه في التراب. وقد قال السيد المسيح عن نفسه إنه وديع ومتواضع القلب. وفي تواضعه نراه يغسل أرجل تلاميذه، فيقول الإنجيل عنه إنه "إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى، خلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها، ثم صبَّ ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل

التلاميذ و يمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها". فلما كان قد غسل أرجل تلاميذه سألهم: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" (يوحنا 13:1-15).

هذا هو المسيح الكرمة، المتواضع الذي وهو غني افتقر لأجلنا ليغني حياتنا.. وزهو يدعوك لأن تكون غصناً مثمراً فيه، تأتي بثمر كثير ويدوم ثمرك، وتحيا حياة التواضع وخدمة الآخرين.

فيه المؤمنون الحقيقيون:

قال المسيح: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" في هذه الكلمات المباركة يقول المسيح عن نفسه إنه الكرمة، وإن المؤمنين ثابتون فيه. وثبوت المؤمنين في المسيح يضمن لهم أن يأتوا بثمر، فإن من شجرة العنب تــسري العصارة، وفيها الحياة إلى كل الأغصان. وبفضل هذه العصارة يأتي الغصن بالثمر الكثير. بدون الثبوت في الكرمة لا حياة، وبدو المسيح لا حياة ولا ثمر،إن لم نضع ثقتنا فيه فإن الغصن لا يقدر ان يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة. ويقول المسيح: "كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ"

هذه حقيقة مذهلة تبارك حياتنا، وهي أن المسيح يقول لكل واحد منا: إنك يجب أن تثبت فيَّ. هناك واحدة بين المسيح وبين المؤمن به، يشبهها هنا بأنه الكرمة وأن المؤمن غصن فيها وهناك تشبيهات أخرى مختلفة في الإنجيل المقدس تكشف لنا مدى هذه العلاقة العميقة بين المؤمن وبين المسيح. فهناك التشبيه الذي يقول إننا أعضاء جسد، وإن المسيح هو الرأس، وإن الرأس هو الذي يوجه الجسد كله المكوَّن من أعضاء كثيرة. ويقول رسول المسيحية بولس: "فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد. هكذا نحن الكثيرين، جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر" (رومية 12:4 و5).

ويشبهنا الكتاب المقدس كجماعة مؤمنين بأننا أحجار في بناء، نقيم هيكلاً مقدساً للرب، فالمؤمنون أحجار مقدسة تكون مسكناً للمسيح. ويقول لنا رسول المسيحية بولس: "فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركبا معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح" (أفسس 2:19-22). إذاً نحن كمؤمنين بالمسيح حجارة حية، نبني هيكلاً يسكن المسيح فيه.

وهناك تشبيه آخر جميل لهذه الوحدة بين المؤمنين وبين المسيح، هي انهم مرتبطون به برباط عميق هو رباط زواج مقدس. فيقول رسول المسيحية بولس: "فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة، لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" (أفسس 5:29). يا لهذه الأوصاف المذهلة الجميلة للوحدة التي بين المؤمنين وبين السيد المسيح، فعندما يقول المسيح لنا: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير" يؤكد لنا هذا الارتباط العميق بيننا وبينه.

يقول لنا السيد المسيح: ها أنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي" (رؤيا 3:20). إن المسيح يريد أن يدخل قلبك ليشبعك، لترتوي أنت بكل بركة يريد أن يمنحها لك. فإن فتحت قلبك له سيدخل قلبك ويغير حياتك، فتجد نفسك ثابتاً فيه ثبوت الغصن في الكرمة.

لا تقدر أن تكون مؤمناً نافعاً إلا إذا كنت ثابتاً بالسيد المسيح، تتبعه في محبة وطاعة، على أن تكون مستعداً أن تمشي كل الطريق معه. إن الثبوت في السيد المسيح معناه الاتحاد به، لتكون حياتك من حياته، باعتبار أنه الرأس وأنك عضو في جسده، وكما يكون الجيش متحداً بالقائد في الطاعة والثقة، هكذا يجب أن يثبت كل مؤمن

بالمسيح في شخص المسيح. هذا الثبوت يقول عنه رسول المسيحية بولس: "لي الحياة هي المسيح" (فيلبي 21:1). ويقول أيضاً: "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلاطية 20:2). وعندما نحيا في المسيح نجد الحياة، ونجد الثمر ونجد الطمان، كما تقول التوراة وهي تصف بني إسرائيل أيام نجاح مملكة سليمان: "كانوا في طمان كل واحد تحت كرمته" (1ملوك 25:4). نعم عند المسيح نجد الثمر، وتحت ظله نشتهي ان نجلس، لأنه ثمرته حلوة لنا، فهو الكرمة الحقيقية.

إننا لا نستطيع أن نفصل بين الكرمة وبين الأغصان. هي وحدة واحدة، والمسيح ينقي الغصن حتى يأتي بثمر أكثر.

قال جاستن مارتر: "تنمو الكرمة مهما قطعت فروعها، وتنمو الكنيسة مهما أصابها الاضطهاد". إن كل قوة ضد جسد المسيح، الذي هو جماعة المؤمنين، لا بد أن تفشل. لقد احتملت الكنيسة الاضطهاد والألم، وخرجت منه في كل مرة غالبة، لأن عصير الكرمة يسري في كل غصن من أغصانها.

هل أنت ثابت في المسيح؟ هل تسري عصارته في حياتك؟

الغصن غير المثمر يحرقونه:

الغصن الثابت في الكرمة يأتي بثمر..

والغصن الذي لا يثمر ينزعونه ويحرقونه.

قال المسيح: "كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه.. إن كان أحد لا يثبت فيَّ يطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق" (يوحنا 2:15 و6).

والمعروف أن غصن الكرمة اليابس لا فائدة فيه.. إنه لا يصلح لعمل محراث، ولا يصلح لعمل سقف. وظيفته الوحيدة أن يثبت في الكرمة ويثمر، فإذا لم يعمل وظيفته الوحيدة فإنهم ينزعونه، ويطرحونه في الخارج حتى يجف، ثم يجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق.

ويسأل النبي حزقيال عن غصن الكرم: "هل يؤخذ منه عود لاصطناع عمل ما؟ أو يأخذون منه وتداً ليعلق عليه إناء ماء؟ هوذا يطرح أكلاً للنار. هوذا حين كان صحيحاً لم يكن يصلح لعمل ما فكم بالحري لا يصلح بعد لعمل إذا أكلته النار فاحترق؟!" (حزقيال 3:15-5).

من هذا نرى أن كل عضو غير مثمر في كنيسة المسيح يستحق الحريق.

وهذا كلام خطير، يجعل كل عضو عاطل في الكنيسة يخاف. ماذا تعمل لخدمة المسيح؟ هل علمت جارك الذي لا يعرف القراءة والكتابة؟ هل اشتركت في تدريس الكتاب المقدس في الكنيسة؟ هل حاولت أن تساعد القسيس في أي خدمة؟ هل ربحت أهل بيتك للمسيح؟ هل تضحي من أجل جارك المحتاج؟

انتبه! كل غصن عاطل مصيره الحريق!

الكرمة تحتمل التنقية:

لا نستطيع أن نفصل بين الكرمة وبين الأغصان؟.. هي وحدة واحدة، والمسيح ينقي الغصن المثمر حتى يأتي بثمر أكثر..

وقد احتملت الكنيسة الاضطهاد والألم، وخرجت منه في كل مرة غالبة.. وصل الاضطهاد إلى قطع كل الأغصان تقريباً بالموت.. لكن الكرمة نمت وكبرت من جديد، لأن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة!

قال جستن مارتر: "تنمو الكرمة مهما قطعت فروعها، وتنمو الكنيسة مهما أصابها الاضطهاد!".

كل قوة ضد جسد المسيح، الذي هو الكنيسة، تفشل!

وما أجمل ما قال القديس باسيليوس: "الكرمة تمد ذراعيها على خشب كربال العنب، تحمل صورة المسيح وهو ممدود الذراعين على خشبة العار والهوان".

هو الكرمة الحقيقية!

26- الرب

"قال الرب لربي: اجلس عن يميني،
حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مزمور 1:110).

في أول عظة مسيحية أُلقيت بعد قيامة المسيح من بين الأموات بخمسين يوماً، وقف رسول المسيحية بطرس وسط اليهود، على بعد أمتار قليلة من قبر المسيح الفارغ الذي قام منه، وقال: "يسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذ ارتفع بيمين الله، واخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه. لأن داود لم يصعد إلى السماوات، وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أعمال2:34-36).

لقد أعلن بطرس في أول عظة مسيحية أن المسيح هو الرب. وقد سبق ذلك ما أ'لنه السيد المسيح لقادة اليهود من الفريسيين، عندما سألهم: "ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟" فأجابوه: "ابن داود". فعاد المسيح يسألهم: "فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟" فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة" (متى 22:41-45).

وفي هذا السؤال الذي وجهه المسيح لشيوخ اليهود كان يقتبس كلمات المزمور المئة والعاشر الذي يقول: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك".

وقد استخدم رسول المسيحية بولس لقب "الرب" عن المسيح مئة وثلاثين مرة، منها قوله "لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد، يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به" (1كورنثوس 6:8).

الرب هو المعلم:

لقب "الرب" هو اللقب الذي يطلقه التلميذ على معلمه، وهو اللقب الذي يطلقه الخادم على سيده، وهو اللقب الذي يطلقه المواطن على ملكه، وهو اللقب الذي يطلقه العابد على إلهه. ونحن تلاميذ المسيح، وهو ربنا بمعنى أنه معلمنا. ونحن خدام للمسيح وهو ربنا بمعنى أنه سيدنا. ونحن أعضاء ملكوت المسيح وهو ربنا بمعنى أنه ملكنا. ونحن عابدون للمسيح، فهو ربنا بمعنى أنه إلهنا. هذه هي المعاني الأربعة لكلمة "رب" وكلها تصدق على المسيح.

المسيح رب بمعنى انه معلم. ففي ذات يوم كان يوحنا المعمدان واقفاً مع اثنين من تلاميذه، عندما رأى المسيح ماشياً ، فأشار إليه وقال: "هوذا حمل الله" ، ولما سمع تلميذا يوحنا هذا القول ، تركا أستاذهما المعمدان وتبعا المسيح . فالتفت المسيح إليهما وسأل: "ماذا تطلبان؟" فقالا له: "ربي (الذي تفسيره يا معلم) أين تمكث؟" فأجابهما المسيح: "تعاليا وانظرا". فأتيا ونظرا أين كان يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم. أما هذان التلميذان اللذان أطلقا على المسيح لقب "ربي" فهما أندراوس ويوحنا، أطلقاه عليه بمعنى أنه معلمهما (يوحنا 1:35-42).

ونقرأ أن السيد المسيح زار بيت مرثا ومريم وأخيهما لعازر. وكانت مريم تجلس عند قدمي المسيح تسمع كلامه، بينما كانت مرثا مرتبكة في تجهيز الطعام، فجاءت مرثا إلى المسيح وقالت: "يا رب، أما تبالي أن أختي قد تركتني أخدم وحدي؟ قُل لها أن تعينني". فأجابها المسيح: "مرثا، أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لا ينزع منها". لقد جلست مريم عند قدمي المسيح تستوعب كلامه كمعلم يعلم تعاليم ملكوت الله، أما مرثا فقد نادته: يا رب، يا معلم (لوقا 10:38-42).

وعندما تحدث المسيح عن أنه خبز الحياة، وأن الذي يأكله يحيا به، لم يستطع السامعون أن يدركوا معنى هذا الكلام الروحي. فقال المسيح لهم: "الروح هو الذي يحي، أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" ولكنهم لم يستطيعوا أن يفهموا، حتى أن بعض المؤمنين بالمسيح بدأوا يرتدُّون عنه.فقال المسيح للاثني عشر تلميذاً: "فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي" (يوحنا 68:6).

في هذه الكلمات يوجه بطرس للسيد المسيح لقب ربي بمعنى أنه المعلم.

وعندما كسر المسيح وصية السبت اليهودي وشفى مرضى في يوم السبت، تذمَّر اليهود عليه. فقال لهم المسيح: "ابن الإنسان هو ربُّ السبت أيضاً" (مرقس 28:2) لأن تعليم المسيح السامي كان فوق الفروض والطقوس، فتعليمه روح وحياة. المسيح هو الرب بمعنى أنه المعلم الذي علَّمنا عن حب الله، والذي علمنا أن الله يفتش عن الخاطئ الضال الواحد حتى يجده.

الرب هو السيد:

لقب المسيح الرب، وهو اللقب الذي يطلقه الخادم على سيده. عندما ظهر السيد المسيح لشاول الطرسوسي في الطريق إلى دمشق، وأسقطه على الأرض بنور قوي، سأل شاول: "يا رب ماذا تريد أن أفعل؟" (أعمال 6:9). هو الرب السيد، الذي يأمر ونحن نطيع أمره. وعندما ذهبت مريم العذراء القديسة مريم لتزور أليصابات أم يوحنا المعمدان، وكانت العذراء وقتها حاملاً بالسيد المسيح، قالت أليصابات أم المعمدان "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ؟" (لوقا 43:1).

ولقد قدَّمت العذراء القديسة مريم نصيحة رائعة للخدم في قانا الجليل، عندما قالت لهم: "مهما قال لكم فافعلوه" يوحنا 5:2). ذلك أننا إن أطعناه يُشبع حياتنا بالرضا، ويملأ كل احتياجاتنا بالرضا، ويملأ كل احتياجاتنا بحسب غناه في المجد.

السيد المسيح لقبه رب لأنه السيد ونحن نخدمه. ونستطيع أن نخدمه بقدر ما يمنحنا روح الله من قوة. فليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس. ونحن ندعوك أن تقبل المسيح معلماً لك، وأن تقبله سيداً لحياتك لتطيعه، تستمع إلى ما يقول وتطيع ما يأمر به.

الرب هو الملك:

هذا اللقب كان يطلقه المواطن على ملكه. وكانت الامبراطورية الرومانية قد فرضت على كل مستعمراتها عبادة الإمبراطور الروماني، إلى جانب آلهة الوثن القَبَلية والمحلية. فكان لكل مواطن في الإمبراطورية الرومانية حقٌّ عبادة صنمه ووثنه، على أن يقدم الولاء والعبادة للقيصر الروماني، ولذلك كان لقب القيصر "الرب". ورفض المسيحيون أن يقدموا العبادة للقيصر، لأنهم لا يعبدون إلا رباً واحداً، ولا يقبلون إلا ملكاً واحداً، الذي قيل عنه في الإنجيل المقدس إنه "ملك الملوك ورب الأرباب" السيد المسيح، فأوقع الرومان الاضطهاد بالمسيحيين بسبب إيمانهم أن هناك رباً واحداً لا غيره يستحق السجود والعبادة. ولقد صدق ظن المسيحيين في أن الملك الوحيد هو السيد المسيح، فقد زالت دولة الرومان وانتهت، وبدأ ملكوت الله بقيادة السيد المسيح حياً فعالاً في أرضنا. ونقرأ في سفر الرؤيا خبر حرب قام بها ملوك العالم ضد المسيحيين، ويصف حالة المسيحيين بقوله إن الإمبراطورية الرومانية صارت سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء المسيح.ثم يمضي فيقول إن ملوك الأرض سيحاربون الحمل، والحمل يغلبهم، لأنه رب الأرباب وملك الملوك، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون (رؤيا 14:17). لقد حاربت قوات روما الكنيسة، ولكن المسيح نصر الكنيسة فغلبت أعداءها. ويقدم لنا الأصحاح التاسع عشر من سفر الرؤيا صورة لهذا الانتصار فيقول: "ثم رأيت السماء

مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله. والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً، ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك و رب الأرباب" (رؤيا 19:11-16).

المسيح ملك، ونحن نلقبه الرب لأنه ملك ملكوت السماوات، الذي نقدم له كل فروض التكريم لأنه ملكنا.

الرب هو الله:

قال رسول المسيحية بولس: "الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نكرز بها. لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك إن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص.لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى" (رومية 10:8-11).

ويحكي لنا الإنجيل المقدس أنه بعد قيامة المسيح من بين الأموات بثمانية أيام، كان تلاميذه موجودين معاً، ومعهم توما. فجاء المسيح والأبواب مغلَّقة، ووقف في الوسط وقال: "سلام لكم". ثم قال لتلميذه توما: "هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا". فقال توما للمسيح: "ربي وإلهي" (يوحنا 28:20). فأجابه المسيح: "لأنك رأيتني يا توما آمنت؟ طوبى للذين آمنوا ولم يروا". لقد كانت رؤية المسيح المنتصر على الموت، والذي قام ووهب تلاميذه السلام، دافعاً لتوما أن يطلق لقب الرب على المسيح، لأنه الإله الذي يعبده.

ويحدثنا الإنجيل المقدس عن يوم عظيم قادم، فيه نرى المسيح الذي رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي 11:2). فهذا الذي به كل شيء كان، وبغيره لم يكن شيئاً مما كان، منه وبه وله كل الأشياء، وسوف تجثو لاسمه كل ركبة.

أدعوك أن تتعرف على السيد المسيح الرب، الذي هو المعلم العظيم، والسيد العظيم، والملك العظيم، والإله العظيم، فتجد لنفسك عنده أعظم تعليم، وأعظم رعاية، وأعظم هُدى، وأعظم أبدية.

27- رئيس الرعاة

"ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون
إكليل المجد الذي لا يبلى" (1بطرس 4:5).

المسيح رئيس الرعاة، أما الرعاة فهم قسوس الكنائس الذين يرعون رعية الله. كان المسيح قد قال لبطرس ثلاث مرات: "ارع غنمي.. ارع خرافي.. ارع غنمي" (يوحنا 21) واستدعى الرسول بولس قسوس كنيسة أفسس وقال لهم: "احترزوا إذاً لأنفسكم، ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أعمال 28:20). ومعنى قول السيد المسيح لبطرس "ارع غنمي" أن يقوم بطرس برعاية قطيع المسيح، فيرعى الناس بتعليمه ويشرف على حياتهم الروحية، ويعتني بهم بنشاط. فإن قام قسوس الكنائس برعاية الكنيسة بالروح المسيحية التي يطلبها الإنجيل منهم، يعطيهم رئيس الرعاة العظيم إكليل المجد الذي لا يفنى عند مجيئه ثانية، كما قال الرسول بطرس في الرسالة الأولى من الإنجيل المقدس والأصحاح الخامس: "هذه وصيتي إلى الشيوخ الذين بينكم بصفتي شيخاً رفيقاً لهم، وشاهداً لآلام المسيح، وشريكاً في المجد الذي سيظهر. ارعوا قطيع الله الذي بينكم كحراس له، لا بدافع الواجب بل بدافع التطوُّع ، كما يريد الله، ولا رغبة في الربح الدنيء بل رغبة في الخدمة بنشاط" ثم مضى ليقول: "لا تتسلطوا على القطيع الذي وضعه الله أمانة بين أيديكم، بل كونوا قدوة لهم. وعندما يظهر رئي الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى".

الرئيس هو القدوة:

لُقِّب المسيح بأنه رئيس الرعاة، لأنه رئيس وقائد ونموذج لكل القسوس الذين وكل إليهم الاعتناء برعيته على الأرض. ونحن نعلم أن الله وكَّل كلُّ مسئول أن يرعى العمل الذي يقوم به، فالأب راع لبيته، وصاحب العمل راع لموظفيه، والحاكم مسئول عن رعيته. والمسيح رئيس الرعاة، بمعنى أنه خير نموذج لكل من يحب أن يتعلم منه، ويسير في مثاله. لقد كان رفيقاً بالرعية، وضرب لنا مثل الراعي الصالح الذي ترك التسعة والتسعين في الحظيرة وخرج يفتش عن خروف واحد ضال إلى أن وجده، لأنه كان يهتم بالواحد كما يهتم بالمئة. وعلى كل المسئولين والرعاة أن يخدموا تحت إرشاد المسيح الحكيم مقتدين بمثاله. ولا شك أن كل راع سوف يقدم حساباً عمَّا يفعل لرئيس الرعاة العظيم، فهو الديان الذي سيحاكم البشر، ويجازي كل واحد بحسب عمله.

يرعاك فترعى غيرك:

ندعوك أن تتعرف على المسيح الراعي الصلح الذي يرعى نفسك ويعطيك احتياجك، فتستطيع أن تقول بالشكر: " الرب راعي فلا يعوزني شيء. في مراع خضر يربضني إلى مياه الراحة يوردني. يرد نفسي يهديني إلى سبل البر" (مزمور 23). وعندما يحقق لك المسيح الرعاية تستطيع أن ترعى غيرك من الذين وضع الله عليك مسئولية رعايتهم. فإن قمت بواجبك كما ينبغي، فإن المسيح سيجيء إلى أرضنا ثانية ليجازي كل واحد حسب عمله، وسيعطي إكليل مجد لكل من قام بمسئوليته كما يجب.

هناك إكليل الجمال، وهناك إكليل البر، وهناك إكليل الحياة.

كان الذين يلعبون الألعاب الأوليمبية ينالون إكليل من ورود تذبل، ولكن المسيح يعطي للذين يتبعونه ويحبونه ويقومون بواجبهم كما ينبغي إكليل مجد لا يبلى، ليس من ورود تذبل، لكن من مجد وكرامة لا تنتهي.

ويقدم لنا الرسول بولس الفرق بين الأكاليل التي ينالها المتبارون في الألعاب الرياضية والأكاليل التي يعطيها الرب للذين يقومون بمسئوليتهم، فيقول: "أما تعلمون أن المتبارين يركضون جميعاً في الميدان، ولكن واحداً فقط يفوز بالجائزة؟ هكذا اركضوا أنتم حتى تفوزوا" (والله لا يعطي إكليلاً واحداً، لكنه يعطي أكاليل لكل من يجاهدون) ثم يمضي الرسول بولس فيقول: "وكل متبار يفرض على نفسه تدريباً صارماً في شتى المجالات.

فهؤلاء المتبارون يفعلون ذلك ليفوزوا بإكليل فانٍ. وأما نحن فنفوز بإكليل غير فان". وهذا يعني أيها القارئ أننا يجب أن نضبط أنفسنا في كل شيء، وأن نجاهد روحياً لنُرضي الله الذي جنَّدنا. ثم يمضي الرسول بولس فيقول: "إذاً أنا أركض لا كمَن لا هدف له، وهكذا ألاكم أيضاً، لا كمن يلطم الهواء، بل أسدد اللكمات إلى جسدي وأسوقه أسيراً، مخافة أن يتبيَّن أني غير مؤهل للمباراة بعدما دعوت الآخرين إليها" (1كورنثوس 9:24-27).

والرسول بولس هنا يطالب الرعاة جميعاً، وكل مسئول في موقعه أن ينتبه إلى مسئوليته ليرضي الله، فكثيرون من المسئولين يعيشون حسب الجسد، ويطيعون أجسادهم المائتة وشهواتهم. ولكن الواجب أن الإنسان منا يقمع جسده ويستعبده، حتى لا يسود الجسد عليه بشهواته، بل يسود الإنسان منا على شهوات الجسد، فيمنحه الله نعمة الانتصار.

أيها الأب، يا صاحب العمل، يا حكام بلادنا، ارعوا بأمانة الرعية التي وضع الله عليكم مسئولية رعايتها – حتى متى ظهر المسيح الديان العادل يجازيكم خير الجزاء.

28- عمانوئيل

«هوذا العذراء تحبل و تلد ابناً،
ويدعون اسمه عمانوئيل، الذي
تفسيره:الله معنا» (متى 1:23)

ورد لقب السيد المسيح عمانوئيل في نبوة إشعياء 14:7. حيث يقول: «يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل». وقد أوحى الله بهذه النبوة لنبيه إشعياء سنة 741 قبل الميلاد. أما الظروف التي جاءت فيها تلك النبوة، فقد كانت عندما كان آحاز ملك يهوذا (المملكة الجنوبية وعاصمتها أورشليم) خائفاً من هجوم ملك آرام وملك إسرائيل (المملكة الشمالية وعاصمتها السامرة) أن آحاز ملك يهوذا فكر في أن يستغيث بملك أشور لينقذه. فأرسل الله إليه النبي إشعياء يشجعه ليتوكل على الله وحده، وينبئه بأن أعداءه لن يغلبوه، لأن الرب سيخلصه. وفي نفس الوقت يشجع الله شعبه أن يرجوا الخلاص الآتي في المسيا، الذي لا بد أن يأتي من شعب اليهود، ومن بيت داود. فالمسيا لا بد أن يولد من العذراء التي تحبل بالروح القدس، وبواسطتها يظهر الله في الجسد. هذه العذراء التي لم تكن تعرف رجلاً كما قالت مريم العذراء عن نفسها، هي آية عجيبة معجزة.

وقد كان مفهوماً من البدء أن السيد المسيح يجب ان يولد من عذراء، عندما أُطلق عليه لقب «نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية» (تكوين 15:3). فولادة المسيح من عذراء ولادة خارقة للطبيعة، كما أنها بلا دنس، طاهرة خالية من كل شائبة الخطية. وما كان يجب أن يُولد المسيح من أميرة أو ملكة، لإظهار العظمة العالمية، بل من عذراء ليعلمنا الطهارة الروحية، وأن نموت عن كل الشهوات الجسدية، فنحفظ أنفسنا بلا لوم ولا دنس من العالم، لنكون عذراء عفيفة للمسيح.

«هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً. ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» ومعنى اسم عمانوئيل: «الله معنا» يناسب طبيعة المسيح، لأن في شخص المسيح نجد أن الله مع شعبه يخلصهم من خطيتهم، ويحميهم ويهديهم ويسوسهم، تحقيقاً لتلك النبوة القديمة التي أعنت أن الله معنا.

البعيد الذي اقترب:

لقب المسيح «عمانوئيل الله معنا» يرينا أمرين عظيمين: كل واحد منا يعلم أن الله منزَّه بعيد مختلف عن كل من عداه، ولكن كلٌ واحد منا يشتاق في أعماق قلبه أن ينشئ علاقة شخصية مع هذا الإله العظيم. ولقد جاء المسيح عمانوئيل الله معنا ليقول لنا إن هذا الإله العظيم قد صار معنا. جاء إنساناً في أرضنا ليعلمنا أن الله يحبنا. العظيم قد تواضع، والبعيد قد اقترب، ليرفعنا من تواضعنا إلى عظمته، ومن بُعدنا إلى قربه. وهذا معنى لقب عمانوئيل الله معنا. لقد كانت ولادة المسيح تحقيقاً لتلك النبوة القديمة السابقة لميلاده بسبعمئة وأربعين سنة لأنه انتظارات الأجيال. له يشهد جميع الأنبياء. هوذا العذراء تحبل وتلد عمانوئيل الله معنا الذي ظهر في الجسد.

عندما ننظر إلى الطبيعة نرى أن الله فوقنا، لأنه أعلى منا. نرى البرق ونسمع الرعد ونرتعب من الزلازل ومن العواصف الشديدة. الطبيعة تُظهر عظمة الله الذي هو فوقنا – وهذا صحيح لأن الله فوقنا "السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه" (مزمور 1:19). أما عمانوئيل، الله معنا، فهو الذي يقول عنه الإنجيل المقدس: «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقاً. يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو الذي قلت عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي. و من ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يوحنا 14:1-18).

معنا للمعونة:

لقد جاء الله يتجوّل في أرضنا ويعيش بيننا في شخص المسيح الذي شفى المرضى وفتح أعين العميان وطهّر البرص وأقام الموتى وأسكت العاصفة وأطعم الجياع، وقال لنا: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر». ولا يستطيع أحد أن يقول هذه الكلمات إلا إن كان فعلاً هو عمانوئيل الله معنا. فلا يستطع أحد أن يقول هذه الكلمات إلا إن كان فعلاً هو عمانوئيل الله معنا. فلا يستطيع أحد أن يكون معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر إلا إن كان هو الله. وقال أيضاً: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى 20:18) وهذه كلمات كبيرة لا يستطيع أن يقولها إلا عمانوئيل الله معنا، الحاضر في كل مكان وسط كل من يجتمعون باسمه يتعبدون له. تعال نستمع إلى عمانوئيل يقول لنا ويطمئننا قائلاً: «تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى 28:11). لم يكن ممكناً أبداً أن نجد راحتنا في شخص واحد في كل بلد من بلاد العالم، في كل زمن من الأزمان، مهما كان نوع التعب الذي واجهنا ويضايقنا. لكن المسيح في محبته المذهلة يقول لنا إنه سوف يريحنا من كل متاعبنا أينما كنا، منذ أن كُتب الإنجيل المقدس إلى يوم يُبعثون، لأنه عمانوئيل الله معنا. ولقد لجأ إلى السيد المسيح ولاذ به كلُّ مُتعب من خطيئته، فنال مغفرة الخطية والقبول أمام الله. ولاذ به كل متعب مجهد فوجد في حبه الراحة الكاملة. هذا عمانوئيل الله معنا الذي وحده يستطيع أن يقول: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة. أنا هو خبز الحياة من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يوحنا 12:8). هذا هو عمانوئيل الله معنا – ونحن ندعوك أيها القارئ الكريم أن تكون معه وأن تضع ثقتك فيه وأن تتبعه، لتكتشف أن الله معك يسندك ويشجعك ويسير معك رحلة الحياة.

29- البكر

«المسيح بكر كل خليقة» (كولوسي 15:1)
وقال المسيح عن نفسه إنه «بداءة خليقة الله»
(الرؤيا 14:3).

ظنَّ بعض الناس أن هاتين الآيتين تصفان السيد المسيح باعتباره أنه مخلوق لأنه البكر، بمعنى الابن الأكبر. ولكن كلمة بكر هنا لا تعني أول مخلوق، بل تعني صاحب مكان الشرف، صاحب المكان النموذجي ومنشئ الحياة. والقول إن المسيح بداءة خليقة الله معناه أنه أبدع خليقة الله وأنشأها، وليس هذا غريباً، فإن الإنجيل يقول: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه». إنما لقب السيد المسيح «البكر» و«بكر كل الخليقة» يعني أنه صاحب مكان الشرف. يقول الرسول بولس إن الله اختار كثيرين من الناس ليؤمنوا بالمسيح وليقبلوه مخلصاً «ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون المسيح بكراً بين أخوة كثيرين» (رومية 29:8). ومعنى هذا القول، إن المسيح يكون صاحب المكان الأول بين الجميع. فليس المقصود بكلمة البكر ترتيب الولادة. لكن المقصود بها أنه صاحب الكرامة. بهذا المعنى أخذ يعقوب أبو الأسباط البكورية من شقيقه عيسو، مع أن يعقوب هو الابن الأصغر. وبهذا المعنى أعطى يعقوب أبو الأسباط البكورية لأفرايم ابن يوسف الثاني، وترك منسى ابن يوسف الأول. وعندما رأى يوسف أن أباه أعطاه البكورية للابن الأصغر حاول أن يصلح الموقف، لكن يعقوب رفض. إن البكورية هنا لا تعني أول المولودين بل تعني أعظم المولودين. ثم أن الرسول بولس يقول عن المسيح: «إنه بكر من الأموات» (كولوسي 18:1). ولو أن تعبير البكر من الأموات يعني أنه أول من قام من بين الأموات، لكان هذا خطأ، فلم يكن المسيح أول من قام من قبره، لكن التعبير يعني أنه أعظم من قام من بين الأموات، وأنه صاحب مكان الشرف. قبل أن يقوم السيد المسيح من بين الأموات قام لعازر، وقام ابن أرملة نايين، وقامت ابنة يايرس. وقد أقام المسيح هؤلاء الثلاثة من الموت. المقصود إذاً بلقب المسيح «بكر من الأموات» أنه أعظم من قام من بين الأموات، ليس المقصود بأنه بكر كل خليقة إلا أنه الأعظم وصاحب مكان الشرف والكرامة.

البكر هو الأعظم:

البكر في شيء ما هو الأعظم في هذا الشيء، والمسيح هو الأعظم الذي يقول الإنجيل عنه: «أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات. فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة» (أفسس 20:1-22).

هل تعطي المسيح المكان الأول في قلبك؟ وهل تخضع له؟ إذا سمعت كلامه، هل تعطيه مكان الشرف وتطيعه؟ أو هل تنسى كلامه وتعصاه؟ إن وجدت طريقاً صعباً وأمره مكلفاً، هل تدفع الثمن وتتبعه؟ أو هل تهرب؟ يجب أن تعطي المسيح المكان الأول في حياتك لأنه بكر كل خليقة، صاحب مكان الشرف.

البكر هو النموذجي:

عندما يطلق الإنجيل المقدس على السيد المسيح لقب «بكر كل خليقة» فهو يعني أنه الشخص النموذجي. وفي الفكر الكتابي كلمة «بكر» تعني الشرف والكرامة والمقام الأول، كما تحمل معنى الكمال والنموذج الكامل للحياة، وصاحب الحياة التي يمكن أن نفتدي بها دون أن نخطئ.

المسيح هو البكر، أي المثال والنموذج الذي لا يعلو أحد فوقه. يمكن أن تتشبه به لأنه الكمال الحقيقي. في كل أعماله وأقواله لم يخطئ خطية يعتذر عنها، ولم يتصرف تصرفاً يأسف عليه.هذا وحده هو الكامل النموذجي

. قال عنه الشيطان: «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يوحنا 30:14). وما أجمل قول بولس الرسول عنه: «الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غش». المسيح هو البكر، صاحب الحياة النموذجية.

لا تجعل إنساناً نموذجاً لحياتك، فإن البشر يوصون بما لا يفعلون ويقولون شيئاً ويفعلون غيره. لا تنر إلى الناس لأن جميعهم ناقصون. انظر إلى المسيح وحده وخُذه هو نموذجاً لحياتك.

البكر منشئ الحياة:

معني لقب «البكر» أنه الحياة ونبعها ومصدرها. هذا واضح من كتابات العهد الجديد، إذ يقول الرسول بولس: «فيه خُلق الكل ما في السماوات وما على الأرض» ويقول البشير يوحنا: «كان في العالم وكُوِّن العالم به». وكيف يكون المسيح أول الخلق وهو الخالق؟ هذا هو يسوع ربنا وإلهنا، الذي عمل العالمين، والذي يخلق من الطين. ولقد كان لقب البكر من الألقاب التي أطلقها اليهود على المسيح الآتي. فقال الله على لسان المرنم في المزمور التاسع والثمانين: «أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض». وقد انتظر اليهود المسيا الآتي البكر الأعلى من ملوك الأرض. والرسول بولس يقول لنا إن البكر قد جاء. المسيح البكر الذي انتظروه مخلصاً للعالم، قد وُلد من العذراء القديسة مريم.

هل أعطيت المسيح المكان الأسمى في قلبك؟ هل تجعله أولاً في حياتك؟

30- العريس

«هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا
والعريس معهم؟» (مرقس 19:2)

لقَّب السيد نفسه بلقب «العريس» كما قال عن إن جماعة المؤمنين هم العروس الذين يتحد بهم ويحبهم وقد بذل نفسه عنهم. فقد جاء الفريسيون إلى المسيح يوماً يسألونه: إن تلاميذ يوحنا المعمدان وتلاميذ الفريسيين يصومون. فلماذا لا يصوم تلاميذك؟ فأجابهم المسيح: «هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم؟ ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا. ولكن ستأتي أيام حين يُرفع العريس عنهم، فحينئذ يصومون في تلك الأيام» (مرقس 2:18-20). ويتحدث سفر الرؤيا، السفر الأخير في العهد الجديد، عن عرس الحمل وعروسه الكنيسة، فيقول في الأصحاح التاسع عشر: «وخرج من العرش صوت قائلاً: سبحوا لإلهنا يا جميع عبيده، الخائفيه، الصغار والكبار. وسمعت كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة، وكصوت رعود شديدة قائلة: هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء. لنفرح ونتهلل ونعطيه المجد، لأن عرس الحمل قد جاء وامرأته هيأت نفسها، وأُعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً، لأن البز هو تبررات القديسين. وقال لي: اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الحمل».

ويقول لنا الرسول بولس لأهل كنيسة كورنثوس إنه خطبهم ليقدم عذراء عفيفة للمسيح (2كورنثوس 2:11). ويوصي الزوجات في كنيسة أفسس قائلاً: «أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً راس الكنيسة، وهو مخلص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء. أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدِّسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة. لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أفسس 5).

وقد جاءت فكرة أن جماعة المؤمنين هم العروس وأن الله هو العريس في سفر إشعياء بالتوراة عندما يقول: «لأن زوجك هو صانعك، رب الجنود اسمه. ووليُّك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يُدعى» (إشعياء 5:54). ويقول أيضاً: «كفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهُك» (إشعياء 5:62).

ضرورة الأمانة:

وكان الله في التوراة يتّهم بني إسرائيل بالزنى الروحي عندما كانوا يتعبدون للأصنام، لأن الله هو زوجهم وهم عروسه. هم جماعة المؤمنين به. ويقول النبي إشعياء عن مدينة أورشليم عندما عبدت الأوثان: «كيف صارت القرية الأمينة زانية؟ ملآنة حقاً. كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون» (إشعياء 21:1).

وفي الأصحاح الثالث والعشرين من نبوة حزقيال نقرأ وصفاً أليماً للشعب الخائن، فإن أهولة (السامرة عاصمة مملكة إسرائيل) وأهوليبة (أورشليم عاصمة مملكة يهوذا) قد خانتا الرب وعبدتا الأوثان. وخيانة الزوج للزوجة أو خيانة الزوجة للزوج أخف من خيانة المؤمن لربهم. فالمسيح هو العريس، وجماعة المؤمنين به هم العروس. وهذا يعني ضرورة وجود الأمانة. فالله دوماً أمين للمؤمنين به، أما جماعة المؤمنين فيمكن أن تنقص أمانتهم فيعبدون غيره، أو يُعطون الله المكانة الثانية في حياتهم، ويعطون ممتلكاتهم المكانة الأولى. لذلك يقول المسيح إننا لا نقدر أن نعبد الله والمال.

ضرورة الشركة:

ولقب المسيح «العريس» يقدم لنا معنى الحب والشركة، والشركة شركة العريس بالعروس، تعني القُرب القريب. فإن المؤمن يحيا حياته قريباً جداً من الله في أنس معه وفي اتحاد به، حتى أن المسيح يقول إنه هو

الكرمة وإن المؤمنين به هم الأغصان. وعلى الغصن أن يثبت في الكرمة ويتحد بها ولا يبتعد عنها. وهذه هي علاقة الزوجية العميقة التي لا انفصام فيها، لأنه يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. وهكذا يجب أن يكون المؤمن بالمسيح مع مسيحه. وهذه العلاقة الزوجية بين المسيح والمؤمنين تعني ضرورة الثقة الكاملة، فإننا يجب أن نضع ثقتنا في محبة الله لنا وأن نحب الله بكل القلب وبكل النفس وبكل الفكر، حتى أننا نلقي أنفسنا بالتمام عليه لأنه هو يعتني بنا. إن المؤمن بالمسيح ينظر إلى سيده وفاديه ومخلصه باعتباره المعتني به، الذي لا يمكن أن يتركه أبداً.

صلة لا تنفصم:

وهناك معنى رابع لصلة العريس بالعروس. إنها الصلة التي لا تنفصم، والتي هي مدى الحياة، في تكريس كامل، وفي عهد أمين ثابت. نحن نلبس خاتم الزواج عندما نتزوج. ولا توجد بداية للخاتم ولا نهاية، وهكذا المحبة – لا بداية لها ولا نهاية. وهكذا علاقة المؤمن بالمسيح. إنها علاقة تبدأ يوم يسلم الإنسان نفسه للرب، ولكنها لا تنتهي أبداً. فنحن نحبه في مرضنا كما في صحتنا، وفي ظروفنا الحسنة كما في ظروفنا القاسية. إن المسيح هو العريس الذي يمتلك قلبنا كله، ونحن نتبعه في ثقة وفي محبة وفي طاعة.

في تأملنا في لقب المسيح أنه العريس نرى أمانة الله لنا، فمحبته لنا لا تتغير أبداً، وهكذا يجب أن تبقى محبتنا له أمينة واثقة دوماً.

31- الضامن

«صار يسوع ضامناً لعهد أفضل» (عبرانيين 22:7)

الضامن هو الكفيل الملتزم. والكفالة شرعاً هي: «ضم الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة». وتُطلق على صك الكفالة. والضامن شخص يدخل في عهد من أجل شص آخر ليضمن إتمام ما التزم به ذلك الشخص الآخر، على أن يقوم الضامن بما عجز المضمون عن القيام به.

عهد قديم مكسور:

وقد جرى عهدٌ قديم بين الله وشعبه أيام موسى، نقرأ عنه في التوراة. ونصه: «وجاء موسى وحدث بني إسرائيل بأقوال الرب كلها. فقال الشعب: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب. وبكَّر في الصباح وبنى مذبحاً في أسفل الجبل، واثني عشر عموداً لأسباط بني إسرائيل الإثني عشر، وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس. ونصف الدم رشه على المذبح. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل، ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال» (خروج 24:3-8).

ولم يمض وقت طويل حتى كسر الشعب هذا العهد الذي دخلوا فيه، حتى أنهم عملوا عجلاً ذهبياً عبدوه، وقالوا عنه إنه هو الذي أخرجهم من عبودية أرض مصر، وإن العجل هو الذي أطلقهم أحراراً. إذاً تحطم العهد. وهنا جاءنا المسيح ضامناً لعهد جديد يسميه عهداً أفضل.

عهد جديد مضمون:

يقول الإنجيل: إن المسيح صار ضامناً لعهد أفضل بين الله والإنسان. وعن المسيح الضامن نتساءل: أي الطرفين يضمنه يسوع لدى الطرف الآخر؟ هل يضمن يسوع الإنسان لدى الله؟ أو هل يضمن الله لدى الإنسان؟ إن الإنجيل يقول: «إن المسيح صار ضامناً لعهد أفضل» (عب 22:7). وهذا يعني أن المسيح ضامن لا لشخص بل لعهد. وحيث أن العهد المقصود هنا هو عهد النعمة، فهو إذاً عهد الله أن يثبت نعمته الخلاصية للإنسان. لذلك يكون يسوع ضامناً لتثبيت العهد بموته الكفاري، ليتمم عمل الفداء الذي به يبرر الله كل الذين يؤمنون بكفارة المسيح، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة.

وهناك أيضاً ضمان المسيح لعهد من وجهة الإنسان، فالإنسان لا يستطيع أن يخلص نفسه، وهو في شره وكفره وتعديه على الشريعة الإلهية يكون يسوع ضامناً لتثبيت ذلك العهد، إذ يقوم المسيح نيابة عن الإنسان بوفاء الدين الذي عليه. وبعمل روح الله في قلبه يقدسه ليتمم عمل الفداء. فالمسيح إذاً ضامن للعهد بحياته وبموته. بحياة المسيح وفى شريعة الله حقها، وضمن الإنسان له في قيامه بالتزامات العهد الجديد الذي جاء المسيح ليقيمه. وبموت المسيح النيابي الكفاري فتح الطريق لله ليبرر الفاجر، وليضمن إتمام عهد الله في خلاصه. فالمسيح ضامن لعهد أفضل. وبمقتضى شروط هذا العهد يكفر عن الإنسان، ويتعهد عن الإنسان بأن يقوم بالتزامات ذلك العهد الجديد المقدس.

يضمن بأن يغير:

لم يستطع بنو إسرائيل أن يحفظوا العهد الذي تعهدوا به أمام الله فحطموه بخطيتهم. ولما كان الله كاملاً والإنسان ناقصاً، فقد بقى الإنسان دوماً في حالة عيب وخطأ وانفصال عن الله، فوجب أن يكون هناك ضامن يغفر خطية الإنسان ويسدد ديونه ويغير حياته لكي لا يعود يخطئ، إذ يمنحه الطبيعة الجديدة. وهذا ما يفعله السيد المسيح كضامن لعهد أفضل. إنه يدخل قلب الإنسان ليحيا فيه، فيُجري في داخله التغيير الكبير الذي يصفه

الإنجيل المقدس بالقول: «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» (2كورنثوس 17:5). ويتحقق معه قول الإنجيل: «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلاطية 24:5) وعندها يستطيع الإنسان أن يقول: «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غلاطية 20:2). إذاً المسيح ضامن لعهد أفضل بحكم أنه سدَّد الدين القديم لأنه مات عن الإنسان الخاطئ، لأنه حمل الله الذي يرفع خطية العالم. وفي الوقت نفسه يحيا في الإنسان ليمكنه أن يعيش الحياة التي تمجد الله، الحياة المقبولة منه.

يضمن في عهد النعمة:

والمسيح ضامن لعهد أفضل لأنه يُدخلنا في عهد النعمة وليس في عهد الشريعة، فتصبح علاقة الإنسان بالله علاقة ابن بأب، لا علاقة مجرم بقاض. وهذه العلاقة تُبنى على الحب وليس على الشريعة. فليس الله دياناً لإنسان فقط، ولكنه قبل ذلك أب يجب أن يجتمع بأولاده جميعاً حول مائدة محبته لتكمل السعادة في قلب الإنسان. ولقد جاءنا المسيح إنساناً، ومن رآه فقد رأى الآب، ليقول لنا إن الآب يحبنا ويهتم بأمورنا. وما عمله المسيح من معجزات يعبر عن اهتمامات الرب بنا، فقد أشبع الجائع، وشفى المريض وطيب خاطر الحزين، وصادق المكروبين والمكروهين والخطاة. وهكذا يضمن المسيح لنا أن الله يحبنا. وعهده معنا عهد محبة ونعمة.

المسيح ضامن لعهد أفضل إذ سدد ديننا، ويمكننا أن نعتمد عليه واثقين أنه يعتني بنا، لأنه أخذ على عاتقه عملية فدائنا وتغيير حياتنا وتأكيد حب الله لنا. والمسيح هو ضامن المؤمنين به، والذين يتبعونه، وسط عالم متغير – وهو يعطي الضمان والأمن والاطمئنان. إنه يضمن لنا أن الله يبقى أميناً لنا مهما كنا نحن غير أمناء – لأنه يقول لنا: «أنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً».

مشاعرك قد تتغير، لكن المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. في كل ظرف متغير متقلب ستبقى مطمئناً ثابتاً. إن كان المسيح يحيا فيك.

32- الحبيب

«هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت»
(متى 17:3)

ورد لقب «الحبيب» عن السيد المسيح في مناسبتين عظيمتين. المناسبة الأولى مناسبة معموديته. عندما طلب السيد المسيح من يوحنا المعمدان أن يعمده، فرفض يوحنا أن يقوم بذلك وقال له: «أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليَّ؟» فقال له المسيح: «اسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر». فوافق يوحنا المعمدان أن يعمد السيد المسيح. ولما انتهت المعمودية صعد المسيح من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت من السماء قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت». الله الآب من سماواته يعلن أن السيد المسيح هو الابن الحبيب الذي سُرَّ به. والقول هنا: «الابن الحبيب» ليس وصفاً للمسيح بقدر ما هو لقب له.

أما المناسبة الثانية التي أُطلق فيها لقب «الحبيب» على السيد المسيح فكانت وقت التجلي. عندما أخذ المسيح تلاميذه يعقوب وبطرس ويوحنا إلى جبل عال منفردين، حيث تغيرت هيئته أمامهم، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وجاء موسى وإيليا يتكلمان معه، وإذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحابة يقول: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا». فلما سمع تلاميذ المسيح الثلاثة هذا الصوت سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء المسيح ولمسهم وقال: «قوموا. لا تخافوا». وعندما رفعوا عيونهم لم يروا أحداً إلا يسوع وحده (متى 17:1-8).

لماذا الإعلان الثاني؟

كان التلاميذ قبل ذلك مباشرة قد رفضوا إعلان المسيح أنه سيُصلب، لأنهم كانوا يتوقعونه ملكاً أرضياً، يردُّ المُلك إلى إسرائيل، ويقيم مملكة داود الساقطة. وكان الصليب عقبة في سبيل تحقيق هذه المملكة. ولكن لأجل الصليب جاء المسيح. فقال الآب من سماواته: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا أيها التلاميذ».

وكان موضوع الحديث الذي دار بين موسى وإيليا والمسيح هو الصليب، الذي لأجله جاء المسيح إلى عالمنا. هذا إذاً هو الابن الحبيب الذي به سُرَّ قلب الله، فأيده بالروح القدس الذي حلَّ عليه، شهد الآب له أنه حبيبه، الذي به سُرَّت نفسه.

ويقول الرسول بطرس في ذلك: «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه. بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوتٌ كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس» (2بطرس 16:1-18).

ولقد حكى السيد المسيح مثلاً عن الكرامين الأردياء الذين رفضوا أن يعطوا ثمر الكرم لصاحبه. ويقول المسيح: إنه كان لصاحب الكرم ابن واحد حبيب إليه، أرسله أيضاً إليهم قائلاً: «إنهم يهابون ابني» ولكن أولئك الكرامين قالوا: «هذا هو الوارث. هلموا نقتله فيكون لنا الميراث». فالمسيح هو الابن الواحد الوحيد (متى 33:21-44).

الفرق بين بنوية المسيح وبنويَّتنا:

وقد استخدمت الكنيسة هذا اللقب عن السيد المسيح للتفريق بينه وبين أولاد الله بالتبني. فالمسيح هو الابن الأصيل من قبل كل الدهور. واحد مع الآب، إله من إله، نور من نور. والله قد اختارنا في المسيح بيسوع

المسيح لنفسه «حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أفسس 1:4-6). فالمؤمنون بالمسيح أ،عم الله عليهم بالتبني في المحبوب يسوع، أما المسيح فهو الابن الوحيد الحبيب.

المرضيُّ عنه:

وهذا اللقب يعني أنه المرضيُّ عنه تماماً. كل الأنبياء وبَّخهم الله على خطئهم وأدَّبهم وقومهم أفضل تقويم، لأنه أرادهم أن يحققوا قصده. أما السيد المسيح فهو الذي لم يخطئ أبداً. ولم يكن محتاجاً أن يعتذر أو يستغفر لخطأ ارتكبه، فهو الابن الحبيب الذي حاز الرضا الإلهي الكامل.

والحبيب المرضي عنه هو الذي يستوجب الشكر، فإننا كلما ذكرنا صفاته أو أعماله امتلأت نفوسنا بالشكر والإعجاب والرضا، لأنه لم يقل شيئاً ليس في محله. في تعليمه لم يقل شيئاً غيَّره في يوم بعد ذلك. وفي إجابته لأسئلة المستمعين المعارضين أو الأصدقاء لم يستمهلهم مرة حتى يفكر في جواب مناسب. لكنه دوماً حاز الرضا وأعلن مشيئة الآب لأنه كلمة الله.

ولا عجب أن يجوز المسيح لقب الوحيد لأنه بلا نظير في هذا. غيره من الأنبياء قالوا: «هكذا قال الرب». وكانت هذه الكلمة البرهان على صدق نبوتهم وإرساليتهم. أما المسيح فكان يقول: «الحق الحق أقول لكم» لأنه الابن الحبيب الذي نرضى ونسعد بكل كلمة يقولها، لأنها صادقة وحقيقية ونهائية. ونحن هنا نتذكر ما قاله الله لإبراهيم عندما طلب منه أن يقدم ابنه وحيده الذي يحبه محرقة على أحد الجبال. ثم افتداه الله بذبح عظيم. ونتذكر أن هذا إشارة للسيد المسيح حمل الله الذي بلا خطية، الذي قدَّم نفسه عنا على الصليب كفارة وذبيحة خطية، فافتدانا نحن بذبح عظيم. لا بذبح سواه، بل بذبيحة نفسه. فهو الابن الحبيب الذي أحبنا وقدم نفسه عنا كفارة وذبيحة قرباناً لله رائحة طيبة. و«هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد». وهو بهذا يقول لنا: عندما أعطيكم الابن الحبيب الوحيد، أعطيكم كل ما عندي، لأني أريدكم أن تعيشوا لي، وأن تقدموا نفوسكم ذبيحة حية مقدسة مرضية لي.

دعنا نشكر الابن الحبيب الذي يريد أن يُنعم علينا بالتبني ويجعل منا أبناء أحباء لله.

33- ابن داود

«كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم» (متى 1:1)

أجمعت النبوات على أن المُلك سيبقى في بيت داود إلى الأبد، فعندما عزم نبي الله داود أن يبني هيكلاً للرب، أرسل إليه الرب على فم نبيه ناثان يقول له: «كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد» (2صموئيل 16:7). ونقرأ في المزمور التاسع والثمانين: «حلفت لداود عبدي: إلى الدهر أثبِّت نسلك، وأبني إلى دور فدور كرسيك» ويروي لنا الإنجيل كما رواه القديس يوحنا أنه في اليوم الأخير العظيم من عيد المظال وقف يسوع ونادى: «إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من جوفه أنهار ماء حي» (يوحنا 38:7). فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا: "هذا بالحقيقة هو النبي" آخرون قالوا: "هذا هو المسيح". وآخرون قالوا: «ألعل المسيح من الجليل يأتي؟ ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود، ومن بيت لحم – القرية التي كان داود فيها – يأتي المسيح؟». ويُستدل من هذه الكلمات أن الشعب كان يدرك من نبوات العهد القديم أن السيد المسيح سيأتي من نسل داود، ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها. وقد حدث مرة أن أحضروا للسيد المسيح مجنوناً أعمى وأخرس، فشفاه السيد المسيح، حتى أن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر. فاندهش الناس جميعاً وأخذوا يتساءلون: «ألعل هذا هو ابن داود؟» (متى 23:12). ويخبرنا الإنجيل المقدس أن أعميين أقبلا إلى السيد المسيح يناديان: «ارحمنا يا ابن داود». فاستقبلهما السيد المسيح وسألهما: «أتؤمنان أني أقدر أن أفعل هذا؟» قالا له: «نعم يا سيد». حينئذ لمس أعينهما قائلاً: «بحسب إيمانكما ليكن لكما». فانفتحت أعينهما، فخرجا وأشاعا الخبر في تلك البلاد كلها. نعم المسيح ابن داود، وقد أطلق الناس عليه هذا اللقب لما رأوا قوته، فأدركوا أن تلك المعجزات التي يجريها تعني أنه المخلص الآتي الذي تحدثت عنه نبوات التوراة، معلنة أنه سيجيء معجزات كثيرة، ويخلص كثيرين من آلامهم ومن خطاياهم.

داود يدعوه رباً:

واجه المسيح مقاومة كبيرة من رجال الدين من طائفتي الفريسيين والصدوقيين. فقد اجتمعوا معاً، فوجه إليهم السيد المسيح هذا السؤال: «ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟» أجابوه: «ابن داود» فسألهم: «كيف يدعوه داود بالروح رباً، قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟» فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يوجه للسيد المسيح سؤالاً (متى 22:41-46).

أما السؤال الذي وجهه السيد المسيح لسامعيه فقد اقتبسه من كلمات المزمور المئة والعاشر، وهو مزمور كتبه نبي الله داود بوحي الروح القدس، وبدأه بالقول: «قال الرب اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك». وكان اليهود يعتقدون أن هذا المزمور نبوة عن مجيء المسيح، الذي يقول له الله في سماواته: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك». ولقد قصد السيد المسيح أن يبين لليهود أنه بالرغم من أن السيد المسيح ابن داود حسب الجسد، لأنه جاء من نسله، إلا أنه أعظم من داود. ولا غرابة، فإن السيد المسيح موجود من قبل داود. هو الذي كان عند الله، من قبل أن يجيء إلى أرضنا. لذلك نقول في قوانين الإيمان المسيحية إن السيد المسيح مولود غير مخلوق، ومساوٍ للآب في الجوهر، حتى أن الآب يقول له: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» إن داود يدعو ابنه «رباً» وهذا يعني أن السيد المسيح يعلو على آمال شعبه جميعاً. إنه الرب. إنه ليس ابن داود الذي سيأتي ليقيم مملكة داود التي سقطت، ولكنه أيضاً سيد داود. ولقد تحدث رسول المسيحية بطرس في يوم الخمسين قائلاً لليهود: «أيها الإخوة، دعوني أقول لكم صراحة، إن أبانا داود مات

ودُفن، وقبره ما زال عندنا حتى اليوم، لأن داود كان نبياً وعارفاً أن الله أقسم له يميناً بأن يجيء المسيح من نسله ويجلس على عرشه. فقد تكلم داود عن قيامة المسيح كما رآها مسبقاً فقال: إن نفسه لم تترك في هُوَّة الأموات، وإن جسده لم ينل منه الفساد. فيسوع هذا أقامه الله من الموت ونحن جميعاً شهود لذلك. فإن داود لم يرتفع بجسده إلى السماء، ثم إنه هو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً بنو إسرائيل أن الله قد جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم، رباً ومسيحاً» (أعمال 2:29-36) (ترجمة كتاب الحياة).

ويتحدث رسول المسيحية بولس عن الإنجيل فيقول: «هذا الإنجيل الذي وعد الله به من قبل على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدسة، يختصُّ بابنه، الذي جاء من نسل داود من الناحية البشرية، ومن ناحية روح القداسة تبيَّن بقوة أنه ابن الله، بالقيامة من بين الأموات. إنه يسوع المسيح ربنا، الذي به ولأجل اسمه نلنا نعمة» (رومية 1:1-5) (ترجمة كتاب الحياة).

كائن من قبل داود:

السيد المسيح هو رب داود الموجود من قبل داود. ولذلك نقول في قوانين الإيمان المسيحية إن السيد المسيح مولود غير مخلوق، ولكنه قبل أن يجيء أرضنا، وأن يصير واحداً منا، حتى أن رسول المسيحية بولس يقول: «وبالإجماع: عظيم هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد». ومن كون أن السيد المسيح ابن داود، وهو في نفس الوقت ربه، نرى أن المسيح هو الله الذي جاءنا إنساناً. هو الرب الذي أخذ جسماً كجسمنا، حتى أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول: «بما أن هؤلاء الأولاد متشاركون في أجسام بشرية من لحم ودم، اشترك المسيح أيضاً في اللحم والدم باتخاذه جسماً بشرياً. وهكذا تمكن أن يموت ليقضي على من له سلطان الموت – أي إبليس – ويحرر من كل الخوف من الموت يستعبدهم طوال حياتهم. كانت غاية المسيح أن ينقذ لا الملائكة بل نسل إبراهيم. ولذلك كان لا بد أن يشبه أخوته من جميع النواحي، ليكون هو الكاهن الأعلى الرحيم والأمين، الذي يقوم بعمله أمام الله نيابة عن الشعب، فيكفر عن خطاياهم. وبما أنه هو نفسه قد تألم وتعرض للتجارب، فهو قادر أن يعين الذين يتعرضون للتجارب. لذلك ينبهنا الروح القدس قائلاً: اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم. فعليكم أيها الإخوة أن تأخذوا حذركم جيداً، حتى لا يكون قلب أي واحد منكم شريراً، لا إيمان فيه، مما يؤدي إلى الارتداد عن الله الحي. وإنما شجعوا بعضكم بعضاً كل يوم، ما دمنا نقول اليوم، وذلك لكي لا تقسي الخطيئة قلب أحد منكم بخداعها. فما زال التحذير موجهاً إلينا: اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (عبرانيين 2:14-18 و3:7 و12-15) (ترجمة كتاب الحياة).

ابن داود، ابن الله:

الإنجيل يختصُّ بابن الله الذي جاء من نسل داود، من الناحية البشرية، ومن ناحية روح القداسة تبيَّن بقوة أنه ابن الله بالقيامة من الأموات. إنه يسوع المسيح ربنا، الذي به ولأجل اسمه نلنا نعمة. لقد صار المسيح إنساناً، واحداً منا، ودخل التاريخ ونطاق الزمن، ليستطيع أن يخلصنا نم خطايانا. وعندما جاء متواضعاً، لكي يستطيع كل إنسان أن يجد الطريق إليه، وهو لا يرفض أحداً يمثُل أمامه. وفعلاً عند المزود الذي وُلد فيه السيد المسيح رأينا الرعاة البسطاء يسجدون له، كما رأينا المجوس الحكماء الذين جاءوا بالهدايا الثمينة يقدمون له التعبُّد. بل إننا نرى في سلسلة النسب التي جاء المسيح منها إبراهيم خليل الله. وداود إمام المرنمين، كما نرى نسوة بسطاء وأشخاصاً خطاة، لأن المسيح ابن الإنسان ينتمي للبشرية كلها، ويستطيع أي إنسان منا أن يعلن انتماءه إليه، فيجد أنه مقبول. ومع ذلك فإن المسيح ابن داود، ملك، وقد جاء ليملك على كرسي داود إلى الأبد، حتى أن نبوة

إشعياء التي جاءت قبل ميلاد المسيح بسبعمئة سنة أعلنت أنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه، لنمو رياسته، وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها من الآن وإلى الأبد.

إن السيد المسيح الذي يمدُّ يده إليك ليخلصك، يجب أن يملك قلبك وحياتك، لأنه الملك الذي تجسَّد ليخلصك من خطيتك. أدعوك لأن تتعرف على المسيح – ابن داود – ورب داود، الذي دعاه داود بالوحي الإلهي أنه ربه، مع أنه سيجيء من نسله.

34- الآتي
«أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم»
(يوحنا 27:11)

كان اليهود يتطلعون إلى مجيء المسيح إلى عالمنا. ويتضح هذا من قصة إقامة لعازر من بين الأموات. فعندما مات لعازر ذهب المسيح إلى بيت عنيا ليقيمه من بين الأموات، وقال لمرثا أخت الميت: «سيقوم أخوك» فقالت له: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة، في اليوم الأخير». فأجابها: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟» فأجابت: «نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم». نعم جاء هذا الذي انتظرته الأجيال!

وعندما كان يوحنا المعمدان مسجوناً، لأن الملك هيرودس غضب عليه، وطالت فترة سجنه، أرسل بعض تلاميذه للمسيح يسألونه: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (متى 3:11). وكان يوحنا المعمدان قد سبق وأعلن أن هذا هو المسيح المنتظر مجيئه إلى عالمنا ، والذي تنبأ عنه أنبياء التوراة وقال لمستمعيه: «أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار». وشهد عن المسيح قائلاً: «إن الذي يأتي بعدي صار قدامي، لأنه كان قبلي. هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي، الذي لست بمستحق أن أحلَّ سيور حذائه» (يوحنا 15:1-28).

وعندما دخل المسيح مدينة أورشليم هتفت الجماهير له قائلة: «مبارك الآتي باسم الرب». وقال بولس للمؤمنين في أفسس، الذين قبلوا رسالة يوحنا المعمدان: «إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده (أي بالمسيح يسوع). فلما سمع أهل أفسس ذلك اعتمدوا باسم الرب يسوع المسيح. ووضع بولس الرسول يديه عليهم فحلَّ الروح القدس عليهم» (أعمال 4:19-6).

مجيء إيليا:

وقد كان اليهود يتوقعون مجيء النبي إيليا قبل مجيء السيد المسيح، حسب قول النبي ملاخي: «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن». وقد قال السيد المسيح: إن إيليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان، لأن يوحنا جاء بروح إيليا. ويقول الإنجيل إن المسيح قال للجموع عن يوحنا المعمدان: «ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي. فإن هذا هو الذي كُتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. الحق أقول لكم: لم يُقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان» (متى 9:11-11).

الآتي هو المخلِّص:

أطلق أنبياء العهد القديم هذا اللقب على المسيح باعتباره المخلص المنتظر. وقد جاء المسيح إلى عالمنا مولوداً من العذراء القديسة مريم بقوة الروح القدس، وأجرى المعجزات، وبيَّن لنا محبة الله، إذ قدم نفسه على الصليب من أجل خطايانا، وقام من بين الأموات ظافراً منتصراً.

على أننا الآن نتوقع أن يجيء المسيح إلى أرضنا ثانية. وهذا ما نسميه بمجيء المسيح ثانية إلى أرضنا. لقد أتى وسيأتي.

فيقول في الأصحاح الأول من سفر الرؤيا عنه: «هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين والذين طعنوه، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم . آمين» (آية 7). ويقول المسيح: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء» (آية 8). له تهتف جميع الخلائق: «قدوس، قدوس، قدوس الرب الإله القادر على كل شيء، الذي كان والكائن الذي يأتي» (رؤيا 8:4).

سيأتي ثانية:

ونحن نحيا الآن في انتظار مجيء المسيح إلى أرضنا ثانية. وسيكون ذلك بحالة غير الحالة التي جاء بها في مجيئه الأول. في مجيئه الأول جاءنا وليداً في مذود حقير. أما في مجيئه الثاني فسيأتي على حساب المجد. في مجيئه الأول جاء وديعاً فلم يره إلا بعض رعاة الأغنام في فلسطين في سكون الليل. لكن في مجيئه ثانية سوف تراه كل عين. في مجيئه الأول أعدَّ الطريق له صوت صارخ في البرية، هو صوت يوحنا المعمدان، أما في مجيئه الثاني فسوف تبوق له الملائكة، فتقوم الأرض وتضطرب. في مجيئه الأول حاكموه وصلبوه، أما في مجيئه الثاني فسيدين ويحكم. في مجيئه الأول سفك دمه من أجلنا، وفي مجيئه ثانية سيطالب بحق دمه الكريم. وكما كان مجيئه الأول بالجسد، هكذا سيكون مجيئه الثاني بالجسد منظوراُ من الجميع، كما قال الملاكان للرسل وقت صعوده إلى السماء: «ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه» (أعمال 11:1). وكل الذين يحبون المسيح يقولون له: «آمين تعال أيها الرب يسوع». وكما كان المحبون ينتظرون مجيئه الأول إلى أرضنا، وكانوا يترقبونه حتى أطلقوا عليهم لقب «جماعة المنتظرين» هكذا سينتظره محبّوه. ليتك تكون من جماعة المنتظرين، الذين يترجون ويتوقعون مجيئه الثاني. ويقول الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا: «أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أننا أصل وذرية داود، كوكب الصبح المنير. الروح والعروس يقولان تعال. ومن يسمع فليقل تعال. ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً. يقول الشاهد بهذا نعم أنا آتي سريعاً. أمين تعالَ أيها الرب يسوع. نعمة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم» (رؤيا 16:22، 17، 20، 21).

إن كنت قد قبلت المسيح في قلبك مخلصاً لك، فستتشوق إلى مجيئه ثانية ليعطيك مجده. وفي ساعة لا نعلمها يجيء المسيح ويقول لنا: «اسهروا وصلوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت (وقت هذا المجيء الثاني). وما أقوله لكم، أقوله للجميع: اسهروا» (مرقس 33:13، 37). فدعنا نسهر لابسين ثياب الخلاص.

35- كوكب الصبح المنير

«أنا كوكب الصبح المنير» (رؤيا 16:22)

نقرأ هذا اللقب الرائع الجميل للمسيح في الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا. يقول: «أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أنا أصل وذرية داود. كوكب الصبح المنير. لقد أُطلق هذا اللقب على المسيح باعتباره المخلِّص الآتي إلى العالم، فقد قال بلعام بن بعور: «وحي الرجل المفتوح العينين. وحي الذي يسمع أقوال الله ويعرف معرفة العلي الذي يرى رؤيا القدير ساقطاً وهو مكشوف العينين. أراه و لكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغى» (سفر العدد 15:24-17).

لقد رأى بلعام كوكباً يبرز من يعقوب، هو المسيح الآتي، المخلص الذي من نسل يعقوب أبي الأسباط. وها نحن اليوم أيها القارئ الكريم نتوقع مجيء المسيح كوكب الصبح المنير.

عندما جاء المسيح في مجيئه الأول رتلت له الملائكة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لوقا 14:2). وعند مجيئه ثانية سيهتف لك بوق الله معلناً لأرضنا أن المسيح كوكب الصبح المنير قادم إلينا. كوكب الصبح المنير هذا ظهر له نجم خاص عند ميلاده، فيقول الإنجيل لنا: «ولما وُلد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» (متى 1:2، 2). واختفى النجم عندما ذهبوا إلى قصر الملك هيرودس. ولكن ما أن خرجوا من القصر حتى رأوا النجم، ففرحوا فرحاً عظيماً جداً، وقادهم ذلك النجم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي يسوع في مذوده.

أكثر الكواكب إشراقاً:

كوكب الصبح المنير هو أكثر إشراقاً ولمعاناً، ولذلك هو يرمز إلى المسيح، ألمع من جاء إلى أرضنا، الكامل وحده، أعظم المعلمين، الذي يقول عنه الإنجيل المقدس: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (1تيموثاوس 16:3). هذا هو الابن الوحيد الذي لا نظير له. لم يدخل أرضنا أحد كما دخل المسيح. ولم يُجْرِ أحدٌ على أرضنا معجزات كما أجرى المسيح. بيَّن محبته للناس كما لم يحب أحد قط، وغفر كما لم يغفره غيره، وقدم لنا النموذج الأسمى في كل شيء. وأطلق على نفسه لقب «ابن الإنسان» بمعنى أنه الإنسان النموذجي الكامل. كل مولود امرأة يجد الشيطان فيه موضعاً، إلا المسيح الكامل وحده. غيره من النجوم يذبل ويذوي، وكل معلم أو قائد تقارنه بالمسيح لا يمكن أن يقف معه على ذات المستوى. إنه كوكب الصبح المنير، أشد الكواكب لمعاناً، فهو القائل: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يوحنا 12:8).

النور الذي يبدد الظلام:

وعندما يشرق كوكب الصبح المنير يعلن لنا أن النور الكامل قادم، وأن ظلام الليل سينتهي. وسرعان ما يشرق نور الصباح بكل مجده العظيم. وهذا ما يفعله المسيح معنا. فإنه عندما يظهر في حياتنا تتقشع الظلمات ويشرق النور العظيم.

إن أشرق المسيح كوكب الصبح المنير عليك، فسوف يبدد ظلمات خطيتك، لأنه يتوِّبك ويمنحك الحياة الجديدة. لعلك تذكر كيف التقى بجامع الضرائب زكا، الذي كان يظلم الناس، ويأخذ ما ليس من حقه، فغيَّر حياته تغييراً كاملاً. فإذا بالرجل يقول: إني أرد أربعة أضعاف كل ما سلبت، وأعطي نصف أموالي للمساكين. فقال المسيح: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم» (لوقا 1:19-9).

وعندما التقى بالمرأة السامرية الزانية، خلصها وغيَّر حياتها، وجعلها كارزة بالتوبة والحياة الأبدية. وعندما تواجهك الحياة بصعوباتها وتجيء إلى المسيح كوكب الصبح المنير، فإنه يجلو الظلمات، ويعطيك الراحة والسلام فقد وعد: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى 28:11).

هل تذكر كيف كان تلاميذه معذبين في البحر من عاصفة أقوى منهم، ولكنه جاء لينتهر العاصفة وليُسكت الرياح وليعيد السلام إليهم؟ هذا ما يفعله المسيح كوكب الصبح المنير معك. لأنه يوقف ظلمة العاصفة ويمنحك سلامه الكامل الذي يفوق كل عقل. وما أجمل ما يجري معك عندما يجيئك وقت الخوف ويقول لك: «سلامي أترك لك، سلامي أعطيك. ليس كما يعطي العالم أعطيك أنا" (يوحنا 27:14). عندها تنشد ترنيمة داود النبي: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك. الذي يفدي من الحفرة حياتك الذي يكللك بالرحمة والرافة. الذي يُشبع بالخير عمرك، فيتجدد مثل النسر شبابك» (مزمور 103:1-5).

المسيح هو كوكب الصبح المنير. عندما يُشرق نوره عليك يبدد ظلمات حياتك، ويغمرك بالنور الكامل نور الصباح. هيا آمن به والتصق به واتبعه وقدم له حبك وقربان حياتك.

36- عادل

«هوذا ملكك يأتي إليك. هو
عادل ومنصور ووديع» (زكريا 9:9)

نقرأ في نبوة النبي زكريا: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم، هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار». ولقد تحققت هذه النبوة عندما دخل السيد المسيح مدينة أورشليم الدخول الانتصاري يوم الأحد المعروف بيوم أحد الشعانين أو أحد السعف، تحيطه الجماهير التي تهتف له «أوصنا» أي يا رب خلصنا. في هذه النبوة نجد ثلاثة ألقاب للسيد المسيح: لقب العادل، ولقب المنصور، ولقب الوديع. ونتأمل هنا لقب العادل.

لم تتحقق نبوة زكريا هذه في أي ملك من ملوك بني إسرائيل. إذاً هي نبوة عن المسيح الآتي، العادل.

يعطي كل صاحب حق حقه:

يقول لنا رسول المسيحية يوحنا: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (1يوحنا 9:1). وفي هاتين الآيتين نستطيع أن نرى المسيح العادل في غفران خطيتنا. وتتَّضح عدالته في أنه يوفي مطالب الشريعة التي تقول: «أجرة الخطية هي موت». فكان لا بد أن كل إنسان يخطئ يموت – ولكن لما كان الله محبة، فإنه يريد أن ينقذنا من موتنا، لأنه لا يشاء أن يهلك أحد، بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة. فالله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون.

لكن الإنسان ساقط ميت في ذنوبه وخطاياه، ولا يمكن أن يُقبل إلى الحق، ولا يمكن أن ينجو من الموت. وقد أكمل المسيح مطالب العدالة الإلهية عندما أخذ مكان الخاطئ، ومات بدلاً عنه. وهو الذي لم يخطئ أبداً. وفي صليب كفارته وجد للإنسان الشرير الساقط الحياة، كما وجد له الفداء الأبدي، لأنه دفع دينه بدلاً عنه. ويقول نبي الله إشعياء: «كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع ليه إثم جميعنا» (6:53). وهكذا تبررنا نحن وانطلقنا أحراراً، لأن المسيح دفع ديننا على الصليب. هذا إذاً هو المسيح العادل الذي وفَّى مطالب الشريعة ومنحنا حرية مجد أولاد الله.

العادل في دينونته:

تظهر عدالته في أنه يعطي كل صاحب حق حقَّه. فلا بد أننا سوف نقف أمام كرسي المسيح - كما يقول الإنجيل – ليعطي كلٌّ واحد منا حساباً عما فعل، خيراً كان أم شراً. فإنه سيمتحن عمل المؤمنين الثابتين فيه بالنار. وكل عمل يبقى، ينال صاحبه أجراً، أما كل عمل فارغ فلا بد أن يحترق (1كورنثوس 3:12-15).

ويذكر الإنجيل المقدس أن المسيح عندما دخل أورشليم دخوله الانتصاري، رأى المسيح شجرة تين من بعيد، عليها ورق فقط. وكان جائعاً. فلما اقترب من الشجرة ليقتطف من ثمرها لم يجد فيها ثمراً إلا ورقاً، فقال المسيح للشجرة: «لا يأكل منك أحد ثمراً بعد إلى الأبد». فيبست التينة التي لعنها المسيح في الحال. لقد كانت التينة خضراء الأوراق، مما يُنبئ أنها تحمل ثمراً كثيراً. كان للتينة منظر الإثمار، لكن حقيقة الأمر أنها كانت خالية منه. ولذلك أصدر المسيح حكمه ضدها ولعنها. فهو العادل الذي يعطي كل صاحب حق حقه. وهذه التينة الخضراء غير المثمرة ترمز إلى كل واحد من الذين يتظاهرون بالدين من المنافقين المرائين، ولكنهم في واقع حياتهم لا يقدمون ثمراً صالحاً. لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها (مرقس 11:11-14).

وعندما دخل المسيح مدينة أورشليم ذهب إلى الهيكل فوجد بيت الله قد تحوّل إلى بيت تجارة، فابتدأ يطرد الذين يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، الذين كانوا يبيعونه للتقدمات والقرابين في الهيكل. ولم يسمح المسيح لأحد أن يجتاز الهيكل وهو يحمل متاعاً، وكان يعلم الناس قائلاً: «أليس

مكتوباً: بيتي بيت الصلاة يُدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص؟». لقد واجه المسيح الذين دنَّسوا الهيكل وجعلوا مصلحتهم المالية فوق مصلحة العابدين، فوبَّخهم توبيخاً شديداً وطردهم لأنه العادل الذي لا بد أن يصدر حكم دينونته على كل الخطاة (مرقس 11:15-17).

وقصة تطهير الهيكل ترمز إلى تطهير المسيح لهيكل أجسادنا، فإن كل مؤمن يسكنه الروح القدس، فيصبح هيكلاً حياً لله. وعلينا أن نحرص بكل قوة فينا أن يكون هيكل الله داخلنا مقدساً ليُرضي الله. فإذا كان هيكلك مقدساً باركك الله وأنعم عليك. أما إن كان هيكل جسدك قد تنجس بخطيتك فإن المسيح العادل يوقع عليك العقوبة. لأنه عادل.

وأدعوك أن تتمتع بعدالة المسيح الذي يراقب عملك ويحاسبك عليه، حتى إن وقفت أمام عرشه تقدم حساباً بفرح عما فعلت، وتسمع منه قوله: «نعما أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل أقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك» (متى 25:21).

37- منصور

«هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل
ومنصور ووديع» (زكريا 9:9).

جاء المسيح إلى أورشليم عادلاً – وجاء منصوراً. أول ما نرى انتصار السيد المسيح نراه في إكماله خلاصنا. فعندما جاء المسيح أرضنا جرَّبه إبليس ليُبعده عن الهدف الذي من أجله جاء، ولكن المسيح نحَّى تجارب إبليس جانباً، و«ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ» حيث صُلب (لوقا 9: 51). وفي بستان جثسيماني صلَّى المسيح: «إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس». ثم مضى يقول: «ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت» (مت 39:26). وهكذا ثبت بصره على صليبه الذي من أجله جاء إلى أرضنا. إن الذين لا يحبون للمسيح أن يُصلب يشتركون مع رسول المسيحية بطرس، الذي ما أن عرف أن المسيح قد جاء ليُصلب حتى صرخ قائلاً: «حاشا لك يا رب» فقال له المسيح: «اذهب عني يا شيطان، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» ودعا المسيح تلاميذه وقال لهم: «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مرقس 34:8-37).

انتصر على القبر:

انتصر المسيح إذاً على كل تجربة حاولت أن تُبعده عن الهدف الذي من أجله جاء إلى العالم، وهو أنم يُقدم نفسه عنا ذبيحة لله على الصليب. وانتصر المسيح عندما قام من القبر ظافراً، منتصراً على الموت. ويقول الإنجيل عنه: «أبطل الموت وأنار الحياة والخلود» (2تيموثاوس 10:1). نعم أبطل المسيح الموت عندما هزمه. كل قبر مليء بالعظام، إلا قبر السيد المسيح الذي خلا من جسده، لأنه المسيح الحي الذي أبطل الموت. وعندما وصل إلى الجانب الآخر أراق ضوءاً على الموت، وأظهر لنا أنه ليس نهايتنا، فالمجد دائماً يتبع الموت. وبعد الصليب القيامة، وبعد كل آلام نجوزها يجيء الانتصار الذي يمنحه الله لنا. كما يقول المرنم «عند المساء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مزمور 5:30).

ينصرنا على التجارب:

عاش المسيح الحياة الخالية من الخطأ. هو الذي انتصر على الموت بقيامته. وعندما نتَّحد به ونحيا معه، ينصرنا على كل عادة سيئة، لأنه المخلص الذي ينقذنا من خطيتنا. ويقول الإنجيل عنه: «يقدر أن يخلص إلى التمام كل الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم. وليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أعمال 12:4)

كم نقرأ في الإنجيل من قصص أشخاص تابوا ورجعوا عن عادتهم السيئة، لأن المسيح لمس حياتهم وانتصر فيهم.

لعلك تذكر قصة المرأة الخاطئة التي أُمسكت في زنا، وقد أمسك الناس بالحجارة ليرجموها، فقال لهم المسيح: «من كان منكم بلا خطية فليرجمها أولاً بحجر». ثم جعل يكتب خطايا الواقفين على الأرض، فبكَّتتهم ضمائرهم، وابتعدوا واحداً وراء الآخر، وبقى المسيح وحده والمرأة واقفة. فقال لها: «يا امرأة أما دانك أحد؟» فأجابت: «لا أحد يا سيد». فقال لها المسيح: «ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضاً» فجعل من هذه الخاطئة قديسة في حياة جديدة (يوحنا 1:8-11).

ينصرنا على المتاعب:

والمسيح ينتصر فينا وبنا عندما يخرجنا من المآزق، فعندما تواجه مشكلة ترفع صلاة للسيد المسيح، فإنه يستجيب لك ويخرجك من المأزق. نقرأ في سفر أعمال الرسل في الأصحاح الثاني عشر أن الملك الشرير هيرودس أراد أن يسيء إلى الكنيسة، فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف، وعاد يُلقي القبض على بطرس لكي يسلمه بعد العيد للقتل. فجعلت الكنيسة تصلي إلى الله بلجاجة من أجل بطرس السجين. وفي الليلة الأخيرة التي نوى هيرودس أن يقتل بطرس بعدها، أرسل الله ملاكه إلى السجن فامتلأ السجن بالنور. وأيقظ الملاك بطرس وقال له: «قم عاجلاً» فسقطت السلسلتان من يده. وقال له الملاك: «تمنطق والبس نعليك» ففعل بطرس هكذا. ثم قال الملاك له: «البس رداءك واتبعني» فخرج بطرس وتبعه، وهو لا يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاك أمر حقيقي، بل يظن أنه ينظر رؤيا. وعندما وصلا إلى باب الحديد الكبير انفتح الباب من ذاته، وخرج بطرس ليذهب إلى المؤمنين ليقول لهم إن الله قد أخرجه من مأزق، لم يكن هناك أمل في خروجه منه، وإنه نصره على هيرودس الشرير.

ولا زال المسيح إلى يومنا هذا يخلص الذين يطلبونه، فقد قال لنا في الموعظة على الجبل: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له. فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه» (متى 7:7-11).

38- وديع

«هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل
ومنصور ووديع» (زكريا 9:9)
«لأني وديع ومتواضع القلب» (متى 29:11)

ما أعظم وداعة السيد المسيح، فقد قال لنا: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم، لأن نيري هين وحملي خفيف».

وديع غسل أرجل تلاميذه:

ما أجمل المسيح الوديع! وأود أن أذكر ثلاث حوادث من حياته تكشف لنا وداعته.

الحادثة الأولى عندما غسل أرجل تلاميذه. فبعد سفر يوم شديد الحرارة دخل مع تلاميذه إلى عليَّة ليحتفل معهم بتناول وليمة عشاء الفصح. ولما كان الجو حاراً والطرق متربة، فقد كان لا بد أن يغسل المجتمعون أرجلهم قبل أن يتكئوا ليأكلوا. ولم يكن هناك خادم ليغسل أرجل التلاميذ والمسيح. وتردد التلاميذ كلهم في من يقوم ليغسل أرجلهم. كان كل واحد منهم يظن نفسه أهمَّ من الجميع، ولم يشأ واحد أن يقوم ليغسل أرجل زملائه. وانتظر المسيح حتى يفكر واحد من التلاميذ في أن يقوم بهذه الخدمة فلم يقُم أحد. فقام المسيح عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة اتزر بها، ثم صبَّ ماءً في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ، ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها. ويقول الرسول يوحنا إن سبب قيام المسيح بهذا العمل الوضيع هو أن «يسوع وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى. يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي، قام عن العشاء وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة» (يوحنا 1:13-5). كان المسيح قد أحب تلاميذه محبة رائعة، محبة إلى المنتهى، إلى منتهى العطاء. وكان يعلم من هو. كان يعلم أن الله قد دفع كل شيء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي. فلم يكن قيامه ليغسل أرجل التلاميذ يقلل قيمته. بالعكس، إنه يعلم مقامه ومكانته. عادة يقوم الشخص المهم بأداء الوظائف البسيطة، لأنه يثق في نفسه، أما الشخص البسيط فإنه يخشى أن يقوم بمهمة بسيطة لئلا يتدنى مركزه. إن صاحب المركز الدنيء يخاف، لكن صاحب المركز العالي مطمئن. والمسيح وهو يعلم من هو غسل أرجل تلاميذه.

وديع بكى على الخطاة:

وعندما دخل السيد المسيح مدينة أورشليم دخوله الانتصاري نرى وداعته، لأن الإنجيل يقول: «و فيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن قد أخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة، ويُحدقون بك، ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك» (لوقا 41:19-44).

هذه المدينة الظالمة التي حكمت على السيد المسيح بالموت والصلب، بالرغم من كل المعجزات التي أجراها بها، إلا أنه اعتبرها محل اهتمامه فبكى عليها. المسيح الوديع يبكي على المدينة التي لا تعرف ما هو لسلامها، والتي لا تميز الوقت الذي يزورها الله فيه ليصلح من أمرها وليتوِّبها. لكن ما أعظم وداعة المسيح وهو يبكي على المدينة التي لا تعرف ما هو لسلامها، والتي لا تميز الوقت الذي يزورها الله فيه ليصلح من أمرها وليتوبها.

إن الله يحبك ويريد أن يتوبك. ربما تبتعد عنه. ربما كلما مدَّ إليك يد محبته ابتعدت أكثر، لكنه في حبه الكامل يفتش عليك، ويريد أن يتوبك ويغير حياتك. المسيح الوديع هو الراعي الصالح الذي جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك.

وديع يشفي أذن ملخس:

ولقد ظهرت وداعته يوم أُلقي القبض عليه ليؤخذ أمام بيلاطس ليحكم عليه بالصلب. فجاء جند الهيكل هاجمين عليه. فاستلَّ بطرس سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة، واسمه ملخس، فقطع أذنه. وقال المسيح لبطرس: «ردَّ سيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون». وانحنى المسيح إلى الأرض، التقط أذن ملخس. ولا بد أن التراب قد علاها، فنظفها المسيح مما علق بها من أتربة، وأعادها إلى مكانها، فشفى الأذن المقطوعة. كان عبد رئيس الكهنة قد جاء ليلقي القبض على المسيح وعندما قُطعت أذنه أشفق المسيح عليه وشفاه (لوقا 22:50، 51). ما أعظم وداعة المسيح وما أعظم محبته. حتى إن كنت تقاومه وتقاوم كنيسته والمؤمنين به، فإنه يحبك. «هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور ووديع». إنه يريد أن يغير حياتك وأن يسعدك، فآمن به وضع ثقتك فيه.

39- القدوس الحق

«هذا يقوله القدوس الحق، الذي له
مفتاح داود» (رؤيا 7:3).

لقب القدوس يصف السيد المسيح في جوهره. وهناك فرق بين كلمة قدوس وكلمة مقدَّس. فالقدوس صفة لا تُطلق إلا على الله وحده، أما كلمة مقدَّس فهي صفة تُطلق على البشر وعلى الأشياء المخصصة لله. فالمسيح هو القدوس الحق، أي رب القداسة في ذاته، ومعدن القداسة في شخصه. وهو في ذاته قدوس يهب القداسة لمن يشتاق إليها ويتعطش ويطلبها منه. ولقد قال الملاك للعذراء القديسة مريم: «ها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً. فأجاب الملاك و قال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لوقا 31:1-35). إنه يقول لها «القدوس المولود منك». فالمسيح هو القدوس الذي يصفه الإنجيل المقدس في الرسالة إلى العبرانيين «قدوس بلا شر ولا دنس» (عبرانيين 26:7).

لم تطأ أرض الناس قدمان كقدمي المسيح، فقد سلك دوماً في طريق النور والحق والخير. وعندما واجه أعداءه قائلاً: «مَن منكم يبكتني على خطية؟» لم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، لأنه الكامل. إنه القدوس الحق الذي رآه النبي إشعياء جالساً على كرسي عال وأذياله تملأ الهيكل، والملائكة يسبحونه: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض». ويقول لنا إنجيل يوحنا الأصحاح الثاني عشر إن إشعياء النبي قال هذا: «حين رأى مجد المسيح وتكلم عنه» وقد رأى مجده في ذلك الهيكل العظيم.

الذي يقَدِّس:

قدوس.. قدوس، القدوس الحق هذا هو المسيح. هذا هو لقبه. وهو يعطي القداسة. هو قدوس في ذاته ويقدس كل من يلجأ إليه.

إذا رجعنا مرة أخرى إلى اختبار النبي إشعياء، نراه يقول إنه عندما سمع الملائكة يهتفون «قدوس قدوس قدوس» قال: «ويل لي إني هلكت لأني نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود». ما أن رأى إشعياء نفسه بالمقارنة بالحالة المجيدة التي كان المسيح فيها حتى صرخ صرخته هذه! في العادة يقول الإنسان: أنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، ولهذا السبب تنجَّست شفتاي. لكن إشعياء اعترف بخطئه اعترافاً واضحاً فقال إنه هو أولاً وقبل كل شيء نجس الشفتين، وسكناه هي بين شعب نجس الشفتين.

إن المعترف الذي ينال غفران خطاياه هو الذي يعترف بخطيته أولاً، ولا يلقي باللوم فيها على آخرين. المعترف الذي يغفر الله له هو الذي يرى نفسه شريراً محتاجاً إلى رحمة الله، بغير أن ينظر إلى خطايا الآخرين، إن كانت أكبر من خطاياه، أو إن كانت السبب في ارتكابه لخطاياه. وما أن نطق إشعياء باعترافه هذا حتى جاءه ملاك بجمرة من على المذبح ومسَّ بها شفتيه، وقال له: «هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك». كان النبي إشعياء من أعظم أنبياء العهد القديم، ولكنه بالرغم من كل هذه الامتيازات كان في حاجة ماسة إلى أن يرى الرب ليكشف في ضوء مجده أنه نجس الشفتين. وكان الثمن الذي دفعه هو انكسار القلب وانسحاق الروح والاعتراف بالنجاسة. وأزالت الرؤيا الغشاوة عن عيني إشعياء، فرأى نفسه على حقيقتها.

هل أنت مستعد أن تدفع ثمن تطهيرك، اعترافاً وندماً؟ هل أنت مستعد أن تُقلع عن خطيتك؟ إن المسيح هو القدوس الحق، الذي يريد أن يغفر خطاياك ويمنحك الحياة الجديدة.

في نظر السيد المسيح، الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. ويقول النبي إشعياء: «كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا». قال أحد الأتقياء: «أنا متفق مع الرسول بولس في كل ما كتبه وفي كل ما أوحي إليه به، إلا أنني أختلف معه في شيء واحد. لقد قال الرسول بولس: إنه أول الخطاة، أما أنا فأقول: لست أنت يا بولس أول الخطاة، بل أنا هو أول الخطاة.

هل هذا هو شعورك؟ هل أنت مستعد أن تنازع بولس هذا المركز، أول الخطاة؟ قيل إن الشاعر الهجَّاء الخطيئة رأى وجهه ذات يوم في المرآة لأول مرة، فأنفت نفسه من منظر وجهه البشع، فكتب شعراً يقول:

أرى لي وجهاً قبَّح اللهُ شكلَهُ   وقُبِّح مِن وجهٍ وقُبِّح حامله

يا ليتك تجد في نفسك جرأة فتعترف ببشاعة صورتك الأخلاقية، حالما تراها في مرآة القدوس الحق. حينئذ تصرخ معترفاً بخطيتك طالباً منه الغفران، فيجملك المسيح ببره، ويغفر لك خطيتك. المسيح هو القدوس الحق الذي يهب للمعترفين به، المؤمنين به، قداسة الحياة.

40- الأول والآخر

«أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية،
الأول والآخر» (رؤيا 13:22)

الألف هو أول الحروف الأبجدية العربية والياء آخر حرف منها. إذاً يكون المسيح هو البداية والنهاية، وهو الأول والآخر. وقد ورد تعبير «الأول والآخر» عدة مرات في سفر الرؤيا. ورد عن الله الآب، كما ورد عن السيد المسيح (رؤيا 8:1، 11، 17، 6:21، 13:22). ومن هنا نرى أن اللقب الذي أطلقه الإنجيل المقدس عن الله، هو نفسه الذي أطلقه على السيد المسيح. وبدون تردد وبغير خوف من خطأ يقول يوحنا إن المسيح هو الله، لأنه يحمل نفس صفات الله. فكما يقول الكتاب المقدس إن الله هو الأول والآخر ليس سواه، يقول أيضاً إن المسيح هو البداية والنهاية، فيسوع المسيح هو رب.. هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً، آمين (عبرانيين 8:13).

المسيح الكامل:

المسيح هو الألف والياء، وهذا التعبير يعني الكمال، فقد كان اليهود يقولون إن آدم كسر وصية الله من الألف إلى الياء، وإن إبراهيم حفظ الوصية من الألف إلى الياء، وهم يقصدون أن آدم كسر كل الوصايا، ولكن إبراهيم حفظها كلها. وكانوا يقولون إن الله يبارك شعبه من الألف إلى الياء، بمعنى أن الله يبارك شعبه بركة كاملة. فعندما يقول السيد المسيح عن نفسه إنه البداية والنهاية والألف والياء والأول والآخر، يقصد أنه صاحب الكمال المطلق. قال القديس أكليمندس الإسكندري: «المسيح مركز كل سلطان وفيه كل قوة، لذلك نقول إن الابن، الكلمة، هو الألف والياء». المسيح هو الكامل الذي لا نقص فيه. له كل الحكمة والمعرفة وكل القداسة والصلاح. كل إنسان عنده بعض الصلاح وقليل من المعرفة، أما المسيح وحده ففيه كل الصفات الكاملة، جميعها في شخصه من البداية إلى النهاية ومن الأول إلى الآخر. إن كل مولود امرأة طعنه الشيطان في جنبه إلا المسيح، الخالي من الخطأ، الذي واجه أعداءه قائلاً: «من منكم يبكتني على خطية؟» فلم يستطع أحد أن يواجهه لأنه خال من الخطأ. لقد قال النبي إشعياء: «كلنا كغنم ضللنا» أما المسيح وحده هو المملوء نعمة وحقاً، ووحده الذي لم يفعل خطية، وهو وحده قدوس بلا شر ولا دنس. قد انفصل عن الخطاة، وصار أعلى من السموات.

المسيح بلا تغيير:

ومعنى بلا تغيير أنه الأول والآخر، أنه الاستمرار الذي لا يتوقف والذي ليس فيه تغيير. المسيح هو الذي كان في الماضي من قبل تأسيس العالم، والذي يعمل اليوم في عالمنا، وسيستمر يعمل حتى نهاية العالم، فقد قال عن نفسه: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يوحنا 17:5). يقول كاتب رسالة العبرانيين في الإنجيل: «وأما عن الابن فيقول: كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور. وأنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها فتتغيَّر ولكن أنت وسنوك لن تفنى» (عبرانيين 8:1-12). فمعرفتنا أن المسيح هو الحاضر الدائم تملأ نفوسنا بالراحة والاطمئنان، لأننا مع هذا السيد العظيم الذي يقف معنا من أول حياتنا ويسير معنا إلى نهايتها. من الطفولة إلى الشيخوخة يحملنا ويُسندنا ويعطي احتياجاتنا، فلا يستطيع شيء أن يفصلنا عن محبته أو يعطله عن محبتنا، أو عن معرفتنا.

في بعض البيوت المسيحية ترى لوحة جميلة نُقش عليها القول: «المسيح هو رب هذا البيت، السامع الصامت لكل حديث. الضيف غير المنظور على كل مائدة». فحيثما اجتمعنا دعنا ندرك أن المسيح هو الذي يصغي إلى حديثنا دون أن يتدخل فيه بصوت مسموع، وهو الضيف غير المنظور حول كل مائدة. فدعنا كلما أكلنا أو شربنا أو فعلنا شيئاً، أن نفعل كل شيء لمجد الله. وهذا الفكر يعطي كل مؤمن بالمسيح راحة القلب وسلام النفس كما

قال السيد المسيح: «سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا». وبهذا السلام نحيا ونتحرك في اطمئنان.

به كل شيء:

هو البداية بمعنى أنه أبدأ كل شيء، وهو النهاية بمعنى أنه الهدف الذي لأجله خُلق كل شيء. هو الذي خلق والذي من أجله كل شيء قد خُلق، وما بين الخلق ونهاية العالم كل شيء يقوم به، فهو حامل كل الأشياء بكلمة قدرته. ونقرأ في الرسالة التي كتبها الرسول بولس إلى كنيسة كولوسي: «الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خُلق الكل ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كولوسي 1:15-17). ويقول الرسول بولس في رسالته إلى كنيسة رومية: «لأن منه وبه وله كل الأشياء، له المجد إلى الأبد. آمين» (رومية 11:36).

كثيرون يترددون في تسليم حياتهم للمسيح لأنهم يخافون أن يبتدئوا ولا يكملوا، ولكن لقب المسيح أنه البداية والنهاية يطمئن أمثال هؤلاء، إنهم يستطيعون أن يبدأوا حياتهم الجديدة ويكملوها، لأن المسيح يضمنها لهم.

ندعوك أن تضع ثقتك في المسيح، لأنه هو الذي يبدأ معك، وهو الذي يكمل معك، وكل الأشياء بإرادته كائنة وخُلقت، فهو الأول والآخر «الألف والياء، البداية والنهاية».